سيرة ومناقب

عثمان بن عفان

تأليف

محمد حامد محمد

مُقَـدّمَة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فهذا هو الكتاب الثالث الذي يتحدث عن شخصية عثمان بن عفان رضي الله عنه وعصره، وهو امتداد لما سبقه من كتب تحدثت عن الصدِّيق والفاروق تبحث في دراسة عهد الخلفاء الراشدين؛ لكي نستخرج الدروس والعِبَر ونستوعب السنن والقوانين الإلهية في حركة المجتمعات وبناء الدول ونهضة الشعوب، وتربية القادة والأفراد لنشر دين الله بين الناس.

إن عودة الأمة لما كانت عليه في قيادتها للبشرية منوطة بسيرها علىٰ هدىٰ النبي ﷺ وخلفائه الراشدين؛ فقد أخبر الحبيب المصطفىٰ ﷺ عن المراحل التاريخية التي تمر بها الأمة في مسيرتها في الحياة، فقال ﷺ: «**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة علىٰ منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًّا فيكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم**

تكون خلافة علىٰ منهاج النبوة»[(١)].

إن معرفة عهد الخلافة الراشدة ومنهاج النبوة خطوة لا بد منها في تحقيق الأهداف التي تسعىٰ الأمة لتحقيقها في هذه الحياة، فقد قال ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**»[(٢)].

إن تاريخ عصر الخلفاء الراشدين مليء بالدروس والعبر وهي متناثرة في بطون الكتب والمصادر والمراجع، سواء كانت تاريخية أو حديثية أو فقهية أو أدبية أو تفسيرية، فنحن في أشد الحاجة لجمعها وترتيبها وتوثيقها وتحليلها، فتاريخ الخلافة الراشدة -إذا أحسن عرضه- يغذي الأرواح ويهذب النفوس، وينور القلوب ويبني العقول، ويشحذ الهمم، ويقدم الدروس، ويسهل العِبَر، وينضج الأفكار، ويوضح معالمها، وصفات قادتها، ونظام حكمها، وأخلاق جيلها، وعوامل ازدهارها، وأسباب زوالها، فنستفيد من ذلك في إعداد الجيل المسلم الذي يتربىٰ علىٰ منهاج النبوة وفقه الخلافة الراشدة، ونتعرف علىٰ حياة عصر من قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح:٢٩].

وقال فيهم رسول الله ﷺ: «**خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم**»[(٣)].

فالصحابة قاموا بتطبيق أحكام الإسلام ونشروه في مشارق الأرض ومغاربها فعصرهم خير العصور، فهم الذين علموا الأمة القرآن الكريم، ورووا السنن

---

(١) المسند (٤/ ٢٧٣)، البزار رقم (١٥٨٨) رجاله ثقات.

(٢) سنن أبي داود (٤/ ٢٠١)، الترمذي (٥/ ٤٤) حسن صحيح.

(٣) مسلم (٤/ ١٩٦٣، ١٩٦٤).

والآثار عن رسول الله ﷺ ، فتاريخهم هو الكنز الذي حفظ مدخرات الأمة في: الفكر والثقافة والعلم والجهاد، وحركة الفتوحات، والتعامل مع الشعوب والأمم، فتجد الأجيالفي هذا التاريخ المجيد ما يعينها علىٰ مواصلة رحلتها في الحياة علىٰ منهج صحيح، وهدىٰ رشيد، وتعرف من خلاله حقيقة رسالتها ودورها في دنيا الناس.

إن التاريخ الإسلامي أصبح غرضا ومرمىٰ لسهام أعداء الإسلام علىٰ مختلف مذاهبهم وعقائدهم، ويحاولون أن يوجدوا فجوة في الإسلام وتاريخه الزاهر حتىٰ يتسنىٰ لهم عزل الأجيال عن الإسلام وعقيدته وشريعته وقيمه وتراثه العلمي، ولذلك يبذلون قصارىٰ جهدهم لنفث السموم في المجتمع الإسلامي.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،،،

المؤلف

محمد حامد محمد

+ !

في التعريف بذي النورين

■ **اسمه ونسبه وكنيته وألقابه وصفته وأسرته ومكانته في الجاهلية:**

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، فهو قرشي أموي يجتمع هو والنبي ﷺ في عبد مناف، وهو ثالث الخلفاء الراشدين.

ولد بالطائف بعد الفيل بست سنين علىٰ الصحيح (سنة ٥٧٦ م).

وأمه أروىٰ بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، وأم أروىٰ البيضاء بنت عبد المطلب عمة الرسول ﷺ [(١)].

- كنيته:

يكنىٰ بأبي عبد الله وأبي عمرو، كني أولًا بابنه عبد الله ابن زوجته رقية بنت النبي ﷺ. توفي عبد الله سنة أربع من الهجرة بالغًا من العمر ست سنين.

ويقال لعثمان رضي الله عنه: (ذو النورين) لأنه تزوج رقية، وأم كلثوم، ابنتيَّ النبي ﷺ. ولا يعرف أحد تزوج بنتيَّ نبي غيره[(٢)].

- أولاده وأزواجه:

١- عبد الله بن رقية.

٢- عبد الله الأصغر، وأمه فاختة بنت غزوان بن جابر.

---

(١) المسعودي، مروج الذهب (جـ٢/ ص٣٤٠)، الطبري، تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص٦٩٢)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٣/ ص٧٤)، تاريخ الإسلام (جـ١/ ص٢٥٢).

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص٦٩٢)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٢/ ص٧٤)، السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص ١١٩).

٣- عمرو، وأمه أم عمرو بنت جُنْدب.
٤- خالد، وأمه أم عمرو بنت جُنْدب.
٥- أُبان، وأمه أم عمرو بنت جُنْدب.
٦- عمر، وأمه أم عمرو بنت جُنْدب.
٧- مريم وأمها أم عمرو بنت جُنْدَب.
٨- الوليد، وأمه فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس.
٩- سعيد، وأمه فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس.
١٠- أم سعيد وأمها فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس.
١١- عبد الملك وأمه أم البنين بنت عُيينة بن حصن بن حذيفة.
١٢- عائشة، وأمها رملة بنت شيبة بن ربيعة.
١٣- أم أبان، وأمها رملة بنت شيبة بن ربيعة.
١٤- أم عمرو وأمها رملة بنت شيبة بن ربيعة.
١٥- مريم، وأمها نائلة بنت الفُرَافِصَة ابن الأحوص.
١٦- أم البنين وأمها أم ولد وهي التي كانت عند عبد الله بن يزيد بن أبي سفيان.

فأولاده ستة عشر: تسعة ذكور، وسبع إناث، وزوجاته تسع، ولم تذكر هنا أم كلثوم لأنها لم تعقب، وقتل عثمان وعنده رملة، ونائلة، وأم البنين، وفاختة، غير أنه طلق أم البنين وهو محصور[(١)].

- زوجته رقية:

رقية بنت رسول الله ﷺ، وأمها خديجة، وكان رسول الله قد زوَّجها من عتبة بن أبي لهب، وزوَّج أختها أم كلثوم عتيبة بن أبي لهب، فلما نزلت:

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص٦٩٢)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٢/ ص٧٥)، السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص ١١٩).

﴿تَبَّتْ﴾ [المسد:١] قال لهما أبو لهب وأمهما - أم جميل بنت حرب بن أمية - ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾﴾: فارقا ابنتَي محمد، ففارقاهما قبل أن يدخلا بهما كرامة من الله تعالىٰ لهما، وهوانًا لابني أبي لهب، فتزوج عثمان بن عفان رقية بمكة، وهاجرت معه إلىٰ الحبشة، وولدت له هناك ولدًا فسماه: «عبد الله»، وكان عثمان يُكنىٰ به[(١)]، فبلغ الغلام ست سنين، فنقر عينه ديك، فورم وجهه، ومرض، ومات. وكان موته سنة أربع، وصلىٰ عليه رسول الله ﷺ ونزل أبوه عثمان حفرته. ورقية أكبر من أم كلثوم. ولما سار رسول الله ﷺ إلىٰ بدر كانت ابنته رقية مريضة، فتخلَّف عليها عثمان بأمر رسول الله ﷺ ، فتوفيت يوم وصول زيد بن حارثة مبشرًا بظفر رسول الله ﷺ بالمشركين[(٢)]. وكانت قد أصابتها الحصبة فماتت بها.

- زوجته أم كلثوم:

بنت رسول الله ﷺ ، وأمها خديجة، وهي أصغر من أختها رقية، زوَّجها النبي ﷺ من عثمان بعد وفاة رقية، وكان نكاحه إياها في ربيع الأول من سنة ثلاث، وبنىٰ بها في جمادىٰ الآخرة من السنة، ولم تلد منه ولدًا، وتوفيت سنة تسع وصلىٰ عليها رسول الله ﷺ ، ونزل في قبرها عليّ، والفضل، وأسامة بن زيد وقيل: إن أبا طلحة الأنصاري استأذن رسول الله ﷺ في أن ينزل معهم، فأذن له. وقال: «**لو أن لنا ثالثة لزوجنا عثمان بها**».

وروىٰ سعيد بن المسيب أن النبي ﷺ رأىٰ عثمان بعد وفاة رقية مهمومًا لهفانا. فقال له: «**ما لي أراك مهمومًا**»؟ فقال: يا رسول الله وهل دخل علىٰ أحد ما دخل عليَّ ماتت ابنة رسول الله ﷺ التي كانت عندي وانقطع ظهري، وانقطع الصهر بيني وبينك. فبينما هو يحاوره إذ قال النبي ﷺ : «**هذا جبريل**

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص٦٩٢)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٣/ ص٧٤).
(٢) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، حسن إبراهيم حسن، (جـ١/ ص٢٥٣).

عليه السلام يأمرني عن الله ﷻ أن أزوجك أختها أم كلثوم علىٰ مثل صداقها، وعلىٰ مثل عشرتها» فزوجه إياها.

- صفته:

كان عثمان جميلًا وكان ربعة -لا بالقصير ولا بالطويل-، حسن الوجه، رقيق البشرة كبير اللحية، أسمر اللون، كثير الشعر، ضخم الكراديس[(١)]، بعيد ما بين المنكبين، له جُمَّة[(٢)] أسفل من أذنيه، جذل الساقين، طويل الذراعين، شعره قد كسا ذراعيه. أقنىٰ (بيِّن القنا)، بوجهه نكتات جدري، وكان يصفر لحيته ويشد أسنانه بالذهب[(٣)].

وكان رضي الله عنه أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر، وكان رجال قريش يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمور لعلمه، وتجاربه، وحسن مجالسته، وكان شديد الحياء، ومن كبار التجار.

أخبر سعيد بن العاص أن عائشة رضي الله عنها وعثمان حدثاه: أن أبا بكر استأذن النبي ﷺ وهو مضطجع علىٰ فراشه لابس مرط عائشة فأذن له وهو كذلك، فقضىٰ إليه حاجته، ثم انصرف. ثم استأذن عمر فأذن له، وهو علىٰ تلك الحال، فقضىٰ إليه حاجته، ثم انصرف. ثم استأذن عليه عثمان فجلس وقال لعائشة: «**اجمعي عليك ثيابك**» فقضىٰ إليه حاجته، ثم انصرف. قالت عائشة: يا رسول الله لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر كما فزعت لعثمان! قال رسول الله ﷺ: «**إن عثمان رجل حيي وإني خشيت إن أذنت له علىٰ تلك الحال لا يُبلغ إليّ حاجته**»[(٤)]. وقال الليث: قال جماعة من الناس: «ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة».

---

(١) الكراديس: جمع كردوسة، كل عظمين التقيا في مفصل، وقيل رؤوس العظام.

(٢) جُمَّة: مجتمع شعر الرأس، إذا تدلَّىٰ من الرأس إلىٰ شحمة الأذن.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية (جـ٧/ ص ١٩٢).

(٤) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: (٢٧)، وأحمد في (م ٦/ ص ١٥٥).

لا يوقظ نائمًا من أهله إلا أن يجده يقظان فيدعوه فيناوله وضوءه، وكان يصوم الدهر[(١)]، ويلي وضوء الليل بنفسه. فقيل له: لو أمرت بعض الخدم فكفوك، فقال: لا، الليل لهم يستريحون فيه. وكان ليِّن العريكة، كثير الإحسان والحلم. قال رسول الله ﷺ : «**أصدق أمتي حياءً عثمان**»[(٢)]. وهو أحد الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وقال عن نفسه قبل قتله: «والله ما زنيت في جاهلية وإسلام قط».

- لباسه:

رئي وهو علىٰ بغلة عليه ثوبان أصفران له غديرتان، ورئي وهو يبني الزوراء[(٣)] علىٰ بغلة شهباء مصفِّرًا لحيته، وخطب وعليه خميصة[(٤)] سوداء وهو مخضوب بحناء، ولبس ملاءة صفراء وثوبين ممصرين، وبردًا يمانيًا ثمنه مائة درهم، وتختم في اليسار، وكان ينام في المسجد متوسدًا رداءه.

- مكانته في الجاهلية:

كان رضي الله عنه في أيام الجاهلية من أفضل الناس في قومه؛ فهو عريض الجاه ثري، شديد الحياء، عذب الكلمات، فكان قومه يحبونه أشد الحب ويوقرونه. لم يسجد في الجاهلية لصنم قط ولم يقترف فاحشة قط، فلم يشرب خمرا قبل الإسلام وكان يقول: إنها تُذْهب العقل والعقل أسمىٰ ما منحه الله للإنسان، وعلىٰ الإنسان أن يسمو به، لا أن يصارعه. وفي الجاهلية كذلك لم تجذبه أغاني الشباب ولا حلقات اللهو، ثم إن عثمان كان يتعفف عن أن يرىٰ عورة[(٥)]. ويرحم الله عثمان رضي الله عنه فقد يسر لنا سبيل التعرف عليه؛ حيث قال: ما تغنيت،

---

(١) الإصابة (جـ ٤/ ص٢٢٣).

(٢) رواه ابن ماجه في المقدمة، باب: (١١)، وأحمد في (م ٣/ ص ١٨٤).

(٣) الزوراء: دار عثمان بالمدينة.

(٤) الخميصة: كساء أسود له علمان، فإن لم يكن معلمًا فليس بخميصة.

(٥) موسوعة التاريخ الإسلامي، أحمد شلبي (١/ ٦١٨).

ولا تمنيت، و لا مسست ذكري بيمني منذ بايعت بها رسول الله ﷺ ، ولا شربت خمرًا في جاهلية ولا إسلام، ولا زنيت في جاهلية ولا في إسلام[١]. وكان رضي الله عنه علىٰ علم بمعارف العرب في الجاهلية ومنها الأنساب والأمثال وأخبار الأيام، وساح في الأرض فرحل إلىٰ الشام والحبشة، وعاشر أقواما غير العرب فعرف من أحوالهم وأطوارهم ما ليس يعرفه غيره[٢]. واهتم بتجارته التي ورثها عن والده، ونمت ثرواته، وأصبح يعد من رجالات بني أمية الذين لهم مكانة في قريش كلها، فقد كان المجتمع المكي الجاهلي الذي عاش فيه عثمان يقدر الرجال حسب أموالهم، ويهاب فيه الرجال حسب أولادهم وإخوتهم ثم عشيرتهم وقومهم، فنال عثمان مكانة مرموقة في قومه، ومحبة كبيرة.

ومن أطرف ما يروىٰ عن حب الناس لعثمان لما تَجَمَّع فيه من صفات الخير أن المرأة العربية في عصره كانت تغني لطفلها أغنية تحمل تقدير الناس له وثناءهم عليه، فقد كانت تقول:

أحبـــــــك والـــــــرحمن حـــــبَّ قـــــريش لعثمـــــان[٣]

- إسلامه:

كان عثمان قد ناهز الرابعة والثلاثين من عمره حين دعاه أبو بكر الصديق إلىٰ الإسلام، ولم يعرف عنه تكلؤ أو تلعثم بل كان سباقا أجاب علىٰ الفور دعوة الصديق، فكان بذلك من السابقين الأولين حتىٰ قال أبو إسحاق: كان أول الناس إسلاما بعد أبىٰ بكر وعلي وزيد بن حارثة عثمان[٤]. فكان بذلك رابع من أسلم من الرجال، ولعل سبقه هذا إلىٰ الإسلام كان نتيجة لما حدث له عند

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٦٠، ٦١) الخبر صحيح.

(٢) عبقرية عثمان للعقاد (ص٧٢).

(٣) موسوعة التاريخ الإسلامي (١/ ٦١٨).

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٨٧ - ٢٨٩).

عودته من الشام، وقد قصه ﷺ علىٰ رسول الله ﷺ حين دخل عليه هو وطلحة بن عبيد الله، فعرض عليهما الإسلام وقرأ عليهما القرآن، وأنبأهما بحقوق الإسلام ووعدهما الكرامة من الله فآمنا وصدقا، فقال عثمان: يا رسول الله، قدمت حديثا من الشام، فلما كنا بين معان والزرقاء فنحن كالنيام فإذا منادٍ يناديا: أيها النيام هبوا، فإن أحمد قد خرج بمكة، فقدمنا فسمعنا بك[(١)].

لا شك أن هذه الحادثة تترك في نفس صاحبها أثرًا إيجابيًا لا يستطيع أن يتخلىٰ عنه، عندما يرىٰ الحقيقة ماثلة بين عينيه، فمن ذا الذي يسمع بخروج النبي قبل أن يصل إلىٰ البلد الذي يعيش فيه، حتىٰ إذا نزله ووجد الأحداث والحقائق تنطق كلها بصدق ما سمع به ثم يتردد في إجابة الدعوة؟ لا يستطيع الإنسان مهما كان مكابرا إلا أن يذعن للحق، ومهما أظهر الجفاء فإن ضميره لا يزال يتلجلج في صدره حتىٰ يؤمن به أو يموت، فيتخلص من وخز الضمير وتأنيبه، ولم تكن سرعة تلبيته عن طيش أو حمق، ولكنها كانت عن يقين راسخ وتصديق لا يتطرق إليه شك[(٢)]. فقد تأمل في هذه الدعوة الجديدة بهدوء كعادته في معالجة الأمور، فوجد أنها دعوة إلىٰ الفضيلة، ونبذ الرذيلة، دعوة إلىٰ التوحيد وتحذير من الشرك، دعوة إلىٰ العبادة وترهيب من الغفلة، ودعوة إلىٰ الأخلاق الفاضلة، وترهيب من الأخلاق السيئة، ثم نظر إلىٰ قومه، فإذا هم يعبدون الأوثان، ويأكلون الميتة، ويسيئون الجوار، ويستحلون المحارم من سفك الدماء وغيرها[(٣)]. وإذا بالنبي محمد بن عبد الله ﷺ صادق أمين يعرف عنه كل خير، ولا يعرف عنه شر قط، فلم تعهد عليه كذبة ولم تحسب عليه خيانة، فإذا هو يدعو إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له وإلىٰ صلة الرحم، وحسن الجوار،

(١) الطبقات لابن سعد (٣/ ٥٥).
(٢) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين (ص٣٠٢).
(٣) انظر: مرويات العهد المكي، عادل عبد الغفور (٢/ ٨٠٥).

والصلاة والصوم، وألا يعبد غير الله[١]، فأسلموا علىٰ يد أبي بكر الصديق، ومضىٰ في إيمانه قُدُمًا قويًا هاديًا، وديعًا صابرًا، عظيمًا راضيًا، عفوًا كريمًا، محسنًا رحيمًا، سخيًّا باذلًا، يواسي المؤمنين، ويعين المستضعفين، حتىٰ اشتدت قناة الإسلام[٢].

وفي إسلام عثمان قالت خالته سعدىٰ بنت كريز:

هدى الله عثمانا بقولي إلى الهدى وأرشده والله يهدي إلى الحق
فتابع بالرأي السديد محمدا وكان برأي لا يصد عن الصدق
وأنكحه المبعوث بالحق بنته فكان كبَدْر مَازَجَ الشمس في الأفق
فداؤك يا ابن الهاشميين مهجتي وأنت أمين الله أرسلت للخلق[٣]

- هجرته:

هاجر عثمان إلىٰ أرض الحبشة فارًا بدينه مع زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، فكان أول مهاجر إليها، ثم تابعه سائر المهاجرين إلىٰ أرض الحبشة، ثم هاجر الهجرة الثانية إلىٰ المدينة. عن أنس قال: أول من هاجر إلىٰ الحبشة عثمان، وخرجت معه ابنة رسول الله ﷺ[٤]، فأبطأ علىٰ رسول الله ﷺ خبرهما، فجعل يتوكف الخبر فقدمت امرأة من قريش من أرض الحبشة فسألها، فقالت: رأيتها، فقال: «**علىٰ أيّ حال رأيتها؟**» قالت: رأيتها وقد حملها علىٰ حمار من هذه الدواب وهو يسوقها، فقال النبي ﷺ: «**صحبهما الله، إن كان عثمان لأول من هاجر إلىٰ الله ﷻ بعد لوط**»[٥].

---

(١) فتنة مقتل عثمان، د. محمد عبد الله الغبان (١/ ٣٧).
(٢) عثمان بن عفان، صادق عرجون (ص٥٣).
(٣) السيرة النبوية للصلابي (١/ ١٤٥).
(٤) الفتاوىٰ (١٣/ ١٧٧).
(٥) البخاري، فضائل القرآن، رقم (٥٠٢٧).

- تبشيره بالجنة:

كان عثمان رضي الله عنه أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة.

عن أبي موسىٰ الأشعري، قال: كنت مع رسول الله ﷺ في حديقة بني فلان والباب علينا مغلق إذ استفتح رجل فقال النبي ﷺ: «**يا عبد الله بن قيس، قم فافتح له الباب وبشِّره بالجنة**» فقمت، ففتحت الباب فإذا أنا بأبي بكر الصدِّيق فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ، فحمد الله ودخل وقعد، ثم أغلقت الباب فجعل النبي ﷺ ينكت بعود في الأرض فاستفتح آخر فقال: يا عبد الله بن قيس قم فافتح له الباب وبشِّره بالجنة، فقمت، ففتحت، فإذا أنا بعمر بن الخطاب فأخبرته بما قال النبي ﷺ، فحمد الله ودخل، فسلم وقعد، وأغلقت الباب فجعل النبي ﷺ ينكت بذلك العود في الأرض إذ استفتح الثالث الباب فقال النبي ﷺ: «**يا عبد الله بن قيس، قم فافتح الباب له وبشره بالجنة علىٰ بلوىٰ تكون**»[(١)]، فقمت، ففتحت الباب، فإذا أنا بعثمان بن عفان، فأخبرته بما قال النبي ﷺ، فقال: «**الله المستعان وعليه التكلان**»، ثم دخل، فسلم وقعد.

وقال ﷺ: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، والآخر لو شئت سميته**»[(٢)]، ثم سمَّىٰ نفسه.

وعن سعيد بن زيد أن رجلًا قال له: أحببت عليًا حبًا لم أحبه شيئًا قط. قال: «أحسنت، أحببت رجلًا من أهل الجنة». قال: وأبغضت عثمان بغضًا لم أبغضه شيئًا قط، قال: «أسأت، أبغضت رجلًا من أهل الحنة»، ثم أنشأ يحدث قال: بينما رسول الله ﷺ علىٰ حراء ومعه أبو بكر وعمر، وعثمان وعلي، وطلحة

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٢: ٥٤٦)، والبغوي في شرح السنة (١٤: ١٠٨).

(٢) رواه أبو داود في كتاب السنة، باب: في الخلفاء، وابن ماجه في المقدمة، باب: فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، وأحمد في (م ١/ ص١٨٧).

والزبير قال: «**اثْبُتْ حِرَاءُ ما عليك إلا نبيٌّ أو صدِّيق أو شهيد**»[(١)].

وعن أنس قال: صعد النبي ﷺ أحدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف الجبل فقال: «**اثبت أحد فإنما عليك نبيٌّ وصدِّيق وشهيدان**»[(٢)].

وعن حسان بن عطية قال: قال رسول الله ﷺ : «**غفر الله لك يا عثمان ما قدَّمتَ، وما أخَّرتَ، وما أسررتَ، وما أعلنتَ، وما هو كائن إلىٰ يوم القيامة**»[(٣)].

- تخلّفه عن بيعة الرضوان:

في الحديبية دعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ليبعثه إلىٰ مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشًا علىٰ نفسي، وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها، ولكني أدلّك علىٰ رجل أعز بها مني، عثمان بن عفان، فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان، فبعثه إلىٰ أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحربهم وأنه إنما جاء زائرًا لهذا البيت ومعظِّمًا لحرمته.

فخرج عثمان إلىٰ مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها، فحمله بين يديه، ثم أجاره حتىٰ بلَّغ رسالة رسول الله ﷺ . فانطلق عثمان حتىٰ أتىٰ أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف، فقال: ما كنت لأفعل حتىٰ يطوف رسول الله ﷺ ، واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله والمسلمين أن عثمان بن عفان قد قتل،

---

(١) رواه أبو داود في كتاب السنة، باب: في الخلفاء، والترمذي في كتاب المناقب، باب: (٢٧)، وابن ماجه في المقدمة باب: في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ .

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب: قول النبي ﷺ : «**لو كنت متخذًا خليلًا**»، وأبو داود في كتاب السنة، باب: في الخلفاء، وأحمد في (م ٥/ ص٣٣١).

(٣) رواه المتقي الهندي في كتاب كنز العمال (٣٢٨٤٧)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٦: ٢٢٥٣).

وقيل: إنه دخل مكة ومعه عشرة من الصحابة بإذن رسول الله ليزوروا أهاليهم ولم يذكروا أسمائهم، وقيل: إن قريشًا احتبست عثمان عندها ثلاثة أيام، وأشاع الناس أنهم قتلوه هو والعشرة الذين معه. وعلىٰ كل حال أبطأ عثمان رضي الله عنه عن الرجوع فقلق عليه المسلمون، فلما بلغ ذلك الخبر رسول الله ﷺ قال: «**لا نبرح حتىٰ نناجز القوم**»(١).

ولما لم يكن قتل عثمان رضي الله عنه محققًا، بل كان بالإشاعة بايع النبي ﷺ عنه علىٰ تقدير حياته. وفي ذلك إشارة منه إلىٰ أن عثمان لم يُقتل، وإنما بايع القوم أخذًا بثأر عثمان جريًا علىٰ ظاهر الإشاعة تثبيتًا وتقوية لأولئك القوم، فوضع يده اليمنىٰ علىٰ يده اليسرىٰ وقال: «**اللَّهم هذه عن عثمان في حاجتك وحاجة رسولك**»(٢).

قال تعالىٰ يذكر هذه البيعة: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[الفتح:١٨]، وبعد أن جاء عثمان رضي الله عنه بايع بنفسه.

- تخلفه عن غزوة بدر:

تزوَّج عثمان رضي الله عنه رقية بنت رسول الله بعد النبوة، وتوفيت عنده في أيام غزوة بدر في شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة، وكان تأخره عن بدر لتمريضها بإذن رسول الله ﷺ ، فجاء البشير بنصر المؤمنين يوم دفنوها بالمدينة، وضرب رسول الله لعثمان بسهمه وأجره في بدر فكان كمن شهدها، أي أنه معدود من البدريين(٣).

- كراماته:

عن نافع: أن جهجاهًا الغفاري تناول عصا عثمان وكسرها علىٰ ركبته

---

(١) رواه ابن كثير في البداية والنهاية (٤: ١٦٧).
(٢) تاريخ الإسلام للذهبي (جـ١/ ص٢٥٣).
(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص١١٨).

فأخذته الأكلة[١] في رجله، وعن أبي قلابة، قال: كنت في رفقة بالشام سمعت صوت رجل يقول: يا ويلاه النار، وإذا رجل مقطوع اليدين والرجلين من الحقوين، أعمىٰ العينين، منكبًا لوجهه، فسألته عن حاله فقال: إني قد كنت ممن دخل علىٰ عثمان الدار، فلما دنوت منه صرخت زوجته فلطمتها فقال: «ما لك قطع الله يديك ورجليك وأعمىٰ عينيك وأدخلك النار!»، فأخذتني رعدة عظيمة وخرجت هاربًا فأصابني ما ترىٰ ولم يبقىٰ من دعائه إلا النار، قال: فقلت له بعدًا لك وسحقًا، أخرجهما الملأ في سيرته، وعن مالك أنه قال: كان عثمان مرَّ بحش كوكب[٢] فقال: إنه سيدفن هنا رجل صالح فكان أول من دفن فيه[٣].

- تجهيزه جيش العسرة:

يقال لغزوة تبوك غزوة العُسرة، مأخوذة من قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة:١١٧].

ندب رسول الله ﷺ الناس إلىٰ الخروج وأعلمهم المكان الذي يريد ليتأهبوا لذلك، وبعث إلىٰ مكة وإلىٰ قبائل العرب يستنفرهم وأمر الناس بالصدقة، وحثهم علىٰ النفقة والحملان، فجاءوا بصدقات كثيرة، فكان أول من جاء أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه، فجاء بماله كله ٤٠٠٠ درهم فقال له ﷺ: «**هل أبقيت لأهلك شيئًا؟**» قال: أبقيت لهم الله ورسوله. وجاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله فسأله: «**هل أبقيت لهم شيئًا؟**»[٤] قال: نعم، نصف مالي. وجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بمائتي أوقية، وتصدق عاصم بن عَدِيّ بسبعين وسقًا من تمر، وجهَّز عثمان رضي الله عنه ثلث الجيش جهزهم بتسعمائة وخمسين بعيرًا وبخمسين فرسًا.

---

(١) الأَكَلَة: الحكَّة.

(٢) حش كوكب: موقع إلىٰ جانب بقيع الغرقد بالمدينة.

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص١٣١).

(٤) رواه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (١: ١١).

قال ابن إسحاق: أنفق عثمان رضي الله عنه في ذلك الجيش نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها. وقيل: جاء عثمان رضي الله عنه بألف دينار في كمه حين جهز جيش العُسرة فنثرها في حجر رسول الله فقبلها في حجر وهو يقول: «**ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم**». وقال رسول الله: «**من جهز جيش العُسرة فله الجنة**»(١).

- حفره بئر رومة:

واشترىٰ بئر رومة من اليهود بعشرين ألف درهم، وسبلها للمسلمين. كان رسول الله قد قال: «**من حفر بئر رومة فله الجنة**»(٢).

وهذه البئر في عقيق المدينة: روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**نعم القليب قليب المُزَني**»، وهي التي اشتراها عثمان بن عفان فتصدق بها. وروي عن موسىٰ بن طلحة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**نعم الحفير حفير المزني**» - يعني رومة، فلما سمع عثمان ذلك ابتاع نصفها بمائة بكرة وتصدق بها علىٰ المسلمين فجعل الناس يستقون منها. فلما رأىٰ صاحبها أنه امتنع منه ما كان يصيب منها باعها من عثمان بشيء يسير فتصدق بها كلها(٣).

- علمه وقراءته القرآن:

كان عثمان أعلم الصحابة بالمناسك، وبعده ابن عمر.

وكان يحيي الليل، فيختم القرآن في ركعة، قالت امرأة عثمان حين قتل: لقد قتلتموه وإنه ليحيي الليل كله بالقرآن في ركعة، وعن عطاء ابن أبي رباح: «إن عثمان بن عفان صلىٰ بالناس، ثم قام خلف المقام، فجمع كتاب الله في ركعة كانت وتره فسميت بالبتيراء»، وكان يضرب المثل به في التلاوة، أما عمر بن الخطاب فكان يضرب المثل به في قوة الهيبة، وعلي بن أبي طالب في القضاء(٤).

---

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص١٢١).
(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص١٢١).
(٣) تذكرة الحفاظ (جـ١/ ص٩).
(٤) رواه ابن حجر العسقلاني في تغليق التعليق (٩٣٧).

- زيادته في المسجد النبوي (سنة ٢٩ هـ/ ٦٥٠ م):

كان المسجد النبوي علىٰ عهد رسول الله ﷺ مبنيًّا باللبن وسقفه الجريد، وعمده خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئًا وزاد فيه عمرًا وبناه علىٰ بنائه في عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد وأعاد عمده خشبًا، ثم غيَّره عثمان، فزاد فيه زيادة كبيرة، وبنىٰ جداره بالحجارة المنقوشة والفضة، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج، وجعل أبوابه علىٰ ما كانت أيام عمر ستة أبواب.

وروىٰ يحيىٰ عن المطلب بن عبد الله بن حنطب قال: لما ولي عثمان بن عفان سنة أربع وعشرين، كلَّمه الناس أن يزيد في مسجدهم، وشكوا إليه ضيقه يوم الجمعة، حتىٰ إنهم ليصلون في الرحاب. فشاور فيه عثمان أهل الرأي من أصحاب رسول الله ﷺ، فأجمعوا علىٰ أن يهدمه ويزيد فيه، فصلَّىٰ الظهر بالناس، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: «أيها الناس إني أردت أن أهدم مسجد رسول الله ﷺ وأزيد فيه وأشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من بنىٰ مسجدًا بنىٰ الله له بيتًا في الجنة**»[(١)]، وقد كان لي فيه سلف، وإمام سبقني وتقدمني عمر بن الخطاب، كان قد زاد فيه وبناه، وقد شاورت أهل الرأي من أصحاب رسول الله ﷺ، فأجمعوا علىٰ هدمه وبنائه وتوسيعه»، فحسن الناس يومئذ ذلك ودعوا له، فأصبح، فدعا العمال وباشر ذلك بنفسه، وكان رجلًا يصوم الدهر ويصلي الليل، وكان لا يخرج من المسجد، وأمر بالفضة المنخولة تعمل ببطن نخل، وكان أول عمله في شهر ربيع الأول من سنة ٢٩ هـ، وفرغ منه حين دخلت السنة لهلال المحرم سنة ٣٠ فكان عمله عشرة أشهر[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر: كان بناء عثمان للمسجد سنة ثلاثين علىٰ المشهور. وقيل: في آخر سنة من خلافته.

---

(١) رواه مسلم في كتاب المساجد، باب: ٢٤، وأحمد في (م ١/ ص٢٠).

(٢) تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص٦٠٦)، السيوطي تاريخ الخلفاء (ص١٢٤).

وروىٰ يحيىٰ عن أفلح بن حميد عن أبيه قال: لما أراد عثمان أن يكلم الناس علىٰ المنبر ويشاورهم قال له مروان بن الحكم: فداك أبي وأمي، هذا أمر خير لو فعلته ولم تذكر لهم، فقال: وبحك، إني أكره أن يروا أني أستبد عليهم بالأمور، قال مروان: فهل رأيت عمر حين بناه وزاد فيه ذكر لهم؟ قال: اسكت إن عمر اشتد عليهم فخافوه حتىٰ لو أدخلهم في جحر ضب دخلوا، وإني لنت لهم، حتىٰ أصبحت أخشاهم. قال مروان بن الحكم: فداك أبي وأمي لا يسمع هذا منك فيُجترأ عليك.

وقد جعل عثمان طول المسجد مائة وستين ذراعًا وعرضه مائة وخمسين[(١)].

- زيادته في المسجد الحرام (سنة ٢٦ هـ/ ٦٤٧ م):

كان المسجد الحرام فناء حول الكعبة، وفناء للطائفين، ولم يكن له علىٰ عهد النبي ﷺ، وأبي بكر رضي الله عنه جدار يحيط به، وكانت الدور محدقة به، وبين الدور أبواب يدخل الناس من كل ناحية، فلما استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكثر الناس وسع المسجد واشترىٰ دورًا وهدمها وزادها فيه واتخذ للمسجد جدارًا قصيرًا دون القامة، وكانت المصابيح توضع عليه، وكان عمر رضي الله عنه أول من اتخذ الجدار للمسجد الحرام[(٢)].

فلما استخلف عثمان رضي الله عنه ابتاع منازل ووسعه بها أيضًا، وبنىٰ المسجد الحرام، والأروقة، فكان عثمان رضي الله عنه أول من اتخذ للمسجد الأروقة[(٣)]. وكانت كسوة الكعبة في الجاهلية الأنطاع[(٤)] والمغافر، فكساها رسول الله الثياب اليمانية، ثم كساها عمر وعثمان القُباطي[(٥)].

---

(١) أسد الغابة (جـ٤/ ص٣٤٨).
(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص ٥٩٥).
(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٣/ ص٤٣).
(٤) الأنطاع: بُسط من الأديم أي الجلد.
(٥) القُباطي: ثياب من كتان نُسجت في مصر.

- أوليات عثمان:

هو أول من رزق المؤذنين، وأول من ارتج عليه في الخطبة، وأول من قدَّم الخطبة في العيد علىٰ الصلاة، وأول من فوَّض إلىٰ الناس إخراج زكاتهم، وأول من ولي الخلافة في حياة أمه، وأول من اتخذ صاحب شرطة، وأول من هاجر بأهله من هذه الأمة، وأول من جمع الناس علىٰ حرف واحد في القراءة، وأول من زاد النداء الثالث يوم الجمعة علىٰ الزوراء، وأول من نخل له الدقيق، وأول من أقطع القطائع، وأول من حمىٰ الحمىٰ لنعم الصدقة[١].

■ ملازمته للنبي ﷺ في المدينة:

إن الرافد القوي الذي أثر في شخصية عثمان رضي الله عنه وصقل مواهبه وفجر طاقته، وهذب نفسه هو مصاحبته لرسول الله ﷺ وتتلمذه علىٰ يديه في مدرسة النبوة، ذلك أن عثمان رضي الله عنه لازم الرسول ﷺ في مكة بعد إسلامه كما لازمه في المدينة بعد هجرته؛ فقد نظم عثمان نفسه، وحرص علىٰ التلمذة في حلقات مدرسة النبوة في فروع شتىٰ من المعارف والعلوم علىٰ يدي معلم البشرية وهاديها الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه، فحرص علىٰ تعلم القرآن الكريم والسنة المطهرة من سيد الخلق أجمعين.

وهذا عثمان يحدثنا عن ملازمته لرسول الله ﷺ فيقول: إن الله ﷻ بعث محمدا بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكنت ممن استجاب لله ولرسوله وآمن، فهاجرت الهجرتين الأوليين، ونلت صهر رسول الله، ورأيت هديه[٢].

لقد تربىٰ عثمان رضي الله عنه علىٰ المنهج القرآني، وكان المربي له رسول الله ﷺ ، وكانت نقطة البدء في تربية عثمان هي لقاءه برسول الله ﷺ ، فحدث له تحول غريب واهتداء مفاجئ بمجرد اتصاله بالنبي ﷺ ، فخرج من دائرة الظلام

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص١٣١).

(٢) فضائل الصحابة لأبي عبد الله أحمد بن حنبل (١/ ٥٩٧).

إلىٰ دائرة النور، واكتسب الإيمان وطرح الكفر، وقوىٰ علىٰ تحمل الشدائد والمصائب في سبيل الإسلام وعقيدته السمحة. كانت شخصية رسول الله ﷺ تملك قوىٰ الجذب والتأثير علىٰ الآخرين، فقد صنعه الله علىٰ عينه، وجعله أكمل صورة لبشر في تاريخ الأرض، والعظمة دائما تحب وتحاط من الناس بالإعجاب، ويلتف حولها المعجبون ويلتصقون بها التصاقا بدافع الإعجاب والحب، ولكن رسول الله ﷺ يضيف إلىٰ عظمته تلك أنه رسول الله ﷺ متلقي الوحي من الله، ومبلغه إلىٰ الناس، وذلك بُعْد آخر له أثره في تكييف مشاعر ذلك المؤمن تجاهه، فهو لا يحبه لذاته فقط كما يحب العظماء من الناس، ولكن أيضا لتلك النفخة الربانية التي تشمله من عند الله، فهو معه في حضرة الوحي الإلهي المكرم، ومن ثم يلتقي في شخص الرسول ﷺ البشر العظيم والرسول العظيم، ثم يصبحان شيئا واحدا في النهاية، غير متميز البداية ولا النهاية، حب عميق شامل للرسول البشر أو للبشر الرسول، ويرتبط حب الله بحب رسوله ﷺ ، ويمتزجان في نفسه فيصبحان في مشاعره هما نقطة ارتكاز المشاعر كلها، ومحور الحركة الشعورية والسلوكية كلها كذلك.

كان هذا الحب الذي حرك الرعيل الأول من الصحابة هو مفتاح التربية الإسلامية ونقطة ارتكازها ومنطقها الذي تنطلق منه[1].

لقد حصل لعثمان رضي الله عنه وللصحابة ببركة صحبتهم لرسول الله ﷺ وتربيتهم علىٰ يديه أحوال إيمانية عالية، ولقد تتلمذ عثمان رضي الله عنه علىٰ يدي رسول الله، فتعلم منه القرآن الكريم والسنة النبوية، وأحكام التلاوة وتزكية النفوس، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران:٦٤].

(١) منهج التربية الإسلامية، لمحمد قطب (ص٣٤، ٣٥).

وحرص علىٰ التبحر في الهدي النبوي الكريم خلال ملازمته رسول الله ﷺ في غزواته وسِلْمه، وقد أمدته تلك المعايشة بخبرة ودربة ودراية بشئون الحرب ومعرفة بطبائع النفوس وغرائزها، وسنبين تمثلت في:

أولاً: عثمان رضي الله عنه في ميادين الجهاد مع رسول الله ﷺ :

شرع رسول الله ﷺ بعد استقراره بالمدينة في تثبيت دعائم الدولة الإسلامية، فآخىٰ بين المهاجرين والأنصار، فكل مهاجري يتخذ أخًا له من الأنصار، فكان نصيب عثمان بن عفان في المؤاخاة أوس بن ثابت(١)، ثم أقام النبي ﷺ المسجد، وأبرم المعاهدة مع اليهود، وبدأت حركة السرايا، واهتم بالبناء الاقتصادي والتعليمي والتربوي في المجتمع الجديد. وكان عثمان رضي الله عنه من أعمدة الدولة الإسلامية، فلم يبخل بمشورة أو مال أو رأي، وشهد المشاهد كلها إلا غزوة بدر(٢).

١- عثمان وغزوة بدر:

لما خرج المسلمون لغزوة بدر كانت زوجة عثمان السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ مريضة بمرض الحصبة ولزمت الفراش، في الوقت الذي دعا فيه رسول الله ﷺ للخروج لملاقاة القافلة، وسارع عثمان رضي الله عنه للخروج مع رسول الله ﷺ ، إلا انه تلقىٰ أمرًا بالبقاء إلىٰ جانب رقية رضي الله عنها لتمريضها، وامتثل لهذا الأمر بنفس راضية وبقي إلىٰ جوار زوجته الصابرة الطاهرة رقية ابنة رسول الله ﷺ إذ اشتد بها المرض، وطاف بها شبح الموت، كانت رقية رضي الله عنها تجود بأنفاسها وهي تتلهف لرؤية أبيها الذي خرج إلىٰ بدر، ورؤية أختها زينب في مكة، وجعل عثمان رضي الله عنه يرنو إليها من خلال دموعه، والحزن يعتصر قلبه(٣)، ودعت نبض

(١) الأمين ذو النورين، محمود شاكر (ص٤٠).
(٢) الخلفاء الراشدون، عبد الوهاب النجار (ص٢٦٩).
(٣) نساء أهل البيت، أحمد خليل جمعة (ص ٤٩١ - ٥٠٤).

الحياة وهي تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ولحقت بالرفيق الأعلىٰ، ولم ترَ أباها رسول الله ﷺ ؛ حيث كان ببدر مع أصحابه الكرام، يعلون كلمة الله، فلم يشهد دفنها ﷺ ، وجهزت رقية ثم حمل جثمانها الطاهر علىٰ الأعناق، وقد سار خلفه زوجها وهو حزين، حتىٰ إذا بلغت الجنازة البقيع، دفنت رقية هناك، وقد انهمرت دموع المشيعين، وسوىٰ التراب علىٰ قبر رقية بنت رسول الله ﷺ . وفيما هم عائدون إذ بزيد ابن حارثة قد أقبل علىٰ ناقة رسول الله ﷺ يبشر بسلامة رسول الله ﷺ وقتل المشركين وأسر أبطالهم، وتلقىٰ المسلمون في المدينة هذه الأنباء بوجوه مستبشرة بنصر الله لعباده المؤمنين، وكان من بين المستبشرين وجه عثمان الذي لم يستطع أن يخفي آلامه لفقده رقية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

وبعد عودة الرسول ﷺ علم بوفاة رقية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فخرج إلىٰ البقيع ووقف علىٰ قبر ابنته يدعو لها بالغفران(١).

لم يكن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ممن تخلفوا عن بدر لتقاعس منه أو هروب ينشده كما يزعم أصحاب الأهواء ممن طعن عليه بتغيبه عن بدر، فهو لم يقصد مخالفة الرسول ﷺ ؛ لأن الفضل الذي حازه أهل بدر في شهود بدر طاعة الرسول ومتابعته، وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج فيمن خرج مع رسول الله فردَّه ﷺ للقيام علىٰ ابنته، فكان في أَجَلِّ فرض لطاعته لرسول الله وتخليفه، وقد ضرب له بسهمه وأجره فشاركهم في الغنيمة والفضل والأجر لطاعته الله ورسوله وانقياده لهما(٢).

فعن عثمان بن عبد الله بن موهب قال: جاء رجل من مصر حج البيت فقال: يا ابن عمر إني سائلك عن شيء فحدثني أنشدك الله بحرمة هذا البيت، هل تعلم

---

(١) دماء علىٰ قميص عثمان بن عفان (ص٢٠).

(٢) كتاب الإمامة والرد علىٰ الرافضة، للأصبهاني (ص٣٠٢).

أن عثمان تغيب عن بدر فلم يشهدها؟

فقال: نعم، ولكن أما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله فمرضت، فقال له رسول الله ﷺ: «**لك أجر رجل شهد بدرًا وسهمه**»[(١)].

وعن أبي وائل، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال: أما يوم بدر فقد تخلفت علىٰ بنت رسول الله ﷺ، وقد ضرب رسول الله ﷺ لي فيها بسهم. وقال زائدة في حديثه: ومن ضرب له رسول الله ﷺ فيها بسهم فقد شهد[(٢)]. وقد عُد عثمان رضي الله عنه من البدريين بالاتفاق[(٣)].

٢- عثمان وغزوة أحد:

في غزوة أحد منح الله ﷻ النصر للمسلمين في أول المعركة، وأخذت سيوف المسلمين تعمل عملها في رقاب المشركين، وكانت الهزيمة لا شك فيها، وقتل أصحاب لواء المشركين واحدًا واحدًا، ولم يقدر أحد أن يدنو من اللواء، وانهزم المشركون، وولولت النسوة بعد أن كن يغنين بحماس ويضربن بالدفوف، فألقين بالدفوف وانصرفن مذعورات إلىٰ الجبل كاشفات سيقانهن، ولكن مال ميزان المعركة فجأة، وكان سبب ذلك أن الرماة الذين أوكل إليهم النبي ﷺ مكانًا علىٰ سفح الجبل لا يغادرونه مهما كانت نتيجة المعركة قد تخلوا إلا قليلًا عن أماكنهم، ونزلوا إلىٰ الساحة يطلبون الغنائم لما نظروا المسلمين يجمعونها، وانتهز خالد بن الوليد قائد سلاح الفرسان القرشي فرصة خلو الجبل من الرماة، وقلة من به منهم فكرَّ بالخيل ومعه عكرمة بن أبي جهل، فقتلوا بقية الرماة ومعهم أميرهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه الذي ثبت هو وطائفة قليلة معه، وفي غفلة المسلمين، وأثناء انشغالهم بالغنائم أطبق خالد ومن معه عليهم، فأعملوا فيهم القتل، فاضطرب أمر المسلمين اضطرابًا شديدًا، وانهزمت

---

(١) البخاري، رقم (٣٦٩٨).

(٢) الإمامة والرد علىٰ الرافضة (ص٣٠٤).

(٣) عثمان بن عفان، صادق عرجون (ص٤٧).

طائفة من المسلمين إلىٰ قرب المدينة منهم عثمان بن عفان ولم يرجعوا حتىٰ انفض القتال، وفرقة صاروا حيارىٰ لما سمعوا أن النبي ﷺ قد قتل، وفرقة ثبتت مع النبي ﷺ ، أما الفرقة التي انهزمت وفرت فلقد أنزل الله فيها قرآنا يتلىٰ إلىٰ يوم القيامة، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٥٥] غير أن أصحاب الأهواء لا يرون إلا ما تهوىٰ أنفسهم، فلم يروا من المتراجعين إلا عثمان رضي الله عنه، فكانوا يتهمونه دون سائر المتراجعين من الصحابة، وهل يبقىٰ وحده؟ ولو فعل لخاطر بنفسه(١)، وبعد أن عفا الله عن المتراجعين فالحكم واضح جليّ، لا لبس فيه ولا غموض، فلا مؤاخذة بعد ذلك علىٰ عثمان بن عفان رضي الله عنه، فيكفي أن الله عفا عنه بنص القرآن الكريم، وحياته الجهادية بمجموعها تشهد له علىٰ شجاعته.

٣- في غزوة غطفان (ذي إمر):

ندب رسول الله ﷺ المسلمين وخرج في أربعمائة رجل ومعهم بعض الجياد، واستخلف علىٰ المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه فأصابوا رجلًا منهم (بذي القُصَّة) يقال له جبار من بني ثعلبة، فأدخل علىٰ رسول الله ﷺ فأخبره من خبرهم، وقال: لن يلاقوك، لما سمعوا بمسيرك هربوا في رؤوس الجبال وأنا سائر معك، فدعاه رسول الله ﷺ إلىٰ الإسلام فأسلم، وضمه رسول الله ﷺ إلىٰ بلال ولم يلاقِ رسول الله ﷺ أحدًا، ثم أقبل رسول الله ﷺ إلىٰ المدينة ولم يلق كيدا، وكانت غيبته إحدىٰ عشر ليلة(٢).

٤- في غزوة ذات الرقاع:

بلغ رسول الله ﷺ أن جمعًا من غطفان من ثعلبة وأنمار يريدون غزو

---

(١) الأمين ذو النورين، محمود شاكر (ص٤٩).

(٢) الروض الأنف (٣/ ١٣٧)، الطبقات لابن سعد (٢/ ٣٤، ٣٥).

المدينة، فخرج في أربعمائة من أصحابه حتىٰ قدم صرارًا، وكان رسول الله ﷺ قد استخلف علىٰ المدينة قبل خروجه عثمان بن عفان، لقي المسلمون جمعًا غفيرًا من غطفان، وتقارب الناس، ولم يكن بينهم حرب، وقد خاف الناس بعضهم بعضا، حتىٰ صلىٰ رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف ثم انصرف بالناس، وقد غاب عن المدينة خمسة عشر يومًا[(١)].

٥- في بيعة الرضوان:

عندما نزل رسول الله الحديبية رأىٰ من الضرورة إرسال مبعوث خاص من جانبه إلىٰ قريش يبلغهم فيها نواياه السلمية بعدم الرغبة في القتال، وحرصه علىٰ احترام المقدسات، ومن ثم أداء مناسك العمرة، والعودة إلىٰ المدينة، فوقع الاختيار علىٰ أن يكون مبعوث الرسول ﷺ إلىٰ قريش (خراش بن أمية الخزاعي) وحمله علىٰ جمل يقال له (الثعلب)، فلما دخل مكة عقرت به قريش، وأرادوا قتل خراش فمنعهم الأحابيش، فعاد خراش بن أمية إلىٰ رسول الله ﷺ وأخبره بما صنعت قريش، فأراد رسول الله ﷺ أن يرسل سفيرًا آخر بتبليغ قريش رسالة رسول الله ﷺ ، ووقع الاختيار في بداية الأمر علىٰ عمر بن الخطاب[(٢)]، فاعتذر لرسول الله ﷺ عن الذهاب إليهم، وأشار علىٰ رسول الله ﷺ أن يبعث عثمان مكانه[(٣)]، وعرض عمر رضي الله عنه رأيه هذا معززًا بالحجة الواضحة، وهي ضرورة توافر الحماية لمن يخالط هؤلاء الأعداء، وحيث إن هذا الأمر لم يكن متحققًا بالنسبة لعمر رضي الله عنه، فقد أشار علىٰ النبي ﷺ بعثمان رضي الله عنه لأن له قبيلة تحميه من أذىٰ المشركين حتىٰ يبلغ رسالة رسول الله ﷺ [(٤)]،

---

(١) الأمين ذو النورين، محمود شاكر (ص٥٢، ٥٣).

(٢) غزوة الحديبية لأبي فارس (ص٨٣).

(٣) المغازي، محمد عمر الواقدي (٢/ ٦٠٠).

(٤) السابق نفسه.

وقال لرسول الله ﷺ : إني أخاف قريشًا علىٰ نفسي، قد عرفت عداوتي لها، وليس بها من بني عدي من يمنعني، وإن أحببت يا رسول الله دخلت عليهم[١]، فلم يقل رسول الله ﷺ شيئًا، قال عمر: ولكن أدلك يا رسول الله علىٰ رجل أعز بمكة مني، وأكثر عشيرة وأمنع، عثمان بن عفان، فدعا رسول الله ﷺ عثمان رضي الله عنه فقال: «اذهب إلىٰ قريش فخبرهم أنَّا لم نأتِ لقتال أحد، وإنما جئنا زوارًا لهذا البيت، معظمين لحرمته، معنا الهدي، ننحره وننصرف»، فخرج عثمان بن عفان رضي الله عنه حتىٰ أتىٰ بلدح[٢] فوجد قريشا هناك، فقالوا: أين تريد؟ قال: بعثني رسول الله ﷺ إليكم، يدعوكم إلىٰ الله وإلىٰ الإسلام، تدخلون في دين الله كافة، فإن الله مظهر دينه ومعز نبيه، وأخرىٰ تكفون ويَلِي هذا منه غيركم، فإن ظفروا بمحمد فذلك ما أردتم، وإن ظفر محمد كنتم بالخيار أن تدخلوا فيما دخل فيه الناس أو تقاتلوا وأنتم وافرون جامون، إن الحرب قد نهكتكم، وأذهبت بالأماثل منكم، فجعل عثمان يكلمهم فيأتيهم بما لا يريدون، ويقولون: قد سمعنا ما تقول ولا كان هذا أبدًا، ولا دخلها علينا عنوة، فارجع إلىٰ صاحبك فأخبره أنه لا يصل إلينا، فقام إليه أبان بن سعيد بن العاص فرحب به وأجاره وقال: لا تقصر عن حاجتك، ثم نزل عن فرس كان عليه، فحمل عثمان علىٰ السرج وردفه وراءه، فدخل عثمان مكة فأتىٰ أشرافهم رجلا رجلا؛ أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وغيرهما من لقي ببلدح، ومنهم من لقي بمكة، فجعلوا يردون عليه: إن محمدًا لا يدخلها علينا أبدًا[٣].

وعرض المشركون علىٰ عثمان رضي الله عنه أن يطوف بالبيت فأبىٰ، وقام عثمان بتبليغ رسالة رسول الله ﷺ إلىٰ المستضعفين بمكة وبشرهم بقرب الفرج

---

(١) السابق نفسه.

(٢) مكان قريب من مكة.

(٣) زاد المعاد (٣/ ٢٩٠)، السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٣٤٤).

والمخرج، وأخذ منهم رسالة شفهية إلىٰ رسول الله ﷺ جاء فيها: اقرأ علىٰ رسول الله ﷺ منا السلام، إن الذي أنزله بالحديبية لقادر علىٰ أن يدخله بطن مكة[١].

وتسربت شائعة إلىٰ المسلمين مفادها أن عثمان قتل، فدعا رسول الله ﷺ أصحابه إلىٰ مبايعته علىٰ قتال المشركين ومناجزتهم، فاستجاب الصحابة وبايعوه علىٰ الموت سوىٰ الجد بن قيس وذلك لنفاقه[٢]. وفي رواية أن البيعة كانت علىٰ الصبر[٣]، وفي رواية علىٰ عدم الفرار[٤]، ولا تعارض في ذلك؛ لأن المبايعة علىٰ الموت تعني الصبر وعدم الفرار[٥]. وكان أول من بايعه علىٰ ذلك أبا سنان عبد الله بن وهب الأسدي، فخرج الناس بعده يبايعون علىٰ بيعته، وبايعه سلمة بن الأكوع ثلاث مرات؛ في أول الناس، وأوسطهم، وآخرهم. وقال النبي ﷺ بيده اليمنىٰ: «**هذه يد عثمان**» فضرب بها علىٰ يده. وكان عدد الصحابة الذين أخذ منهم الرسول ﷺ المبايعة تحت الشجرة ألف وأربعمائة صحابي[٦].

٦- شفاعة عثمان بن عفان في عبد الله بن أبي السرح في فتح مكة:

لما كان يوم فتح مكة اختبأ عبد الله بن سعد بن أبي السرح عند عثمان بن عفان، فجاء به حتىٰ أوقفه علىٰ النبي ﷺ ، فقال: يا رسول الله بايع عبد الله، فرفع رأسه، فنظر إليه ثلاثًا، كل ذلك يأبىٰ، فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل علىٰ الصحابة فقال: «أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلىٰ هذا حيث رآني كففت يدي

---

(١) غزوة الحديبية لأبي فارس (ص٨٥).
(٢) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (ص٤٨٦).
(٣) البخاري، رقم (٤١٦٩).
(٤) مسلم، رقم (١٨٥٦).
(٥) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (ص٤٨٦).
(٦) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (ص٤٨٢).

عن بيعته فيقتله»، فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك، ألا أومأت إلينا بعينك؟ قال: «إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة الأعين»[١].

وجاء في رواية: لما كان يوم فتح مكة أمن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر، وقال: «اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة: عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن خطل، ومقيس بن حبابة[٢] وعبد الله بن سعد بن أبي السرح»[٣]. فأما عبد الله بن خطل فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق إليه سعد بن حارث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عمارا، وكان أشب الرجلين فقتله، وأما عكرمة فركب في البحر فأصابتهم ريح عاصف، فقال أصحاب السفينة: أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئا ههنا، فقال عكرمة: والله لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص لم ينجني في البر غيره، اللهم لك عليَّ عهد إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمدًا حتىٰ أضع يدي في يده ولأجدنه عفوًا كريمًا، فجاء وأسلم. وأما عبد الله بن سعد بن أبي السرح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان، فلما دعا رسول الله الناس إلىٰ البيعة جاء به حتىٰ أوقفه علىٰ النبي ﷺ ، ثم ذكر الباقي كما مر معنا[٤].

وعن عبد الله بن عباس قال: كان عبد الله بن سعد بن أبي السرح يكتب لرسول الله ﷺ ، فأزله الشيطان فلحق بالكفار، فأمر به رسول الله ﷺ أن يقتل يوم الفتح، فاستجار له عثمان، فأجاره رسول الله[٥].

وذكر ابن إسحاق سبب أمر رسول الله ﷺ بقتل سعد وشفاعة عثمان فيه فقال: وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله لأنه كان قد أسلم، وكان يكتب لرسول الله

---

(١) الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول (ص١٠٩).
(٢) أضواء البيان في تاريخ القرآن، صابر أبو سليمان (ص٧٩).
(٣) المصدر نفسه (ص ٧٩).
(٤) المصدر نفسه (ص٨٠).
(٥) المصدر نفسه (ص٨٠).

ﷺ الوحي، فارتد مشركًا راجعًا إلىٰ قريش، ففر إلىٰ عثمان بن عفان وكان أخاه للرضاعة، فغيبه حتىٰ أتىٰ به رسول الله ﷺ بعد أن اطمأن الناس وأهل مكة فاستأمن له، قال ابن هشام: ثم أسلم بعد، فولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله، ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر[(١)].

٧- غزوة تبوك:

في العام التاسع الهجري ولي هرقل وجهه المتآمر صوب الجزيرة العربية متلمظًا برغبة شريرة في العدوان عليها والتهامها، وأمر قواته بالاستعداد وانتظار أمره بالزحف، وترامت الأنباء إلىٰ الرسول ﷺ فنادىٰ في أصحابه بالتهيؤ للجهاد وكان الصيف حارا يصهر الجبال، وكانت البلاد تعاني الجدب والعسرة، فإن قاوم المسلمون بإيمانهم وطأة الحر القاتل وخرجوا إلىٰ الجهاد فوق الصحراء الملتهبة المتأججة فمن أين لهم العتاد، والنفقات التي يتطلبها الجهاد؟ لقد حض الرسول علىٰ التبرع فأعطىٰ كلٌّ قدرَ وسعه، وسارعت النساء بالحلي يقدمنه إلىٰ رسول الله ﷺ يستعين به في إعداد الجيش، بيد أن التبرعات جميعها لم تكن لتغني كثيرًا أمام المتطلبات للجيش الكبير، ونظر الرسول ﷺ إلىٰ الصفوف الطويلة العريضة من الذين تهيأوا للقتال وقال: «**من يجهز هؤلاء ويغفر الله له؟**» وما كاد عثمان يسمع نداء الرسول ﷺ هذا حتىٰ سارع إلىٰ مغفرة من الله ورضوان، وهكذا وجدت العسرة الضاغطة (عثمانها المعطاء)[(٢)]، وقام رضي الله عنه بتجهيز الجيش حتىٰ لم يتركه بحاجة إلىٰ خطام أو عقال.

يقول ابن شهاب الزهري: قدم عثمان لجيش العسرة في غزوة تبوك تسعمائة وأربعين بعيرًا، وستين فرسًا أتم بها الألف، وجاء عثمان إلىٰ رسول الله

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٥٧، ٥٨).

(٢) فتح الباري (٧/ ٦٧)، خلفاء الرسول (ص٢٥٠)، العشرة المبشرون بالجنة، محمد صالح عوض (ص٥٣).

في جيش العسرة بعشرة آلاف دينار صبها بين يديه، فجعل الرسول يقلبها بيده ويقول: «**ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم**» مرتين[١].

لقد كان عثمان رضي الله عنه صاحب القدح المعلىٰ في الإنفاق في هذه الغزوة[٢]، وهذا عبد الرحمن بن حباب يحدثنا عن نفقة عثمان حيث قال: شهدت النبي ﷺ وهو يحث علىٰ جيش العسرة، فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله، عليَّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حض علىٰ الجيش فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله، عليَّ ثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، فأنا رأيت رسول الله ينزل علىٰ المنبر وهو يقول: «**ما علىٰ عثمان ما عمل بعد هذه، ما علىٰ عثمان ما عمل بعد هذه**»[٣].

وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنهما قال: جاء عثمان بن عفان إلىٰ النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حين جهز النبي ﷺ جيش العسرة، قال: فجعل النبي ﷺ يقلبها بيده ويقول: «**ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم**» يرددها مرارًا[٤].

إنه يبدو وكأنه الممول الوحيد للأمة الجديدة، ومضىٰ الرسول ﷺ علىٰ رأس جيشه حتىٰ وصلوا موطنا يدعىٰ تبوك في منتصف الطريق بين المدينة ودمشق، وهناك جاءته الأنباء مبشرة بأن هرقل الذي كان يعد العدة للزحف من دمشق قد ثلم الله عزمه، وغادر دمشق نافضًا يديه من محاولته اليائسة بعد أن علم بخروج النبي وأصحابه إليه، ورجع الجيش بكل عتاده الذي أمده به عثمان، فهل استرجع من ذلك شيئًا؟ كلا.. وحاشاه أن يفعل، وقد ظل كما كان دوما سريع التلبية لكل إيماءة من النبي ﷺ تعني جديدًا من البذل، ومزيدًا من العطاء[٥].

---

(١) سنن الترمذي، رقم (٣٧٨٥). صحيح التوثيق (ص٢٦).
(٢) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (ص٦١٥).
(٣) البخاري، رقم (٣٦٩٥).
(٤) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم (١٥/ ١٧٠، ١٧١).
(٥) البخاري، رقم (٣٦٩٧).

- حَجَّه رضي الله عنه:

حجَّ عثمان بالناس سنوات خلافته كلها إلا آخر حجة، وحجَّ بأزواج النبي ﷺ كما كان يصنع عمر[١].

- قتله:

قتل عثمان يوم الجمعة ١٨ ذي الحجة سنة ٣٥ من الهجرة (يونيه سنة ٦٥٦ م) بعد العصر، وكان يومئذٍ صائمًا. قال ابن إسحاق: قتل عثمان علىٰ رأس إحدىٰ عشرة سنة وأحد عشر شهرًا، واثنين وعشرين يومًا من مقتل عمر بن الخطاب، وعلىٰ رأس خمس وعشرين من متوفىٰ رسول الله ﷺ[٢].

- دفنه:

دفن في حش كوكب وقد كان اشتراه ووسع به البقيع، ليلة السبت بين المغرب والعشاء فصلَّىٰ عليه جبير بن مطعم وخلفه حكيم بن حِزام، وأبو جهم بن حذيفة، وسيأتي تفصيل قتله ودفنه في آخر هذا الكتاب إن شاء الله[٣].

■ ذو النورين في عهد الصديق والفاروق:

أولاً: في عهد الصديق:

١- من أهل الشورى في مسائل الدولة العليا:

كان عثمان رضي الله عنه من الصحابة وأهل الشورىٰ الذين يؤخذ رأيهم في أمهات المسائل في خلافة أبي بكر، فهو ثاني اثنين في الحظوة عند الصديق؛ عمر بن الخطاب للحزامة والشدائد، وعثمان بن عفان للرفق والأناة. وكان عمر وزير

---

(١) ابن الأثير الكامل في التاريخ (جـ٣/ ص ٧٠).

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص ٦٨٩)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٣/ ص٥٨)، وفي الطبري، تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص٦٩٠- ٦٩١): «قتل وهو ابن اثنتين وثمانين سنة»، «خمس وسبعين سنة»، «وثلاث وستين سنة».

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص ٦٨٨)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٣/ ص٦٩).

الخلافة الصديقية، وكان عثمان أمينها العام، وناموسها الأعظم وكاتبها الأكبر[١].

وكان رأيه مقدمًا عند الصديق؛ فبعد أن قضىٰ أبو بكر علىٰ حركة الردة، أراد أن يغزو الروم، وينطلق الجيش المجاهد إلىٰ أطراف الأرض، فقام في الناس يستشيرهم، فقال الألباء ما عندهم، ثم استزادهم أبو بكر فقال: ما ترون؟ فقال عثمان: إني أرىٰ أنك ناصح لأهل هذا الدين، شفيق عليهم، فإذا رأيت رأيًا لعامتهم صلاحًا، فاعزم علىٰ إمضائه فإنك غير ظنين[٢]. فقال طلحة والزبير وسعد وأبو عبيدة وسعيد بن زيد ومن حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم: صدق عثمان، ما رأيت من رأي فأمْضِه[٣].

ولما أراد الصديق أن يبعث واليًا إلىٰ البحرين استشار أصحابه، فقال عثمان: ابعث رجلًا قد بعثه رسول الله ﷺ إليهم فقدم عليه[٤] بإسلامهم وطاعتهم، وقد عرفوه وعرفهم وعرف بلاده (يعني العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه)، فبعث الصديق العلاء إلىٰ البحرين[٥].

ولما اشتد المرض بأبي بكر استشار الناس فيمن يحبون أن يقوم بالأمر من بعده، فأشاروا بعمر، وكان رأي عثمان في عمر: اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله[٦].

فقال أبو بكر: يرحمك الله، والله لو تركته ما عدتك.

٢- أزمة اقتصادية في عهد الصديق:

عن ابن عباس قال: قحط المطر علىٰ عهد أبي بكر الصديق، فاجتمع الناس

---

(١) عثمان بن عفان، صادق عرجون (ص٥٨).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢/ ٦٣ - ٦٥)، أبو بكر الصديق للصلابي (ص٣٦٤).

(٣) أبو بكر الصديق للصلابي (ص٣٦٤).

(٤) أي علىٰ النبي ﷺ.

(٥) تاريخ الطبري (٤/ ١٢٢).

(٦) الكامل لابن الأثير (٢/ ٧٩)، الخلفاء الراشدون لمحمود شاكر (ص١٠١).

إلىٰ أبي بكر فقالوا: السماء لم تمطر، والأرض لم تنبت، والناس في شدة شديدة، فقال أبو بكر: انصرفوا واصبروا، فإنكم لا تمسون حتىٰ يفرج الله الكريم عنكم، قال: فما لبثنا أن جاء أجراء عثمان من الشام، فجاءته مائة راحلة بُرًّا -أو قال طعامًا- فاجتمع الناس إلىٰ باب عثمان، فقرعوا عليه الباب، فخرج إليهم عثمان في ملأ من الناس، فقال: ما تشاءون؟ قالوا: الزمان قد قحط؛ السماء لا تمطر، والأرض لا تنبت، والناس في شدة شديدة، وقد بلغنا أن عندك طعاما، فبعنا حتىٰ نوسع علىٰ فقراء المسلمين، فقال عثمان: حبًّا وكرامة ادخلوا فاشتروا، فدخل التجار، فإذا الطعام موضوع في دار عثمان، فقال: يا معشر التجار كم تربحونني علىٰ شرائي من الشام؟ قالوا: للعشرة اثنا عشر، قال عثمان: قد زادني، قالوا: للعشرة خمسة عشر، قال عثمان: قد زادني، قال التجار: يا أبا عمرو، ما بقي بالمدينة تجار غيرنا، فمن زادك؟ قال: زادني الله -تبارك وتعالىٰ- بكل درهم عشرة، أعندكم زيادة؟ قالوا: اللهم لا، قال: فإني أشهد الله أني قد جعلت هذا الطعام صدقة علىٰ فقراء المسلمين[(١)].

قال ابن عباس: فرأيت من ليلتي رسول الله ﷺ في المنام وهو علىٰ برذون أبلق[(٢)] عليه حُلَّة من نور، في رجليه نعلان من نور، وبيده قصبة من نور، وهو مستعجل، فقلت: يا رسول الله، قد اشتد شوقي إليك وإلىٰ كلامك فأين تبادر؟ قال: «**يا ابن عباس، إن عثمان قد تصدق بصدقة، وإن الله قد قبلها منه وزوجه عروسًا في الجنة، وقد دعينا إلىٰ عرسه**»[(٣)].

فهل يفتح الله تعالىٰ آذان عُبَّاد المال، ومحتكري قوت العباد شحًّا وجشعًا إلىٰ صوت هذه العظمة العثمانية حتىٰ تدلف إلىٰ قلوبهم فتهزها هزة الأريحية

---

(١) الرقة والبكاء لابن قدامة.

(٢) الذي فيه سواد وبياض.

(٣) الرقة والبكاء (ص١٩٠).

والعطف، وتوقظ فيها بواعث الرحمة والإحسان بالفقراء والمساكين، والأرامل واليتامىٰ وذوي الحاجات من أهل الفاقة والبؤس، الذين طحنتهم أزمة الحياة واعتصرت دماءهم شرابًا لذوي القلوب المتحجرة من الأثرياء؟! فما أحوج المسلمين في هذه المرحلة من حياتهم إلىٰ نفحة عثمانية في إنفاق الأموال علىٰ الفقراء والمساكين والمحتاجين تسري بينهم تعاطفًا ومؤاساة وبرًّا وإحسانًا[(١)].

هذا موقف من مواقف الكرم والبر لعثمان رضي الله عنه، فقد كان رضي الله عنه من أرحم الناس بالناس، فهو يقرأ قول رب الناس: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦﴾ [العلق:٦] فيصده ذلك عن الطغيان، ويقرأ قوله تعالىٰ: ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٤٤﴾[البقرة:٤٤] فيجعله ذلك من أبعد الناس عن النفاق والمنافقين، ويقرأ قوله تعالىٰ: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ [البقرة:١٧٧] فيحمله ذلك علىٰ أن يكون من ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝١٧٧﴾ [البقرة:١٧٧][(٢)].

ثانيًا: في عهد الفاروق:

كان عثمان ذا مكانة عند عمر، فكانوا إذا أرادوا أن يسألوا عمر عن شيء رموه بعثمان، وبعبد الرحمن بن عوف. وكان عثمان يسمىٰ الرديف، والرديف بلسان العرب هو الذي يكون بعد الرجل، والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد رئيس، وكانوا إذا لم يقدر هذان علىٰ عمل شيء ثلثوا بالعباس[(٣)].

---

(١) عثمان بن عفان، صادق عرجون (ص٥٢).

(٢) شهيد الدار (ص٢٢، ٢٣).

(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٨٣).

وقد حدث ذات مرة أن خرج عمر بالناس وعسكر بهم بما يُدْعىٰ (صرارا)، فجاء عثمان فسأله: ما بلغك؟ ما الذي تريد؟ فنادىٰ عمر (الصلاة جامعة)، ثم أخبر الناس عن عزمه في غزو العراق[١]. ولما ولي عمر الخلافة استشار وجوه الصحابة في عطائه من بيت مال المسلمين، فقال له عثمان: كل واطعم[٢]. وعندما أرسل أبو عبيدة إلىٰ عمرأن يقدم إلىٰ بيت المقدس ليفتحه، فاستشار عمر الناس، فأشار عثمان بأن لا يركب إليهم ليكون أحقر لهم، وأرغم لأنوفهم، وقال لعمر: فأنت إن أقمت ولم تسر إليهم رأوا أنك بأمرهم مستخف ولقتالهم مستعد، فلم يلبثوا إلىٰ السير حتىٰ ينزلوا علىٰ الصغار ويعطوا الجزية[٣]. وأشار عليٌّ بالمسير، فهوىٰ عمر ما قال علي ليكون أخف وطأة علىٰ المسلمين في حصارهم[٤].

لقد كانت مكانة عثمان في خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كمكانة الوزير من الخليفة، وإن شئت فقل: هي مكانة عمر من أبي بكر في خلافته. وقد صنع الله لأبي بكر بوزارة عمر لخلافته ما يصنعه لخير أهله، وصنع لعمر بوزارة عثمان لخلافته ما يصنعه لخير أهله، فقد كان أبو بكر أرحم الناس بالناس، وكان عمر أشدهم في الحق، فمزج الله رحمة الصديق بشدة عمر، فكانت منها خلافة الصدق وسياسة العدل، وقوم الحزم. وكان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أشبه بالصديق في رحمته، وكان عمر علىٰ سننه في شدته، فلما تولىٰ بعد أبي بكر جعل الله له في وزارة عثمان لخلافته عوضًا من رحمة الصديق ورفقه، فكان منهما تلك الأمثال المضروبة في أنظمة الحكم وسياسة الأمة أحكم سياسة وأعدلها. وقد عرف الناس هذه المكانة لعثمان في خلافة عمر، فهو الذي أشار علىٰ عمر بفكرة الديوان وكتابة التاريخ، كما جاء في بعض الروايات.

---

(١) عثمان بن عفان، الخليفة الشاكر الصابر (ص٦٣).

(٢) السابق نفسه.

(٣) عثمان بن عفان، لمحمد حسين هيكل (ص٤٧، ٤٨).

(٤) عثمان بن عفان الخليفة الشاكر (ص٦٣).

١- الديوان:

لما اتسعت الفتوحات وكثرت الأموال جمع عمر ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ ليستشيرهم في هذا المال، فقال عثمان: أرىٰ مالا كثيرا يسع الناس، وإن لم يحصوا حتىٰ يعرف من أخذ منهم ممن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الأمر، فأقر عمر رأي عثمان، وانتهىٰ بهم ذلك إلىٰ تدوين الدواوين[(١)].

٢- التاريخ:

جاء في بعض الروايات أن الذي أشار علىٰ عمر بجعل السنة الهجرية تبدأ بالمحرم هو عثمان، وذلك أنهم لما اتفقوا بعد مشاورات علىٰ جعل مبدأ التاريخ الإسلامي من هجرة النبي ﷺ لأنها فرقت بين الحق والباطل، تعددت الآراء في أي الأشهر يجعل بداية للسنة، فقال عثمان: أرخوا من المحرم أول السنة، وهو شهر حرام، وأول الشهور في العدة، وهو منصرف الناس من الحج، فرضي عمر ومن شهده من أصحابه رأي عثمان واستقر عليه الأمر، وأصبح مبدأ تاريخ الإسلام[(٢)].

٣- أرض الخراج:

كان عثمان ممن أيدوا رأي عمر بن الخطاب في عدم تقسيم أرض الفتوح علىٰ الفاتحين وإبقائها فيئًا للمسلمين وللذرية من بعدهم[(٣)].

٤- حجه مع أمهات المؤمنين:

لما استخلف عمر بن الخطاب سنة ثلاث عشرة بعث تلك السنة علىٰ الحج عبد الرحمن بن عوف، فحج بالناس، وحج مع عمر أيضًا آخر حجة حجها عمر سنة ثلاث وعشرين، وأذن عمر تلك السنة لأزواج النبي ﷺ في

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٢٠٣)، عثمان بن عفان، صادق عرجون (ص٦٠).

(٢) عثمان بن عفان، صادق عرجون (ص٦٠).

(٣) السياسة المالية لعثمان (ص٢٥).

الحج، فحُملن في الهوادج، وبعث معهن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، فكان عثمان يسير علىٰ راحلته أمامهن فلا يدع أحدًا يدنو منهن، وينزلن مع عمر كل منزل، فكان عثمان وعبد الرحمن ينزلان بهن في الشعاب فيقبلانهن الشعاب، وينزلان هما في أذل الشعب، فلا يتركان أحدًا يمر عليهن[(١)].

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ١٣٤)، أنساب الأشراف للبلاذري (١/ ٤٦٥، ٤٦٦).

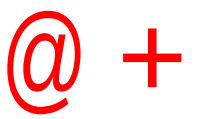

خلافة عثمان بن عفَّان رضي الله عنه

■ عثمان قبل الخلافة:

كان عثمان رضي الله عنه تاجرًا غنيًا، جميل الصورة. وقد بادر إلىٰ الإسلام بناء علىٰ دعوة أبي بكر الصدِّيق فزوَّجه رسول الله ﷺ رقية وهاجر بها إلىٰ الحبشة، ثم زوَّجه أم كلثوم بعد وفاتها. وكان رسول الله ﷺ يثق به ويحبه ويكرمه لحيائه، ودماثة أخلاقه، وحسن عشرته، وما كان يبذله من المال لنصرة المسلمين، وبشره بالجنة كأبي بكر وعمر وعلي وبقية العشرة، وأخبره بأنه سيموت شهيدًا.

وكان أحد كتاب الوحي، لكن لم يكن له في الغزوات حظ كغيره من الصحابة مثل أبي بكر، وعمر، وعلي، وسعد بن أبي وقاص، وجعفر، وطلحة، وخالد بن الوليد، وغيرهم، فلم يرق دمًا، ولم يبارز أحدًا، ولم يخرج أميرًا علىٰ جيش في إحدىٰ السرايا، ولم يثبت في غزوة أحد مع رسول الله، واستخلفه رسول الله علىٰ المدينة في غزوته إلىٰ ذات الرقاع وإلىٰ غطفان، وكان محبوبًا من قريش، وكان حليمًا، رقيق العواطف، كثير الإحسان. وقد توفي رسول الله ﷺ وهو عنه راض به، وروىٰ عن رسول الله مائة وستة وأربعين حديثًا، وكانت العلاقة بيننا وبين أبي بكر وعمر وعليّ علىٰ أحسن ما يرام، ولم يكن من الخطباء حتىٰ إنه قد ارتج عليه في أول خطبة خطبها، وكان أعلم الصحابة بالمناسك، حافظًا للقرآن، ولم يكن متقشفًا مثل عمر بل كان يأكل اللين من الطعام[1].

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (جـ٥/ ص٤٣)، المسعودي، مروج الذهب (جـ٢/ ص٣٤١).

■ **استخلاف ذى النورين:**

استمر اهتمام الفاروق رضي الله عنه بوحدة الأمة ومستقبلها حتىٰ اللحظات الأخيرة من حياته، رغم ما كان يعانيه من آلام جراحاته البالغة، وهي بلا شك لحظات خالدة، تجلىٰ فيها إيمان الفاروق العميق وإخلاصه وإيثاره[١]. وقد استطاع الفاروق في تلك اللحظات الحرجة أن يبتكر طريقة جديدة لم يسبق إليها في اختيار الخليفة الجديد، وكانت دليلا ملموسًا، ومعلما واضحا علىٰ فقهه في سياسة الدولة الإسلامية. لقد مضىٰ قبله الرسول ﷺ ولم يستخلف بعده أحدا بنص صريح، ولقد مضىٰ أبو بكر الصديق واستخلف الفاروق بعد مشاورة كبار الصحابة، ولما طلب من الفاروق أن يستخلف وهو علىٰ فراش الموت، فكر في الأمر مليًّا وقرر أن يسلك مسلكا آخر يتناسب مع المقام؛ فرسول الله ﷺ ترك الناس وكلهم مُقِرٌّ بأفضلية أبي بكر وأسبقيته عليهم، فاحتمال الخلاف كان نادرا وخصوصا أن النبي ﷺ وجه الأمة قولا وفعلا إلىٰ أن أبا بكر أولىٰ بالأمر من بعده. والصديق لما استخلف عمر كان يعلم أن عند الصحابة أجمعين قناعة بأن عمر أقوىٰ وأفضل من يحمل المسئولية بعده، فاستخلفه بعد مشاورة كبار الصحابة ولم يخالف رأيه أحد منهم، وحصل الإجماع علىٰ بيعة عمر[٢]، وأما طريقة انتخاب الخليفة الجديد فتعتمد علىٰ جعل الشورىٰ في عدد محصور، وقد حصر ستة من صحابة رسول الله ﷺ كلهم يصلحون لتولي الأمر ولو أنهم يتفاوتون، وحدد لهم طريقة الانتخاب ومدته، وعدد الأصوات الكافية لانتخاب الخليفة وحدد الحكم في المجلس، والمرجح إن تعادلت الأصوات، وأمر مجموعة من جنود الله لمراقبة سير الانتخابات في المجلس، وعقاب من يخالف أمر الجماعة، ومنع الفوضىٰ بحيث لا يسمحون لأحد يدخل أو يسمع ما يدور

---

(١) الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب للعاني (ص١٦١).

(٢) أوليات الفاروق، د. غالب عبد الكافي القرشي (ص١٢٢).

في مجلس أهل الحل والعقد[١]. وهذا بيان ما أُجْمِل في الفقرات السابقة:

١- العدد الذي حدده للشورى وأسماؤهم:

أما العدد فهو ستة، وهم: علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم جميعا. وترك سعيد بن زيد وهو من العشرة المبشرين بالجنة، ولعله تركه لأنه من قبيلته بني عدي[٢]. وكان عمر رضي الله عنه حريصًا علىٰ إبعاد الإمارة عن أقاربه، مع أن فيهم من هو أهل لها، فهو يبعد قريبه سعيد بن زيد عن قائمة المرشحين للخلافة[٣].

٢- طريقة اختيار الخليفة:

أمرهم أن يجتمعوا في بيت أحدهم ويتشاوروا وفيهم عبد الله بن عمر يحضر معهم مشيرا فقط وليس له من الأمر شيء، ويصلي بالناس أثناء التشاور صهيب الرومي، وقال له: أنت أمير الصلاة في هذه الأيام الثلاثة حتىٰ لا يولي إمامةَ الصلاة أحدا من الستة فيصبح هذا ترشيحا من عمر له بالخلافة[٤]. وأمر المقداد بن الأسود وأبا طلحة الأنصاري أن يرقبا سير الانتخابات[٥].

٣- مدة الانتخابات أو المشاورة:

حددها الفاروق رضي الله عنه بثلاثة أيام وهي فترة كافية وإن زادوا عليها، فمعنىٰ ذلك أن شقة الخلاف ستتسع، ولذلك قال لهم: لا يأتي اليوم الرابع إلا وعليكم أمير[٦].

---

(١) أوليات الفاروق، د. غالب عبد الكافي القرشي (ص١٢٤).
(٢) البداية والنهاية (٤/ ١٤٢).
(٣) الخلفاء الراشدون للخالدي (ص٩٨).
(٤) الخلافة والخلفاء الراشدون للبهنساوي (ص٢١٣).
(٥) أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة (ص٦٤٨).
(٦) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣٦٤).

٤- عدد الأصوات الكافية لاختيار الخليفة:

أخرج ابن سعد بإسناد رجاله ثقات أن عمر ﷺ قال لصهيب: صلِّ بالناس ثلاثا وليخلُ هؤلاء الرهط في بيت، فإذا اجتمعوا علىٰ رجل فمن خالفهم فاضربوا رأسه[١]. فعمر ﷺ أمر بقتل من يريد أن يخالف هؤلاء الرهط وشق عصا المسلمين ويفرق بينهم عملًا بقوله: «**من أتاكم وأمركم جمع علىٰ رجل منكم يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه**»[٢]. وما جاء في كتب التاريخ من أن عمر ﷺ أمرهم بالاجتماع والتشاور، وحدد لهم أنه إذا اجتمع خمسة منهم علىٰ رجل وأبىٰ أحدهم فيضرب رأسه بالسيف، وإن اجتمع أربعة وفرضوا رجلا منهم وأبىٰ اثنان فاضرب رؤوسهما[٣]. وهذه من الروايات التي لا تصح سندا، فهي من الغرائب التي ساقها أبو مخنف -الرافضي الشيعي- مخالفا فيها النصوص الصحيحة وما عرف من سير الصحابة ﷺ، فما ذكر أبو مخنف من قول عمر لصهيب: وقم علىٰ رؤوسهم -أي: أهل الشورىٰ- فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلًا وأبىٰ واحد فاشدخ رأسه بالسيف، وإن اتفق أربعة فرضوا رجلًا منهم وأبىٰ اثنان فاضرب رؤوسهما[٤]، فهذا قول منكر، وكيف يقول عمر ﷺ هذا وهو يعلم أنهم هم الصفوة من أصحاب رسول الله ﷺ، وهو الذي اختارهم لهذا الأمر لعلمه بفضلهم وقدرهم؟!![٥].

وقد ورد عن ابن سعد أن عمر قال للأنصار: أدخلوهم بيتا ثلاثة أيام، فإن استقاموا وإلا فادخلوا عليهم فاضربوا أعناقهم[٦]. وهذه الرواية منقطعة وفي

---

(١) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣٤٢).
(٢) مسلم (٣/ ١٤٨٠).
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٢٢٦).
(٤) السابق نفسه.
(٥) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، د. يحيىٰ اليحيىٰ (ص١٧٥).
(٦) الطبقات لابن سعد (٢/ ٣٤٢).

إسنادها (سماك بن حرب) وهو ضعيف، وقد تغير بآخره[١].

٥- الحكم في حال الاختلاف:

لقد أوصىٰ بأن يحضر عبد الله بن عمر معهم في المجلس وأن ليس له من الأمر شيء، ولكن قال لهم: فإن رضي ثلاثة رجلًا منهم وثلاثة رجلًا منهم فحكموا عبد الله بن عمر، فأي الفريقين حكم له فليختاروا رجلًا منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، ووصف عبد الرحمن بن عوف بأنه مسدد رشيد، فقال عنه: ونعم ذو الرأي عبد الرحمن بن عوف، مسدد رشيد، له من الله حافظ، فاسمعوا منه[٢].

٦- جماعة من جنود الله تراقب الاختيار وتمنع الفوضى:

طلب عمر أبا طلحة الأنصاري وقال له: يا أبا طلحة، إن الله ﷻ أعز الإسلام بكم، فاختر خمسين رجلًا من الأنصار فاستحث هؤلاء الرهط حتىٰ يختاروا رجلا منهم[٣]. وقال للمقداد بن الأسود: إذا وضعتموني في حفرتي، فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتىٰ يختاروا رجلًا منهم[٤].

٧- جواز تولية المفضول مع وجود الأفضل:

ومن فوائد قصة الشورىٰ، جواز تولية المفضول مع وجود الأفضل؛ لأن عمر جعل الشورىٰ في ستة أنفس مع علمه أن بعضهم كان أفضل من بعض، ويؤخذ هذا من سيرة عمر في أمرائه الذين كان يؤمرهم في البلاد؛ حيث كان لا يراعي الفضل في الدين فقط، بل يضم إليه مزيد المعرفة بالسياسة مع اجتناب ما يخالف الشرع منها، فاستخلف معاوية والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص مع وجود من هو أفضل من كل منهم في أمر الدين والعلم؛ كأبي الدرداء في الشام،

---

(١) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري (ص١٧٦).
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٣٢٥).
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٢٢٥).
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٢٢٥).

وابن مسعود في الكوفة[١].

٨- جمع عمر بين التعيين وعدمه:

جمع عمر بين التعيين، كما فعل أبو بكر أي تعيين المرشح، وبين عدم التعيين كما فعل الرسول ﷺ، فعين ستة وطلب منهم التشاور في الأمر[٢].

٩- الشورى ليست بين الستة فقط:

عرف عمر أن الشورىٰ لن تكون بين الستة فقط، وإنما ستكون في أخذ رأي الناس في المدينة فيمن يتولىٰ الخلافة؛ حيث جعل لهم أمد ثلاثة أيام فيمكنهم من المشاورة والمناظرة لتقع ولاية من يتولىٰ بعده عن اتفاق من معظم الموجودين حينئذ ببلده التي هي دار الهجرة، وبها معظم الصحابة وكل من كان ساكنا في بلد غيرها كان تبعا لهم فيما يتفقون عليه، فما زالت المدينة حتىٰ سنة ٢٣ هـ مجمع الصحابة؛ بل لأن كبار الصحابة فيها، حيث استبقاهم عمر بجانبه، ولم يأذن لهم بالهجرة إلىٰ الأقاليم المفتوحة[٣].

١٠- أهل الشورى أعلى هيئة سياسية:

إن عمر رضي الله عنه أناط بأهل الشورىٰ وحدهم اختيار الخليفة من بينهم، ومن المهم أن نشير إلىٰ أن أحدًا من أهل الشورىٰ لم يعارض هذا القرار الذي اتخذه عمر، كما أن أحدا من الصحابة الآخرين لم يُثِر أي اعتراض عليه، ذلك ما تدل عليه النصوص التي بين أيدينا، فنحن لا نعلم أن اقتراحًا آخر قد صدر عن أحد من الناس في ذلك العصر، أو أن معارضة ثارت حول أمر عمر خلال الساعات الأخيرة من حياته أو بعد وفاته، وإنما رضي الناس كافة هذا التدبير، ورأوا فيه مصلحة لجماعة المسلمين. وفي وسعنا أن نقول: إن عمر قد أحدث هيئة

---

(١) المدينة النبوية.. فجر الإسلام والعصر الراشدي (٢/ ٩٧).

(٢) المدينة النبوية.. فجر الإسلام والعصر الراشدي (٢/ ٩٧).

(٣) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (٢/ ٩٧).

سياسية عليا، مهمتها انتخاب رئيس الدولة أو الخليفة، وهذا التنظيم الدستوري الجديد الذي أبدعته عبقرية عمر لا يتعارض مع المبادئ الأساسية التي أقرها الإسلام، ولا سيما فيما يتعلق بالشورى؛ لأن العبرة من حيث النتيجة للبيعة العامة التي تجرى في المسجد الجامع. وعلى هذا لا يتوجه السؤال الذي قد يرد على بعض الأذهان وهو: من أعطى عمر هذا الحق؟ ما مستند عمر في هذا التدبير؟ ويكفي أن نعلم أن جماعة من المسلمين قد أقرت هذا التدبير ورضيت به، ولم يسمع صوت اعتراض عليه، حتى نتأكد أن الإجماع -وهو من مصادر التشريع- قد انعقد على صحته ونفاذه(١).

ولا ننسى أن عمر خليفة راشد، كما ينبغي أن نؤكد على أن هذا المبدأ -أهل الشورى أعلى هيئة سياسية- قد أقره نظام الحكم في الإسلام في العهد الراشدي، كما أن الهيئة التي سماها عمر تمتعت بمزايا لم يتمتع بها غيرها من جماعة المسلمين، وهذه المزايا منحت لها من الله وبلغها الرسول، فلا يمكن عند المؤمنين أن يبلغ أحد من المسلمين مبلغ هؤلاء العشرة من التقوى والأمانة(٢).

هكذا ختم عمر رضي الله عنه حياته ولم يشغله ما نزل به من البلاء ولا سكرات الموت عن تدبير أمر المسلمين، وأرسى نظاما للشورى لم يسبقه إليه أحد، ولا يشك أن أصل الشورى مقرر في القرآن الكريم والسنة القولية والفعلية، وقد عمل بها رسول الله ﷺ وأبو بكر ولم يكن عمر مبتدعًا بالنسبة للأصل، ولكن الذي عمله عمر هو تعيين الطريقة التي يختار بها الخليفة وحصر عدد معين جعلها فيهم، وهذا لم يفعله الرسول ﷺ ولا الصديق رضي الله عنه بل أول من فعل ذلك عمر، ونعم ما فعل؛ فقد كانت أفضل الطرق المناسبة لحال الصحابة

(١) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، ظافر القاسمي (١/ ٢٢٧، ٢٢٨).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٢٢٩).

في ذلك الوقت[١].

ثانيًا: منهج عبد الرحمن بن عوف في إدارة الشورى:

١- اجتماع الرهط للمشاورة:

لم يكد يفرغ الناس من دفن عمر بن الخطاب ﷺ حتىٰ أسرع رهط الشورىٰ وأعضاء مجلس الدولة الأعلىٰ إلىٰ الاجتماع في بيت عائشة أم المؤمنين ﷺ، وقيل إنهم اجتمعوا في بيت فاطمة بنت قيس الفهرية أخت الضحاك بن قيس، ليقضوا في أعظم قضية عرضت في حياة المسلمين، بعد وفاة عمر، وقد تكلم القوم وبسطوا آراءهم واهتدوا بتوفيق الله إلىٰ كلمة سواء رضيها الخاصة والكافة من المسلمين[٢].

٢- عبد الرحمن يدعو إلى التنازل:

عندما اجتمع أهل الشورىٰ قال لهم عبد الرحمن بن عوف: اجعلوا أمركم إلىٰ ثلاثة منكم، فقال الزبير: جعلت أمري إلىٰ علي[٣]، وقال طلحة: جعلت أمري إلىٰ عثمان، وقال سعد: جعلت أمري إلىٰ عبد الرحمن بن عوف، وأصبح المرشحون الثلاثة علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن بن عوف: أفتجعلونه إليَّ والله علىٰ أن لا آلو عن أفضلكما، قالا: نعم[٤].

٣- تفويض ابن عوف بإدارة عملية الشورى:

بدأ عبد الرحمن بن عوف ﷺ اتصالاته ومشاوراته فور انتهاء اجتماع المرشحين الستة صباح يوم الأحد، واستمرت مشاوراته واتصالاته ثلاثة أيام

---

(١) أوليات الفاروق، د. غالب عبد الكافي القرشي (ص١٢٧).
(٢) عثمان بن عفان، صادق عرجون (ص٦٢، ٦٣).
(٣) البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي، رقم (٣٧٠٠).
(٤) البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي، رقم (٣٧٠٠).

كاملة، حتىٰ فجر يوم الأربعاء الرابع من محرم وهو موعد انتهاء المهلة التي حددها لهم عمر، وبدأ عبد الرحمن بعلي بن أبي طالب فقال له: إن لم أبايعك فأشر عليَّ، فمن ترشح للخلافة؟ قال علي: عثمان بن عفان، وذهب عبد الرحمن إلىٰ عثمان وقال له: إن لم أبايعك، فمن ترشيح للخلافة؟ فقال عثمان: علي بن أبي طالب... وذهب ابن عوف بعد ذلك إلىٰ الصحابة الآخرين واستشارهم، وكان يشاور كل من يلقاه في المدينة من كبار الصحابة وأشرافهم، ومن أمراء الأجناد، ومن يأتي للمدينة، وشملت مشاورته النساء في خدورهن، وقد أبدين رأيهن، كما شملت الصبيان والعبيد في المدينة، وكانت نتيجة مشاورات عبد الرحمن بن عوف أن معظم المسلمين كانوا يشيرون بعثمان بن عفان، ومنهم من كان يشير بعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما. وفي منتصف ليلة الأربعاء، ذهب عبد الرحمن بن عوف إلىٰ بيت ابن أخته: المسور بن مخرمة، فطرق البيت، فوجد المسور نائمًا[(١)]، فضرب الباب حتىٰ استيقظ فقال: أراك نائما فو الله ما اكتحلت هذه الليلة بكبير نوم، انطلق فادع الزبير وسعدا، فدعوتهما له، فشاورهما ثم دعاني فقال: ادع لي عليا فدعوته فناجاه حتىٰ ابهارَّ[(٢)] الليل ثم قام علي من عنده... ثم قال: ادع لي عثمان فدعوته فناجاه حتىٰ فرق بينهما المؤذن بالصبح[(٣)].

٤- الاتفاق على بيعة عثمان:

وبعد صلاة صبح يوم البيعة (اليوم الأخير من شهر ذي الحجة ٢٣هـ/ ٦ نوفمبر ٦٤٤م) وكان صهيب الرومي الإمام إذ أقبل عبد الرحمن بن عوف، وقد اعتم بالعمامة التي عممه بها رسول الله ﷺ، وكان قد اجتمع رجال الشورىٰ عند المنبر، أرسل إلىٰ من كان حاضرًا من المهاجرين والأنصار وأمراء الأجناد

(١) الخلفاء الراشدون للخالدي (ص١٠٦، ١٠٧).

(٢) ابهار: أي انتصف.

(٣) البخاري، كتاب الأحكام، رقم (٧٢٠٧).

منهم: معاوية أمير الشام، وعمير بن سعد أمير حمص، وعمرو بن العاص أمير مصر، وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر وصاحبوه إلىٰ المدينة[١].

وجاء في رواية البخاري: فلما صلىٰ للناس الصبح واجتمع أولئك الرهط عند المنبر فأرسل إلىٰ كل حاضر من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلىٰ أمراء الأجناد وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر، فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن ثم قال: أما بعد، يا علي إني قد نظرت في أمر الناس فلم أراهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلن علىٰ نفسك سبيلا، فقال[٢]: أبايعك علىٰ سنة الله ورسوله والخليفتين من بعده، فبايعه عبد الرحمن وبايعه الناس المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون[٣].

٥ - حكمة عبد الرحمن بن عوف في تنفيذ خطة الشورىٰ:

نفذ عبد الرحمن بن عوف خطة الشورىٰ بما دل علىٰ شرف عقله، ونبل نفسه، وإيثاره مصلحة المسلمين العامة علىٰ مصلحته الخاصة ونفعه الفردي، وترك عن طواعية ورضا أعظم منصب يطمع إليه إنسان في الدنيا، ليجمع كلمة المسلمين، وحقق أول مظهر من مظاهر الشورىٰ المنظمة في اختيار من يجلس علىٰ عرش الخلافة ويسوس أمور المسلمين، فهو قد اصطنع من الأناة والصبر والحزم وحسن التدبير ما كفل له النجاح في أداء مهمته العظمىٰ، وقد كانت الخطوات التي اتخذها كالآتي:

أ- بسط برنامجه في أول جلسة عقدها مجلس الشورىٰ في دائرة الزمن الذي حده لهم عمر، وبذلك أمكنه أن يحمل جميع أعضاء مجلس الشورىٰ علىٰ أن يدلوا برأيهم، فعرف مذهب كل واحد منهم ومرماه، فسار في طريقه علىٰ بينة من أمره.

---

(١) شهيد الدار عثمان بن عفان، أحمد الخروف (ص٣٧).

(٢) قوله: «فقال» أي عبد الرحمن مخاطبًا عثمان.

(٣) البخاري، كتاب الأحكام، رقم (٧٢٠٧).

ب- وخلع نفسه وتنازل عن حقه في الخلافة ليدفع الظنون ويستمسك بعروة الثقة الوثقىٰ.

ج- أخذ في تعرف نهاية ما يصبو إليه كل واحد من أصحابه وشركائه في الشورىٰ، فلم يزل يقلب وجوه الرأي معهم حتىٰ انتهىٰ إلىٰ شبه انتخاب جزئي فاز فيه عثمان برأي سعد ابن أبي وقاص، ورأي الزبير بن العوام، فلاحت له أغلبية آراء الأعضاء الحاضرين معه.

د- عمد إلىٰ معرفة كل واحد من الإمامين: عثمان وعلي في صاحبه بالنسبة لوزنه من سائر الرهط الذي رشحهم عمر، فعرف من كل واحد منهم أنه لا يعدل صاحبه أحدًا إلا فاته الأمر.

هـ- أخذ في تعرف رأي مَنْ وراء مجلس الشورىٰ من خاصة الأمة وذوي رأيها، ثم من عامتها وضعفائها، فرأىٰ أن معظم الناس لا يعدلون أحدًا بعثمان، فبايع له، وبايعه عامة الناس[(١)].

لقد تمكن عبد الرحمن بن عوف بكياسته وأمانته واستقامته ونسيانه نفسه بالتخلي عن الطمع في الخلافة والزهد بأعلىٰ منصب في الدولة، أن يجتاز هذه المحنة وقاد ركب الشورىٰ بمهارة وتجرد، مما يستحق أعظم التقدير.

قال الذهبي: ومن أفضل أعمال عبد الرحمن عزله نفسه من الأمر وقت الشورىٰ، واختياره للأمة من أشار به أهل الحل والعقد، فنهض في ذلك أتم نهوض علىٰ جمع الأمة علىٰ عثمان، ولو كان محابيا فيها لأخذها لنفسه، أو لولاها ابن عمه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبي وقاص[(٢)].

وبهذا تحققت صورة أخرىٰ من صور الشورىٰ في عهد الخلفاء الراشدين، وهي الاستخلاف عن طريق مجلس الشورىٰ ليعينوا أحدهم بعد أخذ المشورة

---

(١) عثمان بن عفان، صادق عرجون (ص٧٠، ٧١).

(٢) سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي (١/ ٨٦).

العامة، ثم البيعة العامة.

■ كتب عثمان بن عفان رضي الله عنه:

١- كتابه إلى عماله:

كان أول كتاب كتبه عثمان إلىٰ عماله:

«أما بعد، فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة، ولم يتقد إليهم أن يكونوا جباة، وإن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة ولم يخلقوا جباة، وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ولا يكونوا رعاة، فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء. ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين وفيما عليهم فتعطوهم مالهم وتأخذوهم بما عليهم، ثم تثنوا بالذمة فتعطوهم الذي لهم وتأخذوهم بالذي عليهم، ثم العدو الذي تنتابون فاستفتحوا عليهم بالوفاء»[(١)].

٢- كتابه إلى أمراء الأجناد:

وكان أول كتاب كتبه إلىٰ أمراء الأجناد في الفروج:

«أما بعد، فإنكم حماة المسلمين وذادتهم، وقد وضع لكم عمر ما لم يغب عنا بل كان عن ملأ منا. ولا يبلغني عن أحد منكم تغيير ولا تبديل فيغير الله ما بكم ويستبدل بكم غيركم. فانظروا كيف تكونون فيما ألزمني الله النظر فيه والقيام عليه»[(٢)].

٣- كتابه إلى عمَّال الخراج:

كان أول كتاب كتبه إلىٰ عمَّال الخراج:

«أما بعد، فإن الله خلق الخلق بالحق فلا يقبل إلا الحق. خذوا الحق وأعطوا الحق به. والأمانة الأمانة ولا تكونوا أول من يسلبها فتكونوا شركاء من بعدكم إلىٰ ما اكتسبتم. والوفاء الوفاء ولا تظلموا اليتيم ولا المعاهد فإن الله

---

(١) تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص٥٩٠).

(٢) تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص٥٩١).

خصم لمن ظلمهم»[١].

٤- كتابه إلى العامة:

وكان كتابه إلىٰ العامة:

«أما بعد، فإنكم إنما بلغتم ما بلغتم بالإقتداء والإتباع فلا تلفتنكم الدنيا عن أمركم فإن أمر هذه صائر إلىٰ الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم: تكامل النعم، وبلوغ أولادكم من السبايا، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن فإن رسول الله ﷺ قال: «**الكفر في العجمة فإذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا**»».

هذه أربعة كتب كتبها عثمان رضي الله عنه في أول خلافته، وقد أوصىٰ عماله برعاية شؤون المسلمين والذميين، وأن لا يقصروا همهم علىٰ جباية الأموال لئلا يرهقوا العباد وينسوا أول واجب عليهم، وهو العدل بين الرعية، وأمر أمراء الأجناد في الفروج أي الثغور بأن يتبعوا أوامر عمر رضي الله عنه، وأن لا يحيدوا عنها. ثم أنه شدَّد علىٰ عمال الخوارج بأخذ الحق والتمسك بالأمانة والوفاء، وأوصىٰ باليتيم والمعاهد خيرًا، وهذه كلها من تعاليم الإسلام وفضائله.

وعثمان أول خليفة زاد الناس في أعطياتهم مائة وكان عمر يجعل لكل نفس منفوسة[٢] من أهل الفيء في رمضان درهمًا في كل يوم، وفرض لأزواج رسول الله ﷺ درهمين. فقيل له: لو صنعت طعامًا فجمعتهم عليه؟ فقال: أُشبع الناس في بيوتهم. فأقر عثمان الذي كان صنع عمر وزاد فوضع طعام رمضان، فقال: للمتعبد الذي يتخلف في المسجد وابن السبيل والمعترّين من الناس[٣].

■ عزل سعد بن أبى وقاص عن الكوفة وتولية الوليد بن عقبة:

لم تطل ولاية سعد علىٰ الكوفة فعزله عثمان وولىٰ بعده الوليد بن عقبة

---

(١) تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص٥٩١).

(٢) منفوسة: أي مولودة.

(٣) تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص٥٩١).

والسبب في عزل سعد هو أنه استقرض من عبد الله بن مسعود من بيت المال مالًا فأقرضه، فلما تقاضاه لم يتيسر عليه فارتفع بينهما الكلام حتىٰ استعان عبد الله بأناس علىٰ استخراج المال، واستعان سعد بأناس علىٰ استنظاره فاقتربوا وبعضهم يلوم بعضًا. يلوم هؤلاء سعدًا ويلوم هؤلاء عبد الله.

عن قيس بن أبي حازم قال: كنت جالسًا عند سعد وعنده ابن أخيه هاشم بن عتبة فأتىٰ ابن مسعود سعدًا فقال له: أدِّ المال الذي قِبَلك. فقال له سعد: ما أراك إلا ستلقىٰ شرًّا. هل أنت إلا ابن مسعود عبد من هذيل؟! فقال: أجل والله إني لابن مسعود وإنك لابن حمينة. فقال هاشم: إنكما لصاحبا رسول الله ﷺ ينظر إليكما. فطرح سعد عودًا كان في يده وكان رجلًا فيه حدة ورفع يديه. وقال: اللَّهم رب السماوات والأرض. فقال عبد الله: ويلك قل خيرًا ولا تلعن. فقال سعد عند ذلك: أما والله لولا اتقاء الله لدعوت عليك دعوة لا تخطئك. فولىٰ عبد الله سريعًا حتىٰ خرج، وكان سعد بن أبي وقاص مجاب الدعوة.

غضب عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ سعد وعلىٰ ابن مسعود بسبب هذه المشادة فعزل سعدًا ولم يعزل ابن مسعود، بل أقره واستعمل الوليد بن عقبة، وكان عاملًا لعمر علىٰ ربيعة بالجزيرة، فقدم الكوفة، فلم يتخذ لداره بابًا حتىٰ خرج من الكوفة.

ولعل القارئ يعجب لماذا أقر عثمان ابن مسعود ولم يعزله؟ فنقول إن عبد الله بن مسعود لما كان غلامًا كان يرعىٰ أغنام عقبة بن أبي معيط، وكان إسلامه قديمًا، وهو أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ ، فهو راعٍ لعقبة بن أبي معيط -والد الوليد- أي أنه من أتباع بني أمية، وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعثه إلىٰ الكوفة معلمًا ووزيرًا، ثم إن ابن مسعود لم يكن واليًا حتىٰ يعزله عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بل كان وزيرًا للمالية.

أما الوليد الذي خلف سعدًا فهو أموي، أخو عثمان لأمه، أسلم يوم الفتح، ولا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن أن قوله آ : ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾

[الحجرات:٦] نزلت في الوليد بن عقبة وذلك أن رسول الله ﷺ بعثه مصدقًا إلىٰ بني المصطلق فعاد وأخبر عنهم أنهم ارتدوا ومنعوا الصدقة، وذلك أنهم خرجوا إليه يتلقونه فهابهم، فانصرف عنهم، فبعث إليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فأخبروه أنهم متمسكون بالإسلام ونزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾[الحجرات:٦].

لما قدم الوليد علىٰ سعد قال له: والله ما أدري أَكِسْتَ[(١)] بعدنا أم حمقنا بعدك؟! فقال: «لا تجز عن أبي إسحاق فإنما هو الملك يتغداه قوم ويتعشاه آخرون». فقال سعد: «أراكم والله ستجعلونه مُلكًا». وكان الوليد من رجال قريش ظرفًا وحلمًا وشجاعة وأدبًا، وكان من الشعراء المطبوعين.

قال الطبري[(٢)]: فقدم الوليد في السنة الثانية من إمارة عثمان، وقد كان سعد عمل عليها سنة وبعض أخرىٰ فقدم الكوفة، وكان أحب الناس في الناس وأرفقهم بهم، فكان كذلك خمس سنين وليس علىٰ داره باب.

وحدثنا أبو فرج الأصفهاني في الجزء الخامس من الأغاني عن سبب تولية الوليد الكوفة فقال:

لم يكن يجلس مع عثمان رضي الله عنه علىٰ سريره إلا العباس ابن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب والحكم بن العاص والوليد بن عقبة، فأقبل الوليد يومًا فجلس، ثم أقبل الحكم. فلما رآه عثمان زحل[(٣)] له عن مجلسه فلما قام الحكم قال له الوليد: والله يا أمير المؤمنين، لقد تلجلج في صدري بيتان قلتهما حين رأيتك آثرت عمك علىٰ ابن أمك. فقال له عثمان رضي الله عنه: إنه شيخ قريش، فما البيتان اللذان قلتهما؟ قال: قلت:

---

(١) أَكِسْتَ: يقال رجل أَوْكَس أي خسيس أو قليل الحظ.

(٢) تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص٥٩٥).

(٣) زَحَل: أيّ تَنحَّىٰ.

رأيت لعم المرء زُلْفَى قرابة دون أخيه حادثًا لم يكن قدمًا
فأمَّلْتُ عَمْرًا أن يَشِبّ وخالدًا لكي يدعواني يوم مزحمة عمّا

يعني عمرًا وخالدًا ابني عثمان. فرق له عثمان وقال له: قد وليتك العراق – يعني الكوفة – اهـ.

ولا يصدق إنسان يعرف مكانة عثمان رضي الله عنه أنه ولىٰ الوليد الكوفة بعد أن أنشده هذين البيتين إرضاء له[1].

■ **غزو أرمينية وآذربيجان (سنة ٢٥ هـ/ ٦٤٦ م):**

قلنا إن الوليد بن عقبة تولىٰ مكان سعد بن أبي وقاص في الكوفة فعزل عتبة بن فرقد عن آذربيجان، وكان أميرًا عليها لعمر بن الخطاب. وروىٰ الطبري أنه كان بالرَّيِّ وآذربيجان ١٠.٠٠٠ مقاتل من أهل الكوفة ٦٠٠٠ بآذربيجان، و٤٠٠٠ بالري، وكان بالكوفة ٤٠.٠٠٠ فنقض أهل أرمينية وآذربيجان الصلح بعد أن عزل الوليد عتبة ابن فرقد فغزاهم الوليد.

فدعا سلمان بن ربيعة الباهلي، فبعثه أمامه مقدمة له، وخرج الوليد في جيش وهو يريد التوغل في أرض أرمينية فمضىٰ حتىٰ دخل آذربيجان.

وبعث عبد الله بن شُبْيل بن عوف الأحمسي في ٤٠٠٠ فأغار علىٰ أهل موقان والبر والطيلسان ورجع إلىٰ الوليد.

ثم صالح الوليد أهل آذربيجان علىٰ ٨٠٠.٠٠٠ درهم، وذلك هو الصلح الذي كانوا صالحوا عليه حذيفة بن اليمان سنة ٢٢ هـ بعد موقعة نهاوند بسنة، ثم إنهم حبسوها عند وفاة عمر. فلما هزمهم الوليد وصالحهم قبض منها المال وبث فيمن حولهم من الأعداء الغارات.

ولما عاد عبد الله بن شبيل من غارته بعث سلمان بن ربيعة الباهلي إلىٰ

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص٥٩٠)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٢/ ص٤٧٦).

أرمينية في ١٢٠٠٠، فهزمهم[١].

■ **معاوية بن أبي سفيان يطلب المدد:**

بعد أن عاد الوليد بن عقبة من الغزو أتاه كتاب عثمان رضي الله عنه هذا نصه:

«أما بعد فإن معاوية بن أبي سفيان كتب إليَّ يخبرني أن الروم قد أجلبت علىٰ المسلمين بجموع عظيمة، وقد رأيت أن يمدهم إخوانهم من أهل الكوفة، فإذا أتاك كتابي هذا فابعث رجلًا ممن ترضىٰ نجدته وبأسه وشجاعته وإسلامه في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إليهم من المكان الذي يأتيك فيه رسولي والسلام».

يرىٰ القارئ من ذلك أن أهالي البلاد التي دخلت في حوزة الإسلام انتهزوا فرصة وفاة عمر رضي الله عنه لمحاربة المسلمين فنقض أهل الإسكندرية الصلح، لكن عمرو بن العاص هزمهم، ونقض كذلك أهل أرمينية وآذربيجان صلحهم فهزمهم الوليد، والآن نجد معاوية بالشام يطلب المدد، لأن الروم جمعوا جيوشهم وأجلبوا علىٰ المسلمين.

وبعد أن وصل إلىٰ الوليد كتاب الخليفة قام في الناس فحمد الله وأثنىٰ عليه وقال:

«أما بعد، أيها الناس فإن الله قد أبلىٰ المسلمين في هذا الوجه بلاءً حسنًا، رد عليهم بلادهم التي كفرت، وفتح بلادًا لم تكن افتتحت، وردهم سالمين غانمين مأجورين، فالحمد لله رب العالمين. وقد كتب أمير المؤمنين يأمرني أن أندب منكم ما بين العشرة الآلاف إلىٰ الثمانية الآلاف. تمدون إخوانكم من أهل الشام فإنهم قد جاشت عليهم الروم وفي ذلك الأجر العظيم، والفضل المبين فانتدبوا رحمكم الله مع سلمان بن ربيعة الباهلي».

فانتدب الناس وخرج ثمانية آلاف رجل من أهل الكوفة فمضوا حتىٰ

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٢/ ص٤٧٧).

دخلوا مع أهل الشام أرض الروم وعلىٰ جند أهل الشام حبيب بن مسلمة بن خالد الفهري وعلىٰ جند أهل الكوفة سلمان بن ربيعة فصد المسلمون هجوم الروم، فأصاب الناس ما شاءوا من سبي وغنائم، وافتتحوا حصونًا كثيرة، وساروا منتصرين حتىٰ بلغوا آسيا الصغرىٰ مجتازين أرمينية فوصلوا طبرستان واتصلوا بزملائهم علىٰ الشاطئ الشرقي لبحر قزوين، واتجهوا نحو الشمال إلىٰ أن وصلوا تفليس والبحر الأسود. فهذا نصر عظيم وتوسع في الفتح سريع لا نظير له في تاريخ العالم[(١)].

■ **عزل عمرو بن العاص عن مصر وفتح أفريقية (سنة ٢٦ هـ/ ٦٤٧ م):**

لما ولي عثمان أقر عمرو بن العاص علىٰ عمله، وكان لا يعزل أحدًا إلا عن شكاة، أو استعفاء من غير شكاة، ثم عزل عمرو بن العاص عن خراج مصر، واستعمل عليه عبد الله بن سعد بن أبي سرح أمير الصعيد في زمن عمر ابن الخطاب.

كان عمرو بن العاص صاحب السلطة في مصر زمن عمر رضي الله عنه، فكان قائد الجيش، وصاحب الخراج، لكن عمر كان يستبطئ عمرًا في جمع الخراج، ويستقل ما يجبيه من مصر. ومما كتبه له في هذا الشأن: «وأعجب ما عجبت أنها -أي: مصر- لا تؤدي نصف ما كانت تؤديه من الخراج قبل ذلك علىٰ غير قحط ولا جدب». لكن يلاحظ أن عمرو بن العاص ألغىٰ كثيرًا من الضرائب التي كانت تجبىٰ في عهد الدولة الرومانية، وكانت سبب شكوىٰ المصريين وتألمهم من الحكم الروماني.

وعلىٰ كل حال لم يفكر عمر بن الخطاب في نزع الخراج من عمرو وقصره علىٰ الحرب مع تشدده عليه في جباية الخراج. فلما ولي عثمان رأىٰ إسناد الخراج إلىٰ عبد الله بن سعد أبي سرح وكان أخا عثمان من الرضاعة (أرضعت

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٢/ ص٤٨٠).

أمه عثمان)، فكتب عبد الله إلىٰ عثمان يقول: إن عمرًا كسر عليَّ الخراج، وكتب عمرو يقول: إن عبد الله قد كسر عليَّ مكيدة الحرب، فعزل عثمان عمرًا واستقدمه واستعمل بدله عبد الله علىٰ حرب مصر وخراجها، أي أنه أعطاه السلطة التي كانت مخولة لعمرو من قبل، فقدم عمرو مغضبًا، فدخل علىٰ عثمان وعليه جبة محشوة فقال: ما حشو جبتك؟ قال: عمرو، فقال عثمان: قد علمت أن حشوها عمرو ولم أرد هذا، إنما سألتك أقطن هو أم غيره؟ ثم بعث عبد الله بن سعد إلىٰ عثمان بمال من مصر قد حشد فيه، فدخل عمرو علىٰ عثمان فقال عثمان: يا عمرو هل تعلم أن تلك اللقاح(١) درَّت بعدك؟ فقال عمرو: إن فصالها هلكت. يريد عثمان أن مصر قد كثر خراجها علىٰ يد عبد الله بن سعد، فقال له عمرو: إن فصالها هلكت أي أن أولاد اللقاح قد هلكت بحرمانها من اللبن، يريد أن في ذلك إرهاقًا لأهالي مصر وتحميلهم ما لا يطاق.

وهذه الزيادة التي أخذها عبد الله، إنما هي علىٰ الجماجم فإنه أخذ عن كل رأس دينارًا خراجًا عن الخراج فحصل لأهل مصر بسبب ذلك الضرر الشامل. وكانت هذه أول شدة وقعت لأهل مصر في مبتدأ الإسلام، ويقال: إن عبد الله جبىٰ خراج مصر في تلك السنة ١٤٠٠٠٠٠ دينارًا بعد أن كان ١٢٠٠٠٠٠ زمن عمرو بن العاص، وهذا ما دعا عثمان رضي الله عنه إلىٰ توجيه اللوم إلىٰ عمرو، فكان جوابه ما ذكر.

كان عبد الله من جند مصر، وكان قد أمره عثمان بغزو أفريقية سنة خمس وعشرين وقال له عثمان: إن فتح الله عليك فلك من الفيء خمس الخمس نفلًا. وأمر عبد الله بن نافع بن عبد القيس وعبد الله بن نافع بن الحارث علىٰ جند وسرّحهما، وأمرهما بالاجتماع مع عبد الله بن سعد صاحب أفريقية، ثم يقيم

(١) اللقاح: جمع اللقحة وهي الناقة الحلوب الغزيرة اللبن، وقد شبَّه مصر بها، ودرَّت أي أخرجت لبنها.

عبد الله في عمله، فخرجوا حتىٰ قطعوا أرض مصر، وكان من بين الجيش الذي أرسله عثمان جماعة من أعيان الصحابة منهم: ابن عباس، وابن عمر، وابن عمرو بن العاص، وابن جعفر، والحسن، والحسين، فسار بهم عبد الله بن سعد إلىٰ أن وصلوا برقة فلقيهم عقبة بن نافع فيمن معه من المسلمين، وساروا إلىٰ طرابلس الغرب في جيش عدده ٤٠٠٠ فنهبوا من عندَها من الروم، وسار نحو شمال أفريقية وبث السرايا في كل ناحية، وكان ملكهم اسمه جرجير (**Greaorius**) وملكه من طرابلس إلىٰ طنجة فلما بلغه خبر المسلمين، تجهَّز وجمع العساكر وأهالي البلاد من قبائل البربر غير المدربين علىٰ القتال فبلغ عسكره ١٢٠٠٠٠ والتقىٰ هو والمسلمون في مكان بينه وبين سُبَيطلة يوم وليلة، وهذه المدينة كانت في ذلك الوقت دار الملك (**Sujetula**)، بينها وبين القيروان سبعون ميلًا، وكان بها حصن قوي، فأقاموا هناك يقتتلون كل يوم. وراسله عبد الله بن سعد يدعوه إلىٰ الإسلام، أو الجزية فامتنع منهما وتكبَّر عن قبول أحدهما. وقيل: كان عدد جيش المسلمين ٢٠٠٠٠. وانقطع خبر المسلمين عن عثمان فسيَّر عبد الله بن الزبير في جماعة إليهم ليأتيه بأخبارهم. فسار مجدًّا ووصل إليهم، وأقام، ولما وصل كثر الصياح والتكبير في المسلمين، فسأل جرجير عن الخبر! فقيل: قد أتاهم عسكر ففت ذلك في عضده. ورأىٰ عبد الله بن الزبير قتال المسلمين كل يوم من الصباح إلىٰ الظهر فإذا أذن بالظهر عاد كل فريق إلىٰ خيامه وشهد القتال من الغد فلم يرَ ابن أبي سرح معهم، فسأل عنه، فقيل: إنه سمع منادي جرجير يقول: من قتل عبد الله بن سعد، فله مائة ألف دينار وأزوَّجه ابنتي، وهو يخاف. فحضر عنده (في خيمته) وقال له: تأمر مناديًا ينادي من أتاني برأس جرجير نفلته مائة ألف، وزوَّجته ابنتك، واستعملته علىٰ بلاده، ففعل ذلك، فصار جرجير يخاف أشد من عبد الله.

ثم إن عبد الله بن الزبير قال لعبد الله بن سعد: إن أمرنا يطول مع هؤلاء وهم

في أمداد متصلة وبلادهم لهم، ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم، وقد رأيت أن نترك غدًا جماعة صالحة من أبطال المسلمين في خيامهم متأهبين ونقاتل نحن الروم في باقي العسكر إلىٰ أن يضجروا أو يملوا، فإذا رجعوا إلىٰ خيامهم ورجع المسلمون ركب من كان في الخيام من المسلمين ولم يشهدوا القتال وهم مستريحون، ونقصدهم علىٰ غرة، فلعل الله ينصرنا عليهم. فأحضر جماعة من أعيان الصحابة واستشارهم، فوافقوه علىٰ ذلك، فلما كان الغد فعل عبد الله ما اتفقوا عليه، وأقام جميع شجعان المسلمين في خيامهم وخيولهم عندهم مسرجة، ومضىٰ الباقون فقاتلوا الروم إلىٰ الظهر قتالًا شديدًا. فلما أذن بالظهر همَّ الروم بالانصراف علىٰ العادة فلم يمكنهم ابن الزبير وألح عليهم بالقتال حتىٰ أتعبهم، ثم عاد عنهم هو والمسلمون فكل من الطرفين ألقىٰ سلاحه ووقع تعبًا فعند ذلك أخذ عبد الله بن الزبير من كان مستريحًا من شجعان المسلمين وقصد الروم، فلم يشعروا بهم حتىٰ خالطوهم وحملوا عليهم حملة رجل واحد وكبَّروا فلم يتمكن الروم من لبس السلاح حتىٰ غشيهم المسلمون[(١)].

■ **قتل جرجير وانهزام الروم:**

انتصر المسلمون بفضل الخطة التي دبرها عبد الله بن الزبير، لأن الجيشين اعتادا القتال إلىٰ الظهر وطرح السلاح والركون إلىٰ الراحة بعد العناء من القتال، ثم استئناف الحرب في اليوم التالي وهكذا. ولو بقي الحال علىٰ هذا المنوال لطال أمد القتال بلا جدوىٰ لكن عبد الله رأىٰ أن يحارب بنصف الجيش في الصباح والنصف الآخر بعد الظهر حتىٰ لا يتمكن العدو من الراحة كما ألف.

وعبد الله بن الزبير بن العوام أمه أسماء بنت أبي بكر الصدِّيق ذات النطاقين – وهو أول مولود في الإسلام بعد الهجرة – فحنكه رسول الله ﷺ بتمرة لاكها

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (جـ٥/ ص٤٨)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٢/ ص٤٨٠) .

في فيه، ثم حنكه بها، فكان ريق رسول الله ﷺ أول شيء دخل جوفه، وسماه عبد الله، وكان صوّامًا قوّامًا، طويل الصلاة، عظيم الشجاعة. وقد أخطأ جيبون في كتابه: «سقوط الدولة الرومانية» فتوَّهم أن الذي انتصر في هذه الموقعة هو الزبير نفسه الذي تسلق حصن بابليون، والصواب أنه عبد الله بن الزبير، كما ذكره ابن الأثير وابن خلدون.

انهزم الروم وقتل منهم خلق كثير وقتل جرجير. قتله ابن الزبير وأخذت ابنته سبية وكانت تحارب مع أبيها وهي موصوفة بالجمال وتحسن ركوب الخيل وتجيد الرمي. وحاصر المدينة عبد الله بن سعد حتىٰ فتحها ووجد فيها من الأموال شيئًا كثيرًا، وكان سهم الفارس ٣٠٠٠ دينار وسهم الراجل ألفًا، وقد دام القتال خمسة عشر شهرًا.

ولما فتح عبد الله مدينة سبيطلة بثَّ جيوشه في البلاد، فبلغت قَفْصَة[١] فسبوا وغنموا، وسير عسكره إلىٰ حصن الأجم، وقد احتمىٰ به أهل تلك البلاد فحاصره، وفتحه بالأمان، فصالحه أهل أفريقية علىٰ ٥٠٠ ٠٠٠ دينار. ونفل عبد الله بن الزبير ابنة الملك، وأرسل إلىٰ عثمان البشارة، وكان مقام عبد الله بن سعد سنة وثلاثة أشهر وذلك سنة ٢٧ هـ، وحمل الخمس إلىٰ المدينة فاشتراه مروان بن الحكم بمبلغ ٥٠٠.٠٠٠ دينار فوضعها عنه عثمان، وكان هذا مما أُخذ عليه[٢].

ومروان بن الحكم هو ابن عم عثمان، وكان مع أبيه بالطائف حتىٰ استخلف عثمان فردهما، واستكتب عثمان مروان وضمَّه إليه.

وفي ذلك يقول عبد الرحمن الكندي:

ســـأحلف بـــالله جهـــد اليميـــ ـن (اليمين) ما ترك الله أمرًا سدى

---

(١) قَفْصَة: هي بلدة صغيرة بينها وبين القيروان ثلاثة أيام.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية (جـ٧/ ص ١٥٢).

ولكـــن خلقـــت لنـــا فتنـــة لكـــي نبتلـــي بـــك أو تبتلـــي
دعـــوت اللعـــين فأدنيتـــه خلافًـــا لـــسنة مـــن قـــد مـــضى
وأعطيـــت مـــروان خمـــس العبـــا د (العباد) ظلمًا لهم وحميت الحمى

كان بيع خمس الغنائم لمروان مما أخذ علىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:.

أولًا: لأن مروان ابن عمه.

ثانيًا: لأنه لا يُعلم علىٰ أي أساس قدر الخمس بهذا المبلغ فقد يساوي أضعاف ذلك.

ثالثًا: لأن عثمان هو الذي دفع المبلغ.

رابعًا: لأنه لم تجر سنة رسول الله وأبي بكر وعمر ببيع الغنائم لا إلىٰ غريب، ولا إلىٰ قريب، بل كانت توزع علىٰ المسلمين في الحال. أما ابن الزبير فإنه رجع إلىٰ عثمان بالبشارة بفتح أفريقية ومعه ابنة جرجير. وقيل: بل وقعت لرجل آخر من الأنصار[(١)].

■ **فتح قبرص (سنة ٢٨ هـ/ ٦٤٩ م):**

قبرص من أكبر جزائر البحر الأبيض المتوسط في أقصىٰ شرقيه، وهي جزيرة جبلية بها سلسلتان من الجبال. يشتغل أهلها بالزراعة وأرضها خصبة جدًا، وكانت تابعة للإمبراطورية الرومانية. كان فتح قبرص علىٰ يد معاوية سنة ٢٨ هـ غزاها في هذه السنة، وغزاها معه جماعة من الصحابة، فيهم أبو ذر، وعبادة بن الصامت، ومعه زوجته أم حرام، وأبو الدرداء، وشداد بن أوس. واستعمل عليهم عبد الله بن قيس الحارثي. وكان معاوية قد ألحَّ علىٰ عمر بن الخطاب في غزو البحر لقرب الروم من حمص. وقال: إن قرية من قرىٰ حمص ليسمع أهلها نُباح كلابهم وصياح دجاجهم. فكتب عمر إلىٰ عمرو بن العاص:

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ ٢/ ص ٤٨٤).

صف لي البحر وراكبه. فكتب إليه عمرو بن العاص:

«إني رأيت خلقًا كبيرًا يركبه خلق صغير ليس إلا السماء والماء. إن ركد خرق القلوب وإن تحرك أزاغ العقول. يزاد فيه اليقين قلة. والشك كثرة. وهم فيه كدود علىٰ عود إن مال غرق وإن اعتدل برق»[(١)].

فلما قرأ الكتاب عمر كتب إلىٰ معاوية:

«والذي بعث محمدًا ﷺ بالحق لا أحمل فيه مسلمًا أبدًا، وقد بلغني أن بحر الشام يشرف علىٰ أطول شيء من الأرض فيستأذن الله في كل يوم وليلة أن يغرق الأرض!! فكيف أحمل الجنود علىٰ هذا الكافر بالله، لمسلم أحب إليَّ مما حوت الروم وإياك أن تعرض إليَّ فقد علمت ما لقي العلاء مني»[(٢)].

إن هذا الكتاب غريب فإنه يدل علىٰ أن العرب كانوا يخشون البحر، وقد حسبه عمر خطرًا يهدد الأرض بالغرق كل يوم وليلة واعتبره كافرًا. وعلىٰ كل حال كان عمر رضي الله عنه يكره أن يجازف بالمسلمين في البحر.

فلما كان زمن عثمان رضي الله عنه كتب إليه معاوية يستأذنه في غزو البحر وألحَّ عليه في ذلك. وأخيرًا أجابه عثمان. ولكنه احتاط فلم يجعل التجنيد إجباريًا بل جعله اختياريًا حيث قال:

«لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم. خيِّرهم، فمن اختار الغزو طائعًا فاحمله وأعنه». وبهذه نراه أجاب معاوية من جهة، ومن جهة أخرىٰ لم يجازف بإرسال المسلمين، فجعل التجنيد اختياريًا حتىٰ إذا ما هزموا لم يكن ملومًا، والظاهر أنه كان لا يزال متأثرًا برأي عمر من حيث تخوفه من البحر. فأول أسطول جهزه المسلمون كان لغزو قبرص سنة ٢٨ هـ تحت قيادة عبد الله بن قيس، وسار إليها

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص٦٠٠)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٢/ ص٤٨٨).

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص٦٠٠)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٢/ ص٤٨٨).

عبد الله بن سعد من مصر بسفن أقلعت من الإسكندرية فاجتمعوا غليها فصالحهم أهلها علىٰ جزية ٧٠٠٠ دينار كل سنة[١] يؤدون إلىٰ الروم مثلها ولا منعة لهم علىٰ المسلمين ممن أرادهم من سواهم، وعلىٰ أن يكونوا عونًا للمسلمين علىٰ عدوهم ويكون طريق الغزو للمسلمين عليهم. وعلىٰ ذلك أخذت قبرص بسهولة فقد كانت الحامية المسيحية فيها ضعيفة. وقيل: إن عبد الله بن قيس غزا في البحر خمسين غزوة بين شاتية وصائفة، ولم يغرق فيه أحد، ثم إنه قتل عندما كان مشتغلًا بكشف مرفأ في الروم، إذ خرج في قارب طليعة، فانتهىٰ إلىٰ المرفأ من أرض الروم، فعرفوه وقتلوه، ذلك في آخر زمان عبد الله بن قيس الحارثي.

وفي هذه الغزوة ماتت أم حرم بيت ملحان الأنصارية زوجة عبادة بن الصامت. ألقتها بغلتها بجزيرة قبرص فاندقت عنقها فماتت تصديقًا للنبي ﷺ .

وقد كان رسول الله ﷺ يكرمها ويزورها في بيتها ويقيل عندها، وأخبرها أنها شهيدة. ففي ذات يوم نام في بيتها فاستيقظ وهو يضحك وقال: «**عُرض عليَّ ناس من أمتي يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك علىٰ الأسرة**». فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «**إنك منهم**». ثم نام فاستيقظ وهو يضحك فقالت: يا رسول الله ما يضحكك؟! قال: «**عُرض عليَّ ناس من أمتي يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك علىٰ الأسرة**». قالت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «**أنت من الأولين**»[٢]. فتزوجها عبادة بن الصامت فأخرجها معه، فلما جاز البحر ركبت دابة فصرعتها فقتلتها وقد دفنت رحمها الله في قبرص.

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص٦٠١)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٢/ ص٤٨٩).

(٢) رواه أحمد في (م ٦/ ص٣٦١).

وفي هذه السنة ٢٨ هـ تزوج عثمان نائلة ابنة الفرافصة، وكانت نصرانية فأسلمت قبل أن يدخل بها[١].

■ **عزل أبي موسى الأشعري عن البصرة وتولية عبد الله بن عامر (سنة ٢٩ هـ/ ٦٥٠ م):**

عزل عثمان رضي الله عنه في سنة ٢٩ هـ أبا موسىٰ الأشعري عن البصرة لثلاث سنين مضت من خلافته. وولىٰ عبد الله بن عامر بن كريز وهو ابن خاله.

وكان سبب عزل أبي موسىٰ أن أهل ايْذَج[٢]، والأكراد كفروا، فنادىٰ أبو موسىٰ في الناس وحضَّهم وندبهم، وذكر من فضل الجهاد في الرُّجلة[٣] حتىٰ حمل نفر علىٰ دوابهم وأجمعوا علىٰ أن يخرجوا رجالًا[٤]. وقال آخرون: لا والله لا نعجل بشيء حتىٰ ننظر ما يصنع، فإن أشبه قوله فعله فعلنا كما يقول، فلما خرج أخرج ثقله[٥] من قصره علىٰ أربعين بغلًا، فتعلقوا بعنانه وقالوا: احملنا علىٰ بعض هذه الفضول وارغب في المشي كما رغَّبتنا، فضرب القوم بسوطه، فتركوا دابته فمضىٰ، وأتوا عثمان فاستعفوه منه، وقالوا: ما كل ما نعلم نحب أن نقوله فأبدلنا نه. فقال: من تحبون؟ فقالوا: غيلان بن خرشة، في كل أحد عوض من هذا العبد الذي قد أكل أرضًا وأحيا أمر الجاهلية فينا. أما منكم خسيس فترفعوه! أما منكم فقير فتجبروه! يا معشر قريش حتىٰ يأكل هذا الشيخ

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص٦٠٠)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٢/ ص٤٨٨)، السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص١٢٣): «وفي سنة سبع وعشرين هجرية غزا معاوية قُبْرُس»، الذهبي، تاريخ الإسلام (جـ٣/ ص٣٢٥).

(٢) أيذج: كورة وبلد بين خوزستان وأصبهان، وهي في وسط الجبال، يقع بها ثلج كثير، زرعهم علىٰ الأمطار، لهم بطيخ كثير، وهي كثيرة الزلازل، وبها معادن كثيرة، وبها بيت نار قديم كان يوقد إلىٰ أيام الرشيد.

(٣) الرُّجْلة: القوة علىٰ المشي.

(٤) رجالًا: أي ماشين.

(٥) ثقله: أمتعته وأثقاله كلها.

الأشعري هذه البلاد؟ فانتبه لها عثمان فعزل أبا موسىٰ وولَّىٰ عبد الله بن عامر، فلما سمع أبو موسىٰ قال: يأتيكم غلام عمر، خراج، ولاَّج، كريم الجدات، والخالات، والعمات، يجمع له الجندان، وكان عمر عبد الله خمسًا وعشرين سنة، وجمع له جند أبي موسىٰ، وجند عثمان بن أبي العاص الثقفي من عمان والبحرين، واستعمل علىٰ خراسان عمير بن عثمان بن سعد، وعلىٰ سجستان عبد الله بن عمير الليثي وهو من ثعلبة، فأثخن فيها إلىٰ كابل، وأثخن عمير في خراسان حتىٰ بلغ فرغانة لم يدع دونها كورة إلا أصلحها، وبعث إلىٰ مكران عبيد الله بن معمر، فأثخن فيها حتىٰ بلغ النهر، وبعث إلىٰ كرمان عبد الرحمن بن عبيس، وبعث إلىٰ الأهواز وفارس نفرًا، ثم عزل عبد الله بن عمير، واستعمل عبد الله بن عامر فأقره عليها سنة، ثم عزله واستعمل عاصم بن عمرو وعزل عبد الرحمن بن عبيس وأعاد عدي بن سهيل بن عدي، وصرف عبيد الله بن معمر إلىٰ فارس، واستعمل مكانه عمير بن عثمان، واستعمل علىٰ خراسان أمير بن أحمر اليشكري، واستعمل علىٰ سجستان سنة أربع عمران بن الفضيل البرجمي، ومات عاصم بن عمرو بكرمان[(١)].

■ **عثمان رضي الله عنه يصلي بمِنَى صلاة المقيم (سنة ٢٩ هـ/ ٦٥٠ م):**

صلىٰ عثمان بالناس بمنىٰ أربعًا، فأتىٰ آتٍ عبد الرحمن بن عوف فقال: هل لك في أخيك؟ قد صلىٰ بالناس أربعًا. فصلىٰ عبد الرحمن بأصحابه ركعتين، ثم خرج حتىٰ دخل علىٰ عثمان فقال له: ألم تصلِّ في هذا المكان مع رسول الله ٥ ركعتين؟ قال: بلىٰ. قال: أفلم تصلِّ مع أبي بكر ركعتين؟ قال: بلىٰ. قال: أفلم تصلِّ مع عمر ركعتين؟ قال: بلىٰ. قال: ألم تصلِّ صدرًا من خلافتك ركعتين؟ قال: بلىٰ. ثم قال: فاسمع مني يا أبا محمد، إني أخبرت أن بعض من

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص٦٠٤)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٢/ ص٤٩١).

حج من أهل اليمن وجفاة الناس قد قالوا في عامنا الماضي: إن الصلاة للمقيم ركعتان، هذا إمامكم عثمان يصلي ركعتين وقد اتخذت بمكة أهلًا فرأيت أن أصلي أربعًا لخوف ما أخاف علىٰ الناس، وأخرىٰ قد اتخذت بها زوجة ولي بالطائف مال، فربما أطلعته فأقمت بعد الصدر. فقال عبد الرحمن بن عوف: ما من هذا شيء لك فيه عذر. أما قولك: اتخذت أهلًا فزوجتك في المدينة تخرج بها إن شئت، وتقدم بها إذا شئت إنما تسكن بسكناك. وأما قولك: ولي مال بالطائف، فإن بينك وبين الطائف مسيرة ثلاث ليال، وأنت لست من أهل الطائف. وأما قولك: يرجع من حج من أهل اليمن وغيرهم فيقولون هذا إمامكم عثمان يصلي ركعتين وهو مقيم، فقد كان رسول الله ﷺ ينزل عليه الوحي والناس يومئذٍ الإسلام فيهم قليل، ثم أبو بكر مثل ذلك، ثم عمر. فضرب الإسلام بجرانه فصلىٰ بهم عمر حتىٰ مات ركعتين. فقال عثمان: هذا رأي رأيته[(١)].

■ **موقعة الصواري (سنة ٣١ هـ/ ٦٥٢ م):**

بعد ثلاث سنين من سقوط قبرص في يد المسلمين خرج الروم في جمع لم يجتمع مثله لهم قط منذ كان الإسلام فخرجوا في أسطول مؤلف من ٥٠٠ سفينة، وقيل أكثر. وتحدُّوا المسلمين وعليهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح الذي جهز كل سفينة في مصر، وكانت مراكب المسلمين مائتي مركب ونيفًا، واختار جيشًا من الشجعان، فأمن الفريقان بعضهم بعضًا حتىٰ قرنوا بين سفن المسلمين والروم بين صواريها، وكانت الريح هبَّت فرست السفن علىٰ الشاطئ، وربط المسلمون السفن بعضها إلىٰ ببعض بالقرب من الإسكندرية، واشتبك القتال بين الفريقين ووثب الرجال علىٰ الرجال يتضاربان بالسيوف

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص٦٠٦)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٢/ ص٤٩٤).

علىٰ السفن حتىٰ رجعت الدماء إلىٰ الساحل تضربها الأمواج وطرحت الأمواج جثث الرجال فقتل من المسلمين بشر كثير وقتل من الروم عدد كثير أيضًا، وصبروا يومئذ صبرًا لم يصبروا مثله في موطن قط. وفي النهاية عجز الروم عن مقاومة المسلمين لشجاعتهم وحسن بلائهم، وانهزموا، وفرَّ قائدهم إلىٰ سرقوسة (Syracause) وهي أكبر مدينة بجزيرة صقلية (Scile)[١].

■ **من هو قائد الروم في موقعة الصواري؟**

جاء في تاريخ الطبري وصف معركة الصواري وذكر قائد الروم كما يلي[٢]:

«فلقوا جموع الروم في خمسمائة أو ستمائة فيها القسطنطين بن هرقل فقال: أشيروا عليَّ. قالوا: ننظر الليلة، فباتوا يضربون بالنواقيس، وبات المسلمون يصلون ويدعون الله، ثم أصبحوا وقد أجمع القسطنطين أن يقاتل، فقربوا سفنهم، وقرب المسلمون، فربطوا بعضها إلىٰ بعض، ووصف عبد الله بن سعد المسلمين علىٰ نواحي السفن، وجعل يأمرهم بقراءة القرآن، ويأمرهم بالصبر، ووثب الروم في سفن المسلمين علىٰ صفوفهم حتىٰ نقضوها فكانوا يقاتلون علىٰ غير صفوف. فاقتتلوا قتالًا شديدًا. ثم إن الله نصر المؤمنين فقتلوا منهم مقتلة عظيمة لم ينج من الروم إلا الشريد».

فأنت ترىٰ أن اسم القائد الروماني في موقعة الصواري كما ذكره الطبري[٣] «القسطنطين بن هرقل»، وذكره ابن الأثير[٤] في تاريخه بدون أداة تعريف «قسطنطين». واكتفىٰ الأستاذ موير في كتابه (الخلافة ص ٢٠٦ طبعة سنة ١٩٢٤) بقوله:

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص٦١٨)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٣/ ص١٣)، ابن كثير، البداية والنهاية (جـ٧/ ص١٥٧).

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص٦١٩).

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص٦١٨).

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٣/ ص١٣).

«إن قائد الروم أبحر إلىٰ سرقوسة، وهنالك غضب عليه أهلها لانهزامه وعجلوا بقتله في حمامه» وكتب في الهامش: إن كنستانس الثاني -بناء علىٰ رأي تيوفان- هو الذي قتل بهذه الكيفية. وقال الأستاذ واشنجتون [واشنطون] ايرفنج: «إن الإمبراطور فرَّ بالمراكب». والحقيقة أن قائد الروم في موقعة الصواري هو كنستانس الثاني الذي ذكره مؤرخو العرب باسم قسطنطين، وكان هذا الإمبراطور يلقب بـ: «هرقل» وسمي عند تتويجه بـ: «قسطنطين»، إلا أن تيوفان يسميه «كنستانس» وهو معروف بكنستانس الثاني واسمه الرسمي «قسطنطين» فهو بالضبط كنستانس الثاني ابن قسطنطين الثالث ابن هرقل، وكان موله سنة ٦٣٠ م. وذكرت دائرة المعارف البريطانية في الطبعة الأخيرة: «أنه قتل في الحمام من غير أن تذكر أسباب قتله».

وجاء في المقريزي:

«فبعث الله عليهم ريحًا فغرقتهم إلا قسطنطين، فإنه نجا بمركبه، فألقته الريح بصقلية. فسألوه عن أمره، فأخبرهم. فقالوا: شتتت النصرانية، وأفنيت رجالها. ولو دخلت العرب علينا لم نجد من يردهم. فقال: خرجنا مقتدرين فأصابنا هذا. فصنعوا له الحمام ودخلوا عليه. فقال: ويلكم يذهب رجالكم وتقتلون ملككم! قالوا: كأنه غرق معهم، ثم قتلوه، وخلوا من كان معه في المركب».

وفي هذه السنة - ٣١ هـ - غزا عبد الله غزوة الأساود حتىٰ بلغ دنقلة.

■ بدء الطعن على عثمان رضي الله عنه:

أقام عبد الله بن سعد بذات الصَّوَاري بعد الهزيمة أيامًا، ورجع فكان أول ما تكلم به «محمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر» في أمر عثمان في هذه الغزوة، وأظهروا عيبه، وما غيَّر وما خالف به أبا بكر وعمر، ويقولان: إنه استعمل عبد الله بن سعد رجلًا كان رسول الله ﷺ قد أباح دمه، ونزل القرآن بكفره، وأخرج رسول الله ﷺ قومًا وأدخلهم. ونزع أصحاب رسول الله ﷺ .

واستعمل سعيد بن العاص وابن عامر. فبلغ ذلك عبد الله بن سعد فقال: ألا تركبا معنا؟ فركبا في مركب ما معهما إلا القبط، فلقوا العدو، فكانا أقل المسلمين نكاية وقتالًا، فقيل لهما في ذلك، فقالا: كيف نقاتل مع عبد الله بن سعد، استعمله عثمان وعثمان فعل كذا وكذا؟ فأرسل إليهما عبد الله ينهاهما، ويتهددهما، ففسد الناس بقولهما، وتكلموا ما لم يكونوا ينطقون به.

وروي أن محمد بن أبي حذيفة جعل يقول للرجل: أما والله لقد تركنا خلفنا الجهاد حقًا، فيقول الرجل: وأيّ جهاد، فيقول: عثمان بن عفان فعل كذا وكذا. واستحل كلاهما دم عثمان.

ولد محمد بن أبي حذيفة بأرض الحبشة علىٰ عهد رسول الله ﷺ وهو ابن خال معاوية بن أبي سفيان أخذه عثمان بن عفان عنده بعد أن قتل أبوه حذيفة فكفله إلىٰ أن كبر، ثم سار إلىٰ مصر فصار من أشد الناس تأليبًا علىٰ عثمان.

وأما محمد بن أبي بكر فقد ولد في حجة الوداع بذي الحليفة لخمس بقين من ذي العقدة، والذي دعا محمد بن أبي حذيفة إلىٰ الخروج علىٰ عثمان أنه كان يتيمًا في حجر عثمان، فسأله عثمان العمل حين ولي، فقال: يا بني لو كنت رضًىٰ، ثم سألتني العمل لاستعملتك، ولكن لست هناك. قال: فأذن لي فلأخرج فلأطلب ما يقوتني. قال: اذهب حيث شئت، وجهَّزه من عنده، وحمله وأعطاه، فلما وقع إلىٰ مصر كان فيمن تغير عليه أن منعه الولاية.

ثم إن الذي دعا محمد بن أبي بكر إلىٰ الطعن في عثمان أن محمدًا كانت عليه دالة، فلزمه حق، فأخذه عثمان من ظهره ولم يُدْهِن فاجتمع هذا إلىٰ هذا فصار مذممًا بعد أن كان محمدًا[(١)].

■ عزل الوليد بن عقبة عن الكوفة:

كان للكوفة شأن عظيم، وتأثير في مجرىٰ الحوادث في ذلك الوقت، وقد

(١) المسعودي، مروج الذهب (جـ٢/ ص٣٤٧).

أخذ أهلها يتذمرون ويتحزبون، ويثيرون الفتن علىٰ الولاة، فلم تطل ولاية المغيرة علىٰ الكوفة[(١)]، فعزله عثمان، وولىٰ مكانه سعد بن أبي وقاص، عملًا بوصية عمر، إلىٰ أن حدث الخلاف بينه وبين ابن مسعود، الذي كان علىٰ بيت المال، فغضب عثمان علىٰ سعد، فعزله، وولىٰ مكانه الوليد بن عقبة، وهو أخو عثمان لأمه. وكان شجاعًا، لكنه كان متهمًا بشرب الخمر، ثم إن أبا عقبة بن أبي معيط كان من أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ، ومن المستهزئين به، ولما أسر في غزوة بدر وقدم للقتل نادىٰ: يا معشر قريش ما لي أقتل بينكم صبرًا؟! فقال له النبي ﷺ: «**بكفرك واجترائك علىٰ الله ورسوله**»[(٢)]، وعقبة[(٣)] هو الذي وضع سلا الجزور علىٰ ظهر النبي ﷺ وهو ساجد. فهناك مجال واسع للطعن علىٰ ولاية الوليد بن عقبة:

أولًا: لأنه ابن عقبة بن أبي معيط المعروف بعدائه لرسول الله ﷺ.

ثانيًا: لأنه هو الذي ذكر في القرآن بقوله تعالىٰ: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات:٦].

ثالثًا: لأنه كان متهمًا بشرب الخمر.

رابعًا: لأن المسلمين يعلمون قرابته لعثمان، وقد كان من الصحابة من هو أحق منه بهذا المركز، ولا سيما سعد الذي كانت له مواقف مشهورة في حرب الفرس، ومع ذلك كان الوليد محبوبًا، وقام بغزوات عدة ظهرت فيها شجاعته، لكن أهل الكوفة حملوا عليه حملة شديدة. وقد بقي خمس سنين وليس لداره باب. ثم إن شُبانًا من أهل الكوفة نقبوا علىٰ ابن الحَيْسُمَان الخزاعي وكاثروه

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٣/ ص٥٣).

(٢) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٦: ٨٩).

(٣) كان عقبة بن أبي معيط تزوج أروىٰ بعد وفاة عفَّان، فولدت له الوليد، وخالدًا، وعمارة، وأم كلثوم، كل هؤلاء أخوة عثمان لأمه.

فنذر بهم[١]. وخرج عليهم بالسيف وصرخ، فأشرف عليهم أبو شريح الخزاعي وكان قد انتقل من المدينة إلىٰ الكوفة للقرب من الجهاد. فصاح بهم أبو شريح فلم يلتفتوا إليه وقتلوا ابن الحيْسمان وأخذهم الناس وفيهم زهير بن جُنْدَب الأزدي وموزَّع بن أبي مورع الأسدي وشبيل ابن أبيّ الأزدي وغيرهم فشهد عليهم أبو شريح وابنه فكتب فيهم الوليد إلىٰ عثمان بقتلهم فقتلهم علىٰ باب القصر، في الرَّحبة. ولهذا أخذ في القسامة[٢] بقول ولي المقتول عن ملأ من الناس ليكف الناس عن القتل.

وكان أبو زبيد الطائي الشاعر في الجاهلية والإسلام في بني تغلب وكانوا أخواله فجحدوه دينًا له، فأخذ له الوليد حقه إذا كان عاملًا عليهم فشكر أبو زبيد ذلك له وانقطع إليه، وغشيه بالمدينة والكوفة، وكان نصرانيًا، فأسلم عند الوليد. وكان معروفًا بشرب الخمر، فأنزله دارًا لعقيل بن أبي طالب علىٰ باب المسجد فاستوهبها منه زبيد فوهبها له، فكان ذلك أول الطعن علىٰ الوليد بالكوفة، لأن أبا زبيد كان يخرج من منزله حتىٰ يشق الجامع إلىٰ الوليد فَيَسْمُرَ عنده، ويشرب معه، ويخرج فيشق المسجد، وهو سكران. فلذلك نبهم عليه. فبينما هو عنده أتىٰ آتٍ أبا زينب، وأبا مورع، وجندبًا، وكانوا يتربصون للوليد منذ قتل أبناءهم، ويضعون له العيون للإيقاع به، فقال لهم: إن الوليد وأبا زبيد يشربان الخمر، فثاروا وأخذوا معهم نفرًا من أهل الكوفة، فاقتحموا عليه، فلم يروه، فأقبلوا يتلاومون، وسبَّهم الناس، وكتم الوليد ذلك عن عثمان. وجاء جندب ورهط معه إلىٰ ابن مسعود فقالوا له: إن الوليد معتكف علىٰ الخمر وأذاعوا ذلك. فقال

---

(١) نَذَرَ بهم: علم بهم واستعد لهم.

(٢) القَسَامة: بالفتح، الأيمان تُقسَم علىٰ أولياء القتيل إذا ادَّعوا الدم، يقال: قتل فلان بالقَسَامة إذا اجتمعت جماعة من أولياء القتيل فادعوا علىٰ رجل أنه قتل صاحبهم، ومعهم دليل دون البينة، فحلفوا خمسين يمينًا أن المدعىٰ عليه قتل صاحبهم، فهؤلاء الذين يقسمون علىٰ دعواهم يسمَّون قَسَامَة أيضًا.

ابن مسعود: «من استتر عنا لم نتبع عورته». فعاتبه الوليد علىٰ قوله حتىٰ تغاضبا، ثم أتىٰ الوليد بساحر، فأرسل إلىٰ ابن مسعود يسأله عن حده، واعترف الساحر عند ابن مسعود، وكان يخيل إلىٰ الناس أنه يدخل في دبر الحمار، ويخرج في فيه، فأمره ابن مسعود بقتله. فلما أراد الوليد قتله أقبل الناس ومعهم جندب بن كعب، فضرب الساحر، فقتله، فحبسه الوليد، وكتب إلىٰ عثمان فيه، فأمره بإطلاقه وتأديبه، فغضب لجندب أصحابه، وخرجوا إلىٰ عثمان يستعفون من الوليد، فردهم خائبين، فلما رجعوا أتاهم كل موتور، فاجتمعوا معهم علىٰ رأيهم، ودخل أبو زينب وأبو مُورَع وغيرهم علىٰ الوليد، فتحدثوا عنده، فنام، فأخذا خاتمه وسارا إلىٰ المدينة. واستيقظ الوليد فلم ير خاتمه، فسأل نساءه عن ذلك فأخبرنه أن آخر من بقي عنده رجلان صفتهما كذا وكذا فاتهمهما وقال: هما أبو زينب وأبو مورع، وأرسل يطلبهما فلم يوجدا. فقدما علىٰ عثمان ومعهما غيرهما، وأخبراه أنه شرب الخمر. فأرسل إلىٰ الوليد فقدم المدينة ودعا بهما عثمان. فقال: أتشهدان أنكما رأيتماه يشرب. فقالا: لا. قال: فكيف؟ قالا: اعتصرناها من لحيته، وهو يقيء الخمر. فأمر سعيد بن العاص فجلده. فأورث ذلك عداوة بين أهليهما. وقيل: إن الذي جلده عبد الله بن جعفر بن أبي طالب جلده أربعين جلدة وهو الصحيح، لأن عليًا أمر ابنه الحسن أن يجلده، فقال الحسن: ولِّ حارَّها من تولىٰ قارها[(١)]، فأمر عبد الله بن جعفر فجلده أربعين، فقال عليّ: أمسك. جلد رسول الله ﷺ وأبو بكر أربعين، وجلد عمر ثمانين، وكل سُنَّة. وهذا أحب إليَّ.

وقيل: إن الوليد قد سكر وصلىٰ الصبح بأهل الكوفة أربعًا، ثم التفت إليهم وقال: أزيدكم؟[(٢)] فقال ابن مسعود: «ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم». وشهدوا عليه عند عثمان، فأمر عليًا بجلده، فأمر عليٌّ جعفرًا فجلده.

---

(١) أي: ولِّ مكروه الأمر من تولىٰ محبوبه.

(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص١٢٣).

وروي أنه لما أحضر عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الوليد في شرب الخمر حضر الحُطيئة، فاستأذن علىٰ عثمان وعنده بنو أمية متوافرون، فطمعوا أن يلتمس للوليد عذرًا فقال[(١)]:

شـــهد الحُطيئـــة يـــوم يلقـــى ربـــه أن الوليـــــد أحـــــق بالعـــــذر

خلعـــوا عِنانـــك إذ جريـــت ولـــو تركـــوا عنانـــك لـــم تـــزل تجـــري

ورأوا شـــــمائل ماجـــــد أنـــــف يعطـــي علـــى الميـــسور والعـــسر

فنُزعـــت مكـــذوبًا عليـــكَ ولـــم تنـــزع إلـــى طمـــع ولا فقـــر

فسروا بذلك وظنوا أنه قد قام بعذره. فقال رجل من بني عجل يرد علىٰ الحطيئة:

نـــادى وقـــد تمـــت صـــلاتهم أأزيـــديكم - ثمـــلًا - ومـــا يـــدري

فـــأبوا أبـــا وهـــب ولـــو فعلـــوا وصـــلتْ صـــلاتهُمُ إلـــى العـــشر

فوجم القوم وأطرقوا. فأمر به عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فحُدَّ.

شهد علىٰ الوليد أبو زينب، وأبو مورع، وجُندَب، وسعد بن مالك الأشعري، ولم يشهد عليه إلا يمانٍ. (أي: أن كل من شهد عليه من اليمن).

جُلد الوليد في المدينة أمام أقارب عثمان، أمام بني أمية، أمام علي بن أبي طالب وأولاده وأنصاره، وهذه فضيحة شنيعة:

أولًا: لأنه كان واليًا علىٰ الكوفة والخمر محرمة في الشريعة الإسلامية، ويُحدُّ شاربها، والوالي هو الذي يقيم الحدود، فيجب عليه أن يكون قدوة للناس في الصلاح والتقوىٰ وإتباع الكتاب والسنة.

ثانيًا: لأنه أخو الخليفة الذي ولاه مكان سعد بن أبي وقاص، فاختيار عثمان للوليد لم يكن موفقًا. فما كل ذي قرابة يصلح للحكم، ومن خلق الناس

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٣/ ص ٤).

أنهم يتربصون وقوع الخطأ ممن يعين لقرابته لأولي الأمر، فإذا هفا هفوة، أو أذنب طعنوا عليه، وعددوا مثالبه، وطعنوا علىٰ من ولاه. وقد قيل: إن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان واقعًا تحت تأثير أقاربه وبني أمية، وكان يثق بهم. أما أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقد كانا يتجنبان المحاباة ولا يراعيان غير المصلحة العامة. ولم يرَ عثمان بدًا من جلد الوليد بعد أن شهدوا عليه إقامة للحدود.

وفي الطبري: كان الناس في الوليد فرقتين، العامة معه والخاصة عليه. فما زال عليهم من ذلك الخشوع حتىٰ كانت صفِّين، فولىٰ معاوية، فجعلوا يقولون عيَّب عثمان بالباطل، فقال لهم عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنكم وما تعيرون به عثمان كالطاعن نفسه ليقتل ردفه، ما ذنب عثمان في رجل ضربه بقوله وعزله عن عمله. وما ذنب عثمان فيما صنع عن أمرنا؟»[(١)].

وعن نافع بن جبير قال: قال عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذا جلد الرجل الحرّ ثم ظهرت توبته جازت شهادته.

وقيل: كان الوليد أدخل الناس علىٰ الناس خيرًا - حتىٰ جعل يقسم للولائد والعبيد، ولقد تفجَّع عليه الأحرار والمماليك، كان يُسْمَع الولائد -وعليهن الحداد- يقلن:

يـــا ويلتـــا قـــد عـــزل الوليـــد وجاءنـــا مُجوّعًـــا ســـعيد

يـــنقص فـــي الـــصاع ولا يزيـــد فَجُـــوَّعَ الإمـــاء والعبيـــد

■ تولية سعيد بن العاص الكوفة (سنة ٣٠ هـ/ ٦٥١ م):

هو سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي، الأموي، وجده هو المعروف بأبي أحيحة. وأم سعيد هي أم كلثوم بنت عمرو بن عبد الله بن أبي قيس. ولد عام الهجرة. وقيل: بل ولد سنة إحدىٰ. وقتل أبوه العاص يوم بدر كافرًا، قتله عليّ بن أبي طالب. وكان سعيد من أشراف قريش وأجوادهم

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص ٦١٢.

وفصحائهم، وهو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان ﷺ. وكان كثير الجود والسخاء، إذا سأله سائل وليس عنده ما يعطيه كتب به دينًا إلىٰ وقت ميسرته. وكان يجمع إخوانه كل جمعة يومًا فيصنع لهم الطعام، ويخلع عليهم، ويرسل إليهم بالجوائز، ويبعث إلىٰ عيلاتهم بالبر الكثير، وكان يبعث مولىٰ له إلىٰ المسجد بالكوفة في كل ليلة جمعة ومعه الصرر فيها الدنانير، فيضعها بين يدي المصلين، فكثر المصلون بالمسجد بالكوفة في كل ليلة جمعة، إلا أنه كان عظيم الكبر. وإن عربية القرآن أقيمت علىٰ لسان سعيد بن العاص، لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ.

توفي سعيد سنة ٥٩ هـ، ولما حضرته الوفاة قال لبنيه: «أيكم يقبل وصيتي؟ قال ابنه الأكبر: أنا يا أبت. قال: إن فيها وفاء ديني. قال: وما دينك؟ قال: ثمانون ألف دينار. قال: وفيما أخذتها؟ قال: يا بني في كريم سددت خلته. وفي رجل جاءني ودمه ينزوي في وجهه من الحياء، فبدأته بحاجته قبل أن يسألنيها». وكان سعيد قد ربيَّ في حجر عثمان، فلما فتح الشام قدمه فأقام مع معاوية. فذكر عمر يومًا قريشًا، فسأل عنه، فأخبر أنه بالشام فاستقدمه، فقدم عليه. فقال له: بلغني عنك بلاء وصلاح، فازدد يزدك الله خيرًا، وقال له: هل لك زوجة؟ قال: لا. وجاء عمر بنات سفيان بن عوف ومعهن أمهن فقالت أمهن: هلك رجالنا، وإذا هلك الرجال ضاع النساء فضعهن في أكفائهن، فزوَّج سعيدًا إحداهن، وزوَّج عبد الرحمن بن عوف الأخرىٰ، وأتاه بنات مسعود بن نعيم النهشلي فقلن له: قد هلك رجالنا وبقي الصبيان فضعنا في أكفائنا. فزوَّج سعيدًا إحداهن، وجبير بن مطعم الأخرىٰ، وكانت عمومته ذوي بلاء في الإسلام وسابقة فلم يمت عمر حتىٰ كان سعيد من رجال قريش. فلما استعمله عثمان سار حتىٰ أتىٰ الكوفة أميرًا ورجع ومعه الأشتر، وأبو خشة الغفاري، وجندب بن عبد الله، وأبو مصعب بن جثامة، وكانوا ممن شخص مع الوليد يعيبونه فصاروا عليه.

ولما وصل سعيد الكوفة صعد المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال: «والله لقد بعثت إليكم وإني لكاره، ولكني لم أجد بدًا إذا أمرت أن آتمر، إلا أن الفتنة قد أطلعت خطمها وعينيها ووالله لأضربن وجهها حتىٰ أقمعها أو تعييني، وإني لرائد نفسي اليوم».

ثم نزل وسأل عن أهل الكوفة فعرف حال أهلها. وهذه الخطبة إنذار لأهل الكوفة بأنه سيستعمل الشدة معهم[(١)].

■ **كتاب سعيد إلى عثمان:**

ثم كتب سعيد إلىٰ الخليفة كتابًا قال فيه:

«إن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم، وغُلب أهل الشرف منهم والبيوتات السابقة، والغالب علىٰ تلك البلاد روادف قدمت وأعراب لحقت، حتىٰ لا ينظر إلىٰ ذي شرف وبلاء من نابتتها ولا نازلتها».

فكتب عثمان إليه:

«أما بعد، ففضل أهل السابقة والقدمة ممن فتح الله عليه تلك البلاد، وليكن من نزلها بسببهم تبعًا لهم، إلا أن يكونوا تثاقلوا عن الحق وتركوا القيام به وقام به هؤلاء، واحفظ لكل منزلته، وأعطهم جميعًا بقسطهم من الحق. فإن المعرفة بالناس بها يصاب العدل».

فأرسل سعيد إلىٰ وجوه الناس من أهل الأيام والقادسية فقال: «أنتم وجوه من وراءكم. والوجه ينبئ عن الجسد فأبلغونا حاجة ذي الحاجة، وخلة ذي الخلة، وأدخلوا معهم من يحتمل من اللواحق والروادف».

كثر القيل والقال وقال بعض شعراء الكوفة يندد بسعيد وكثرة التبديل في الولاة:

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص٦٠٨)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٢/ ص٣).

فـررت مـن الوليـد إلـى سـعيد كأهـل الحجـر إذ جزعـوا فبـاروا
بلينـا مـن قـريش كـل عـام أميـرٌ مُحْـدَثٌ أو مستـشار
لنـا نـار نخوّفهـا فنخـشى وليس لهـم فـلا يخـشون نـار

ثم إن سعيد جعل القراء في سمره، ففشت القالة في أهل الكوفة، فكتب سعيد إلىٰ عثمان بذلك، فجمع الناس وأخبرهم بما كتب إليه فقالوا له: أصبت لا تطمعهم فيما ليسوا له بأهل، فإنه إذا نهض في الأمور من ليس بأهل لها لم يحتملها وأفسدها، فقال عثمان:

«يا أهل المدينة استعدوا واستمسكوا. فقد دبت إليكم الفتن، وإني والله لأستخلصن لكم الذي لكم حتىٰ أنقله إليكم، إن رأيتم حتىٰ يأتي من شهد مع أهل العراق سهمه فيقيم معه في بلاده، فقالوا: كيف تنقل إلينا سهمنا من الأرضين؟ فقال: ببيعها ممن شاء بما كان له بالحجاز واليمن وغيرها من البلاد ففرحوا وفتح الله لهم أمرًا لم يكن في حسابهم، وفعلوا ذلك واشتراه رجال من كل قبيلة وجارٍ لهم عن تراضٍ منهم ومن الناس وإقرار بالحقوق»[(١)].

■ **غزوة طبرستان (سنة ٣٠ هـ/ ٦٥١ م):**

- **نبذة عن تاريخها وتسميتها:**

تعرف طبرستان باسم مازندران أيضًا، وهي ولاية من ولايات إيران قديمًا، وموقعها إلىٰ الجنوب الشرقي من بحر طبرستان، وهو بحر الخزر أو بحر قزوين، يحدها من الغرب كيلان، أو الجيلان، ومن الجنوب العراق العجمي وخراسان البُرز. ومن الشرق خراسان أيضًا، ومن نواحيها أستراباذ، وهي إلىٰ الشرق، وقاعدتها دُنباوند أو ديماقند.

وجاء في كتب العرب أن معنىٰ طبرستان موضع الأطبار فهي مؤلفة من

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٣/ ص٥).

لفظتين «طبر»، وهي تعريب تبر الفارسية اسم لنوع من الفؤوس، وإستان معناها الموضع، أو الناحية. سميت بذلك لكثرة ما فيها من الأطبار[١].

قال القزويني في استعمارها وتسميتها: إن بعض الأكاسرة اجتمع في جيشه جناة كثيرون، فقال وزيره: نأمر بهم إلىٰ بعض البلاد ليعمروها، فإن عمروها كان العمران لك، وإن تلفوا برئت من دمهم، واختار أرض طبرستان، وهي يومئذٍ جبال وأشجار، فأرادوا قطع الأشجار، وطلبوا فؤوسًا، والفأس بالعجمية «تبر» فكثرت بها الفؤوس، فقالوا: «طبرستان».

ويؤيد ذلك ياقوت في كلامه عن أهلها - إن أهل تلك الجبال كثيرو الحروب، وأكثر أسلحتهم بل كلها الأطبار، حتىٰ إنك قلَّ أن ترىٰ صعلوكًا، أو غنيًا، إلا وبيده الطبر، صغيرهم وكبيرهم[٢].

- غزوها:

وللعرب في طبرستان وقائع مشهورة، فاستولوا عليها، وكانت جزءًا من مملكتهم. وأول من قصدها سويد بن مقرن، أرسله أخوه نعيم بأمر عمر، فسار سويد نحو قومس فأخذها سلمًا، ثم دخل جرجان، وقيل: صالحه الأصبهند - صاحب طبرستان.

ثم غزاها سعيد بن العاص. خرج عبد الله بن عامر من البصرة يريد خراسان فسبق سعيدًا، ونزل أبرشهر، وبلغ نزول أبرشهر سعيدًا، فنزل سعيد قومس[٣] وهي صلح، صالحهم حذيفة بعد نهاوند فأتىٰ جرجان، فصالحوه علىٰ ٢٠٠٠٠٠٠٠ ثم أتىٰ طَمِية وهي كلها من طبرستان متاخمة جرجان. وهي مدينة علىٰ ساحل البحر، وهي في تخوم جرجان، فقاتله أهلها حتىٰ صلىٰ صلاة الخوف. فقال لحذيفة: كيف صلىٰ رسول الله ﷺ ؟ فأخبره. فصلىٰ بها سعيد

---

(١) الأطبار: الفؤوس.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٣/ ص٦)، ابن كثير، البداية والنهاية (جـ٧/ ص١٥٤).

(٣) كورة كبيرة واسعة بها مدن وقرىٰ ومزارع في ذيل جبل طبرستان.

صلاة الخوف وهم يقتتلون. وضرب يومئذٍ سعيد رجلًا من المشركين علىٰ حبل عاتقه فخرج السيف من تحت مرفقه، وحاصرهم فسألوا الأمان فأعطاهم، علىٰ أن لا يقتل منهم رجلًا واحدًا. ففتحوا الحصن فقتلهم جميعًا إلا رجلًا واحدًا وحوىٰ ما كان في الحصن.

وفتح سعيد بن العاص نامية، وهي ليست بمدينة بل صحارىٰ، ثم قفل إلىٰ الكوفة فمدحه كعب بن جعيْل فقال:

فنعم الفتى إذ جال جيلانُ دونه وإذ هبطوا من دَستبى ثم أبهرا

تعلم سعيد الخير أن مطيتي إذا هبطت أشفقتُ من أن تعَقَّرا

كأنك يوم الشعب ليثُ خفية تحرَّد من ليث العرين وأصحرا

تسوس الذي ما ساس قبلك واحد ثمانين ألفًا دارعين وحسَّرا

ولما صالح سعيد أهل جرجان كانوا يجبون أحيانًا مائة ألف، وأحيانًا مائتي ألف، وأحيانًا ثلاثمائة ألف، وكانوا ربما أعطوا ذلك وربما منعوه، ثم امتنعوا وكفروا[(١)].

- سقوط خاتم رسول اللهَ من إصبع عثمان (سنة ٣٠ هـ/ ٦٥١ م):

لما أراد رسول الله ﷺ أن يكتب إلىٰ الأعاجم كتبًا يدعوهم إلىٰ الله ﷻ وقال له رجل: يا رسول الله إنهم لا يقبلون كتابًا إلا مختومًا. فأمر رسول الله ﷺ أن يعمل له خاتم من فضة، فجعله في إصبعه، وكان نقشه ثلاثة أسطر «محمد» سطر، و«رسول» سطر، و«الله» سطر. والأسطر الثلاثة تقرأ من أسفل إلىٰ فوق، محمد آخر الأسطر، ورسول في الوسط، والله فوق، وكانت الكتابة مقلوبة لتكون علىٰ الاستواء إذا ختم به، فكان ذلك الخاتم في يده ﷺ ، ولما استخلف أبو بكر ختم به. ثم ولي عمر بن الخطاب فجعل يتختم به، ثم ولي من بعده

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٣/ ص٧).

عثمان فتختم به ست سنين فحفر بئرًا بالمدينة شربًا للمسلمين، وهي علىٰ ميلين من المدينة، وكانت قليلة الماء، فجاء عثمان ذات يوم فقعد علىٰ رأس البئر فجعل يعبث بالخاتم، فسقط من يده في البئر فطلبوه فيها، ونزحوا ما فيها من الماء، فلم يعثروا عليه، فجعل فيه مالًا عظيمًا لمن جاء به، واغتم لذلك غمًا شديدًا، فلما بئس منه صنع خاتمًا آخر علىٰ مثاله ونقشه، فبقي في إصبعه حتىٰ قتل، ثم ضاع هذا الخاتم ولم يُعلم من أخذه. وقد تشاءم المسلمون لضياع خاتم رسول الله ﷺ، وقالوا: إن عثمان لما مال عن سيرة مَن كان قبله كان أول ما عوقب به ذهاب خاتم رسول الله ﷺ من يده[(١)].

■ **تسيير أبي ذر الغفاري إلى الربذة (سنة ٣٠ هـ/ ٦٥١ م):**

لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله ﷺ قال لأخيه: اركب إلىٰ هذا الوادي، فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله، ثم ائتني، فانطلق الأخ حتىٰ قدم وسمع من قوله، ثم رجع إلىٰ أبي ذر، فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وسمعت منه كلامًا ما هو بالشعر. فقال: ما شفيتني مما أردت، فتزود وحمل قربة فيها ماء حتىٰ قدم مكة فأتىٰ المسجد، فالتمس النبي ﷺ وهو لا يعرفه، وكره أن يسأل عنه، فانتظر ودخل علىٰ رسول الله ﷺ فسمع من قوله وأسلم. فقال له النبي ﷺ: «**ارجع إلىٰ قومك فأخبرهم حتىٰ يأتيك أمري**»[(٢)]. قال: والذي نفسي بيده لأصرخنَّ بها بين ظهرانيهم، فخرج حتىٰ أتىٰ المسجد، فنادىٰ بأعلىٰ صوته: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله»، فقاموا إليه، فضربوه حتىٰ أضجعوه، وأتىٰ العباس فأكب عليه، وقال: ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار، وأنه طريق تجاركم إلىٰ الشام، فأنقذه منهم، ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه وثاروا عليه، فأكب العباس إليه.

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص٦١٤)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٣/ ص٩)، ابن كثير، البداية والنهاية (جـ٧/ ص١٥٥).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢: ٢٢٧).

قال النبي ﷺ : «**أبو ذر في أمتي علىٰ زهد عيسىٰ بن مريم**». كان أبو ذر بالشام في خلافة عثمان، وكان معاوية عاملًا عليها، فلما ورد ابن السوداء[(١)] الشام لقي أبا ذر فقال: يا أبا ذر ألا تعجب إلىٰ معاوية يقول: «المال مال الله ألا إن كل شيء لله»، كأنه يريد يحتجنه[(٢)] دون الناس ويمحو اسم المسلمين[(٣)] فأتاه أبو ذر. فقال: ما يدعوك إلىٰ أن تسمي مال المسلمين مال الله؟ قال: يرحمك الله يا أبا ذر ألسنا عباد الله، والمال ماله، والخلق خلقه، والأمر أمره؟ قال: فلا تقله. قال: فإني لا أقول إنه ليس لله، ولكن سأقول مال المسلمين. وأتىٰ ابن السوداء أبا الدرداء، فقال له: من أنت، أظنك والله يهوديًا. فأتىٰ عبادة بن الصامت فتعلق به معاوية. فقال: هذا والله الذي بعث عليك أبا ذر. وقام أبو ذر بالشام وجعل يقول:

«يا معشر الأغنياء وأسواء الفقراء. بُشِّر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا يُنفقونها في سبيل الله بمكاوٍ من نار تُكوىٰ بها جباهم وجنوبهم وظهورهم».

فما زال حتىٰ ولع الفقراء بمثل ذلك، وأوجبوه علىٰ الأغنياء، وحتىٰ شكا الأغنياء ما يلقون من الناس.

حرض أبو ذر بذلك الفقراء وفهمهم أن لهم حقوقًا لدىٰ الأغنياء، وأن الذين يكنزون المال لهم في الآخرة عذاب أليم فهو بذلك يدعو إلىٰ نوع من التكافل. وقد تخوَّف الأغنياء من ثورة الفقراء، ومطالبتهم بالمال، لذلك شكوا إلىٰ معاوية. فكتب معاوية إلىٰ عثمان أن أبا ذر قد أعضل بي[(٤)]، وقد كان من أمره كيت وكيت.

---

(١) ابن السوداء، هو عبد الله بن سبأ، كان يهوديًا وأسلم.

(٢) أي يجمعه.

(٣) كان معاوية يكثر ادخار المال في ولايته بالشام لصرفه وقت الحاجة.

(٤) أعضل بي: أعياني أمره.

فكتب إليه عثمان: «إن الفتنة قد أخرجت خطمها[١] وعينيها، فلم يبق إلا أن تثب فلا تنكأ القرح، وجهِّز أبا ذر إليَّ، وابعث معه دليلًا وزوِّده، وارفق به، وكفكف الناس ونفسك ما استطعت، فإنما تمسك ما استمسكت»[٢].

وجاء في ابن الأثير[٣]: إن الأغنياء لما شكوا إلىٰ معاوية ما يلقون من الفقراء، أرسل إلىٰ أبي ذر بألف دينار في جنح الليل، فأنفقها -علىٰ الفقراء-، فلما صلىٰ معاوية الصبح، دعا رسوله الذي أرسله إليه، فقال: اذهب إلىٰ أبي ذر فقل له أنقذ جسدي من عذاب معاوية، فإنه أرسلني إلىٰ غيرك، وإني أخطأت بك، ففعل ذلك. فقال له أبو ذر: يا بني قل له والله ما أصبح عندنا من دنانيرك دينارًا، ولكن أخرنا ثلاثة أيام حتىٰ نجمعها. فلما رأىٰ معاوية أن فعله يصدق قوله كتب إلىٰ عثمان الخ.

فلما قدم أبو ذر المدينة، ورأىٰ المجالس في أصل سلع[٤]، قال: بشِّر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكار. ودخل علىٰ عثمان فقال: يا أبا ذر ما لأهل الشام يشكون ذَرَبك[٥]؟ فأخبره أنه لا ينبغي أن يقال مال الله، ولا ينبغي للأغنياء أن يقتنوا مالًا. فقال: يا أبا ذر عليَّ أن أفضي ما عليَّ، وآخذ ما علىٰ الرعية، ولا أجبرهم علىٰ الزهد، وأن أدعوهم إلىٰ الاجتهاد والاقتصاد. قال: فتأذن لي في الخروج، فإن المدينة ليست لي بدار. فقال: أو تستبدل بها إلاَّ شرًّا منها. قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أخرج منها إذا بلغ البناء سَلْعًا. قال: فانفذ لما أمرك به، فخرج حتىٰ نزل الربذة[٦]، فحط بها منزلًا، وأقطعه عثمان صرمة من

---

(١) خطمها: أنفها.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص ٦١٥).

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٣/ ص ١١).

(٤) سَلْع: جبل قرب المدينة.

(٥) ذَرَبك: حدة لسانك.

(٦) الربذة: من قرىٰ المدينة علىٰ ثلاثة أميال، وبها قبر أبي ذر، أقام بها إلىٰ أن مات سنة ٣٢ هـ،

الإبل[١]، وأعطاه مملوكين، وكان أبو ذر يتعاهد المدينة حتىٰ لا يعود أعرابيًا، وكان يحب الوحدة والخلوة، فدخل علىٰ عثمان وعنده كعب الأحبار فقال لعثمان: لا ترضوا من الناس بكف الأذىٰ حتىٰ يبذلوا المعروف، وقد ينبغي للمؤدي الزكاة أن لا يقتصر عليها حتىٰ يحسن إلىٰ الجيران والإخوان ويصل القرابات. فقال كعب: مَن أدَّىٰ الفريضة فقد قضىٰ. فرفع أبو ذر محجنه[٢]، فضربه، فشجَّه، فاستوهبه عثمان، فوهبه له وقال: يا أبا ذر اتق الله واكفف يدك ولسانك[٣].

ولما نزل أبو ذر الربذة أقيمت الصرة وعليها رجل يلي الصدقة فقال: تقدم يا أبا ذر. فقال: لا، تقدَّم أنت فإن رسول الله ﷺ قال لي: «**اسمع وأطع وإن كان من رقيق الصدقة**»، وكان أسود يقال له: مجاشع.

وذكر الطبري رواية عن محمد بن سيرين قال: خرج أبو ذر إلىٰ الربذة من قبل نفسه لما رأىٰ عثمان لا ينزع له[٤] الخ.

ثم قال الطبري[٥] بعد أن أورد قصة أبي ذر وإقامته بالربذة: وأما الآخرون فإنهم رووا في سبب ذلك أشياء كثيرة وأمورًا شنيعة كرهت ذكرها.

وقال اليعقوبي في تاريخه:

«وبلغ عثمان أن أبا ذر يقعد في مسجد رسول الله، ويجتمع إليه ناس،

وقد تطاول عثمان في البنيان حتىٰ عدوا سبع دور بناها بالمدينة: دارًا لنائلة ودارًا لعائشة وغيرهما من أهله وبناته، وبنىٰ مروان القصور بذي خشب، فلما شاهد أبو ذر كثرة البنيان لم يطق الإقامة بالمدينة لحديث رسول الله ﷺ .

(١) صرمة من الإبل: قطيع من الإبل نحو الثلاثين.

(٢) محجنه: عضاه.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص٦١٦).

(٤) لا ينزع إليه: أي لا يميل إليه.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص٦١٦).

فيحدث بما فيه الطعن عليه، وأنه وقف بباب المسجد فقال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري، أنا جندب بن جنادة الربذيّ ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آل عمران:٣٣- ٣٤]. محمد الصفوة من نوح. فالأول من إبراهيم، والسلالة من إسماعيل، والعترة الهادية من محمد. إنه شرف شريفهم، واستحقوا الفضل في قوم هم فينا كالسماء المرفوعة، وكالكعبة المستورة، أو كالقبة المنصوبة، أو كالشمس الضاحية، أو كالقمر الساري، أو كالنجوم الهادية، أو كالشجرة الزيتونية، أضاء زيتها، وبورك زبدها. ومحمد وارث علم آدم، وما فضلت به النبيون، وعليٌّ بن أبي طالب وصيُّ محمد ووارث علمه. أيتها الأمة المتحيَّرة بعد نبيها، أما لو قدمتم من قدم الله، وأخرتم من أخر الله، وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيكم لأكلتم من فوق رؤوسكم، ومن تحت أقدامكم، ولما عال ولىٰ الله، ولا طاش سهم من فرائض الله، ولا اختلف اثنان في حكم الله، إلا وجدتم علم ذلك عندهم من كتاب الله وسنة نبيه. فأما إذا فعلتم فذوقوا وبال أمركم ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء:٢٢٧]. وبلغ عثمان أيضًا أن أبا ذر يقع فيه ويذكر ما غيَّر وبدَّل من سنن رسول الله وسنن أبي بكر وعمر فسيَّره إلىٰ الشام إلىٰ معاوية. وكان يجلس في المسجد فيقول كما كان يقول، ويجتمع إليه الناس حتىٰ كثر من يجتمع إليه ويسمع منه. وكان يقف علىٰ باب دمشق إذا صلىٰ صلاة الصبح فيقول: جاءت القطار تحمل النار. لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له، ولعن الله الناهين عن المنكر الآتين له. وكتب معاوية إلىٰ عثمان: إنك قد أفسدت الشام علىٰ نفسك بأبي ذر، فكتب إليه أن احمله علىٰ قتب بعير بغير وطاء. أنك تقول سمعت رسول الله يقول: إذا كملت بنو أمية ثلاثين رجلًا اتخذوا بلاد الله دولًا

وعباد الله خولًا ودين الله دغلًا[١]. فقال: نعم، سمعت رسول الله يقول ذلك. فقال لهم: أسمعتم رسول الله يقول ذلك؟ فبعث إلي عليٍّ بن أبي طالب فأتاه فقال: يا أبا الحسن أسمعت رسول الله يقول ما حكاه أبو ذر؟ وقصَّ عليه الخبر. فقال: نعم. قال: وكيف تشهد؟ قال: يقول رسول الله: «**ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء ذا لهجة أصدق من أبي ذر**»[٢]. فلم يقم بالمدينة حتىٰ أرسل إليه عثمان والله لتخرجن عنها. قال: أتخرجني من حرم رسول الله؟ قال: نعم، أنفك راغم. قال: فإلىٰ مكة؟ قال: لا. قال: فإلىٰ البصرة؟ قال: لا. قال: فإلىٰ الكوفة؟ قال: لا. ولكن إلىٰ الربذة التي خرجت منها حتىٰ تموت بها. يا مروان أخرجه ولا تدع أحدًا يكلمه حتىٰ يخرج. فأخرجه علىٰ جمل ومعه امرأته وابنته، فخرج وعليٌّ والحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وعمار بن ياسر ينظرون. فلما رأىٰ أبو ذر عليًا، قام إليه فقبَّل يده ثم بكىٰ وقال: إني إذا رأيتك ورأيت ولدك ذكرت قول رسول الله فلم أصبر حتىٰ أبكي فذهب عليّ يكلمه. فقال له مروان: إن أمير المؤمنين قد نهىٰ أن يكلمه أحد. فرفع عليّ السوط فضرب وجه ناقة مروان وقال: تنحَّ نحاك الله إلىٰ النار. ثم شيَّعه، فكلمه بكلام يطول شرحه، وتكلم كل رجل من القوم، وانصرفوا، وانصرف مروان إلىٰ عثمان فجرىٰ بينه وبين عليٍّ في هذا بعض الوحشة وتلاحيا كلامًا. فلم يزل أبو ذر بالربذة حتىٰ توفي».

هذا ما ذكره اليعقوبي في تاريخه خاصًّا بأبي ذر وتسييره إلىٰ الربذة من غير أن يسنده إلىٰ أحد من الرواة كدأب الطبري في رواياته، وقد اتفق الطبري وابن الأثير وابن خلدون علىٰ أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أذن لأبي ذر بالخروج إلىٰ الربذة، بناءً علىٰ طلبه، لأنه لم يطق الإقامة بالمدينة، لكن عبارة اليعقوبي صريحة في أنه

---

(١) رواه أحمد في (م ٣/ ص٨٠).

(٢) رواه أحمد في (م ٢/ ص١٧٥).

نفاه. وإنا نستبعد أن ينفي عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبا ذر، لأن أبا ذر صحابي محترم مشهور بالزهد والصلاح والتشدد في الدين، وله مكانة عالية في نفوس المسلمين، ومما يدل علىٰ أن حكاية اليعقوبي مكذوبة ما ذكره من أن عثمان قال لمعاوية: «احمله علىٰ قتب بعير بغير وطاء» فقدم إلىٰ المدينة وقد ذهب لحم فخذيه.

فعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يأمر بإرهاق صحابي كبير كأبي ذر كما هو معروف عنه من الحلم والرأفة. فيكون ما ذكره الطبري من أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتب إلىٰ معاوية -وجهَّز أبا ذر وزوده وأرفق به- هو الصواب، لأنه يطابق ما جبل عليه عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الرفق واحترام كبار الصحابة.

وفي طبقات ابن سعد رواية عن عبد الله بن الصامت قال: دخلت مع أبي ذر في رهط من غفار علىٰ عثمان بن عفان من الباب الذي لا يُدخل عليه منه وتخوفنا عثمان عليه، فانتهىٰ إليه فسلم عليه، ثم ما بدأه بشيء إلا قال: أحسبتني منهم يا أمير المؤمنين والله ما أنا منهم ولا أدركهم. لو أمرتني أن آخذ بعرقُوَتيْ قَتب لأخذت بهما متىٰ أمرت، ثم استأذنه إلىٰ الربذة فقال: نعم نأذن لك، ونأمر لك بنعم من نعم الصدقة، فتصيب من رسْلها. فنادىٰ أبو ذر: دونكم معاشر قريش دنياكم فاعذَموها لا حاجة لنا فيها.

ومما يدل علىٰ مكانة أبي ذر ما رواه عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق من أبي ذر**»(١).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء علىٰ ذي لهجة أصدق من أبي ذر. من سره أن ينظر إلىٰ تواضع عيسىٰ ابن مريم فلينظر إلىٰ أبي ذر**»(٢).

---

(١) رواه أحمد في (م ٢/ ص١٧٥).

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ (٤: ١٦٨).

■ **أمر المصاحف (سنة ٣٠ هـ/ ٦٥١ م):**

لما عاد حذيفة بن اليمان من غزو الباب قال لسعيد بن العاص: لقد رأيت في سفرتي هذه أمرًا لئن ترك الناس ليختلفن في القرآن، ثم لا يقومون عليه أبدًا، قال: وما ذاك؟ قال: رأيت أناسًا من أهل حمص يزعمون أن قراءتهم خيرٌ من قراءة غيرهم، وأنهم أخذوا القرآن عن المقداد. ورأيت أهل دمشق يقولون: إن قراءتهم خيرٌ من قراءة غيرهم، ورأيت أهل الكوفة يقولون مثل ذلك، وأنهم قرؤوا علىٰ ابن مسعود. وأهل البصرة يقولون مثل ذلك، وأنهم قرؤوا علىٰ أبي موسىٰ، ويسمُّون مصحفه «لباب القلوب».

فلما وصلوا إلىٰ الكوفة أخبر حذيفة بن اليمان بذلك، وحذرهم ما يخاف، فوافقه أصحاب رسول الله ﷺ وكثير من التابعين، وقال له أصحاب ابن مسعود: ما تنكر؟ ألسنا نقرؤه علىٰ قراءة ابن مسعود؟ فغضب حذيفة ومن وافقه وقالوا: إنما أنتم أعراب فاسكتوا فإنكم علىٰ خطأ. وقال حذيفة: والله لئن عشت لآتين أمير المؤمنين، ولأشيرن عليه أن يحول بين الناس وبين ذلك، فأغلظ له ابن مسعود، فغضب سعيد وقام، وتفرَّق الناس، وغضب حذيفة، وسار إلىٰ عثمان، فأخبره بالذي رأىٰ وقال: أنا النذير العريان فأدركوا الأمة.

وفي البخاري رواية عن حذيفة أنه قال لعثمان: «أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارىٰ». وكان حذيفة يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وآذربيجان مع أهل العراق.

جمع عثمان رضي الله عنه الصحابة وأخبرهم الخبر، فأعظموه ورأوا جميعًا ما رأىٰ حذيفة. فأرسل إلىٰ حفصة بنت عمر زوجة رسول الله ﷺ أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك. وكانت هذه الصحف هي التي كتبت في أيام أبي بكر، فإن القتل لما كثر في الصحابة يوم اليمامة قال عمر لأبي بكر: إن القتل قد كثر واستحرَّ بقرَّاء القرآن يوم اليمامة، وإني أخشىٰ أن

يستحرَّ القتل بالقرَّاء، فيذهب من القرآن كثير. وإني أرىٰ أن تأمر بجمعه، فأمر أبو بكر زيد بن ثابت، فجمعه من الرقاع والعُسُب[(١)]، وصدور الرجال. فكانت الصحف عند أبي بكر، ثم عند عمر، فلما توفي عمر أخذتها حفصة فكانت عندها، فأرسل عثمان إليها وأخذها منها، وأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف. وقال عثمان: إذا اختلفتم فاكتبوها بلسان قريش، فإنه إنما نزل بلسانهم، ففعلوا. فلما نسخوا الصحف ردَّها عثمان إلىٰ حفصة، وأرسل إلىٰ كل أفق بمصحف مما نسخوا، وحرق ما سوىٰ ذلك، وأمر أن يعتمدوا عليها ويدعوا ما سواها، فكل الناس عرف فضل هذا العمل إلا ما كان من أهل الكوفة، فإن المصحف لما قدم عليهم فرح به أصحاب النبي ﷺ، وأصحاب عبد الله ومن وافقهم امتنعوا عن ذلك وعابوا الناس، فقام فيهم ابن مسعود وقال: ولا كل ذلك فإنكم والله سبقتم سابقينا فأربعوا علىٰ ظلعكم[(٢)]. ولما قدم علىٰ الكوفة قام إليه رجل فعاب عثمان بجمع الناس علىٰ المصحف، فصاح وقال: اسكت فعن ملأ منا فعل ذلك فلو وليت منه ما ولي عثمان لسلكت سبيله[(٣)].

قال زيد: فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع

---

(١) العُسُب: عُسُب النخل، وهي الجريد الذي لا خوص له، واحدها عسيب.

(٢) أربع علىٰ ظلعك: أي أنك ضعيف فتنكب عما لا تطيقه.

(٣) قال ابن قيم الجوزية، في كتاب الطرق الحكمية في السياسة الشرعية (ص١٨- ١٩): «ومن ذلك جمع عثمان رضي الله عنه الناس علىٰ حرف واحد من الأحرف السبعة التي يطلق لهم رسول الله ﷺ القراءة بها لما كان ذلك مصلحة، فلما خاف الصحابة رضي الله عنهم علىٰ الأمة أن يختلفوا في القرآن ورأوا أن جمعهم علىٰ حرف واحد أسلم وأبعد من وقوع الاختلاف فعلوا ذلك ومنعوا الناس من القراءة بغيره. وهذا كما لو كان للناس عدة طرق إلىٰ البيت وكان سلوكهم من تلك الطرق يوقعهم في التفرق والتشتت ويطمع فيهم العدو، فرأىٰ الإمام جمعهم علىٰ طريق واحد، وترك بقية الطرق جاز ذلك ولم يكن فيه إبطال لكون تلك الطرق موصلة إلىٰ المقصود وإن كان فيه نهي من سلوكها لمصلحة الأمة».

رسول الله ﷺ يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري -﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[الأحزاب:٢٣]- فألحقناها في سورتها في المصحف.

واختلف في عدد المصاحف التي أرسل بها عثمان إلىٰ الآفاق. قال السيوطي في الإتقان: والمشهور أنها خمسة. وقال ابن أبي داود من طريق سمعت أبي حاتم السجستاني يقول: كتب سبعة مصاحف فأرسل إلىٰ مكة وإلىٰ الشام، وإلىٰ اليمن، وإلىٰ البحرين، وإلىٰ البصرة، وإلىٰ الكوفة، وحبس بالمدينة واحدًا[(١)].

■ **مقتل يزدجرد بن شهريار (سنة ٣١ هـ/ ٦٥١ م):**

كان يزدجرد بن شهريار بن كسرىٰ ملك فارس قد تولىٰ في خلافة عمر ابن الخطاب سنة ١٤ هـ، وهو الذي جمع جيشًا تحت قيادة رستم لمحاربة المسلمين، فانهزم جيشه ففر إلىٰ خراسان. ولم يزل المسلمون يتبعونه ويقفون أثره من مدينة إلىٰ مدينة، وهو يهرب حتىٰ بيته جماعة من الترك فقتلوه سنة ٣١ هـ. وقد اختلف في سبب قتله: قال ابن إسحاق: هرب يزدجرد من كرمان في جماعة يسيرة إلىٰ مرو فسأل مرزبانها مالًا، فمنعه، فخافوا علىٰ أنفسهم، فأرسلوا إلىٰ الترك يستنصرونهم عليه، فأتوه، فبيتوه، فقتلوا أصحابه، وهرب يزدجرد حتىٰ أتىٰ منزل رجل ينقر الأرحاء علىٰ شط المرغاب[(٢)] فأوىٰ إليه ليلًا فلما نام قتله. وزاد بعضهم أن النقار أخذ متاعه وجواهره وألقىٰ جسده في المرغاب، وأصبح أهل مرو فاتبعوا أثره حتىٰ خفي عليهم عند منزل النقار، فأخذوه، فأقر لهم بقتله، وأخرج متاعه، فقتلوا النقار وأهل بيته، وأخذوا متاعه ومتاع يزدجرد وأخرجوه من المرغاب، فجعلوه في تابوت من خشب. وقال بعضهم: إنهم

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٣/ ص٨).
(٢) شط المرغاب: نهر بمرو.

حملوه إلىٰ إصطخر فدفن بها في أول سنة ٣١هـ. وهو آخر ملوك الفرس، وصفا الملك بعده للعرب. وكان عمره عندما قُتل ٣٤ سنة[١].

■ **فتح خراسان (سنة ٣٤ هـ/ ٦٥٢ م):**

لما قتل عمر بن الخطاب نقض أهل خراسان وغدروا، فلما استخلف عثمان بن عفان ولَّىٰ عبد الله بن عامر بن كريز البصرة في سنة ٢٨. ويقال ٢٩، وهو ابن ٢٥ سنة، وهو ابن خال عثمان بن عفان، ولد علىٰ عهد رسول الله ﷺ، وكان كريمًا، ميمون النقيبة[٢]، فافتتح من أهل فارس ما افتتح، ثم غزا خراسان، واستخلف علىٰ البصرة زياد بن أبي سفيان، وسار إلىٰ كرمان[٣] فاستعمل عليها مجاشع بن مسعود السلمي، وأمره بمحاربة أهلها، وكانوا قد نكثوا، واستعمل علىٰ سجستان الربيع بن زياد الحارثي، وكانوا أيضًا قد نقضوا الصلح، وسار ابن عامر إلىٰ نيسابور، وجعل علىٰ مقدمته الأحنف بن قيس، فأتىٰ الطبَسين، وهما حصنان، وهما بابا خراسان، فصالحه أهلها علىٰ ٦٠٠.٠٠٠ درهم، وسار إلىٰ قهستان، فلقيه أهلها، وقاتلهم حتىٰ ألجأهم إلىٰ حصنهم. وبعث ابن عامر سرية إلىٰ رستاق زام من أعمال نيسابور، ففتحه عنوة، وفتح باخرْز، من أعمال نيسابور أيضًا، وفتح جُوَين، وسبىٰ سبيًا، ووجَّه ابن عامر الأسود بن كلثوم العدوي من عديِّ الرباب، وكان ناسكًا، إلىٰ بيهق من أعمال نيسابور، فدخل حيطان البلد من ثلمة كانت فيها، ودخلت معه طائفة من المسلمين، فأخذ العدو عليهم تلك الثلمة، فقاتل الأسود حتىٰ قتل هو، وطائفة ممن معه. وقام بأمر المسلمين بعده أخوه أدهم بن كلثوم فظفر، وفتح بيهق، وكان الأسود يدعو إلىٰ الله أن يحشره من بطون السباع والطير، فلم يواره أخوه، ودفن من استشهد من

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص٦٢٠)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٣/ ص١٤)، ابن كثير، البداية والنهاية (جـ٧/ ص١٥٨).

(٢) ميمون النقيبة: أي مبارك النفس مظفَّرًا بما يحاول.

(٣) كرمان ولاية بين فارس، ومكران، وسجستان، وخراسان.

أصحابه. وفتح ابن عامر بُشت من نيسابور وأشبَذ ورُخَّ وزاره وخوَاف وأسفرائن وأرغيان من نيسابور، ثم أتىٰ أبرشهر وهي مدينة نيسابور، فحصر أهلها أشهرًا، وكان علىٰ كل ربع منها رجل موكل به، وطلب صاحب ربع من تلك الأرباع الأمان علىٰ أن يدخل المسلمين المدينة، فأعطاه وأدخلهم إياها ليلًا، ففتحوا الباب، وتحصَّن مرزبانها في القهندز[(١)]، ومعه جماعة. وطلب الأمان علىٰ أن يصالحه عن جميع نيسابور علىٰ وظيفة يؤديها، فصالحه علىٰ ألف ألف درهم، وولي نيسابور حين فتحها قيس بن الهيثم السلمي، ووجَّه ابن عامر عبد الله بن خازم السلمي إلىٰ حُمراندر من نسا، وهو رستاق قرية ففتحه، وأتاه صاحب نسا فصالحه علىٰ ٣٠٠ ٠٠٠ درهم. ويقال: علىٰ احتمال الأرض من الخراج علىٰ أن لا يقتل أحدًا ولا يسبيه. وقدم بهمنة عظيم أبيورد علىٰ ابن عامر فصالحه علىٰ ٤٠٠ ٠٠٠ درهم، ويقال وجه إليها ابن عامر عبد الله بن خازم فصالح أهلها علىٰ ٤٠٠ ٠٠٠ درهم، ووجَّه عبد الله بن عامر عبد الله بن خازم إلىٰ سَرَخْس فقاتلهم، ثم طلب زاذويه مرزبانها الصلح علىٰ تأمين مائة رجل، وأن يدفع إليه النساء، فصارت ابنته في سهم خازم، واتخذها وسماها مَيساء، وغلب ابن خازم علىٰ أرض سرخس، ويقال: إنه صالحه علىٰ أن يؤمن مائة نفس فسمَّىٰ له المائة، ولم يسم نفسه فقتله ودخل سَرخس عنوة، ووجه ابن خازم من سرخس يزيد بن سالم مولىٰ شريك بن الأعور إلىٰ كيف وبينة ففتحهما. وأتىٰ كنازتك مرزبان طوس ابن عامر فصالحه علىٰ طوس علىٰ ٦٠٠ ٠٠٠، ووجَّه ابن عامر جيشًا إلىٰ هراة عليه أوس ابن ثعلبة ويقال: خُليد بن عبد الله الحنفي، فبلغ عظيم هراة ذلك فشخص إلىٰ ابن عامر، وصالحه علىٰ هراة وبادغيس وبوشنج غير طاغون وباغون فإنه فتحهما عنوة، وكتب له ابن عامر: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أمر به عبد الله بن عامر عظيم بوشنج

(١) القهندز: كالحصن، تعريبها معناه: القلعة العتيقة.

وبادغيس. أمره بتقوىٰ الله ومناصحة المسلمين وإصلاح ما تحت يديه من الأرضين، وصالحه علىٰ هَراة. سهلها وجبلها علىٰ أن يؤدي من الجزية ما صالحه عليه، وأن يقسم ذلك علىٰ الأرضين عدلًا بينهم، فمن منع ما عليه فلا عهد له ولا ذمة. وكتب ربيع بن نهشل وجثم بن عامر».

وأرسل مرزبان مرو الشاهجان يسأل الصلح، فوجَّه ابن عامر إلىٰ مرو حاتم بن النعمان الباهلي، فصالحه علىٰ ألف ألف ومائتي ألف درهم. وكان في صلحهم أن يوسعوا للمسلمين في منازلهم وأن عليهم قسمة المال، وليس علىٰ المسلمين إلا قبض ذلك. وكانت مرو صلحًا كلها إلا قرية منها يقال لها: السنج، فإنها أخذت عنوة. ووجَّه عبد الله ابن عامر الأحنف، وهو حصن من مرو الروذ وله رستاق عظيم يعرف برستاق الأحنف، ويدعىٰ بشق الجرد. فحصر أهله، فصالحوه علىٰ ٣٠٠.٠٠٠ فقال الأحنف: أصالحكم علىٰ أن يدخل رجل منا القصر فيؤذن فيه ويقيم فيكم حتىٰ أنصرف، فرضوا، وكان الصلح عن جميع الرستاق، ومضىٰ الأحنف إلىٰ مرو الروذ، فحصر أهلها، وقاتلوه قتالًا شديدًا، فهزمهم المسلمون، فاضطروهم إلىٰ حصنهم، وكان المرزبان من ولد باذام صاحب اليمن أو ذا قرابة له، فكتب إلىٰ الأحنف أنه دعاني إلىٰ الصلح إسلام باذام، فصالحه علىٰ ٦٠٠.٠٠٠ ووجَّه الأحنف الأقرع بن حابس التميمي في خيل، وقال: «يا بني تميم تحابوا وتباذلوا تعتدل أموركم، وابدأوا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم، ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم». فسار الأقرع، فلقي العدو بالجوزجان فكانت في المسلمين جولة ثم كرّوا فهزموهم، وفتحوا الجوزجان عنوة.

وفتح الأحنف الطالقان صلحًا، وفتح الفارياب، ثم سار الأحنف إلىٰ بلخ، وهي مدينة طخارا فصالحهم أهلها علىٰ ٤٠٠.٠٠٠، فاستعمل علىٰ بلخ أرسيد بن المتشمس، ثم سار إلىٰ خوارزم، وهي من سقي النهر جميعًا ومدينتها شرقية فلم يقدر عليها فانصرف إلىٰ بلخ وقد جبىٰ أرسيد صلحها.

قال أبو عبيدة: فتح ابن عامر ما دون النهر، فلما بلغ أهل ما وراء النهر أمره طلبوا إليه أن يصالحهم ففعل. فيقال: إنه عبر النهر حتىٰ أتىٰ جميع مواضعه. وقيل بل أتوه وصالحوه، وبعث من قبض ذلك، فأتته الدواب، والوصفاء، والوصائف، والحرير، والثياب. ثم إنه أحرم شكرًا لله.

ولما تم لابن عامر هذا الفتح قال له الناس: ما فتح لأحد ما فتح عليك، فارس وكرمان وسجستان وخراسان. فقال: لا جرم لأجعلن شكري لله علىٰ ذلك أن أخرج محرمًا من موقفي هذا فأحرم بعمرة من نيسابور. وقدم علىٰ عثمان واستخلف علىٰ خراسان قيس بن الهيثم.

جميع هذه المدن والقرىٰ التي مر ذكرها هي بخراسان. ولما كانت فارسية فقد يستغربها القارئ ويصعب عليه النطق بها، وقد اضطررت إلىٰ ذكرها، لأن المسلمين فتحوها تحت قيادة عبد الله بن عامر، وفتح أغلبها صلحًا، لأنهم لم يستطيعوا مقاومة المسلمين، وقد قتل يزدجرد آخر ملوك الفرس[(١)].

■ **فتح إصطخر:**

إصطخر: كورة وبلدة في بلاد فارس، وبها كثير من المدن والقرىٰ، أشهرها البيضاء ومائتين ونيريز وأبرقوه ويزد وغيرها. وبها كانت خزائن الملوك قبل الإسلام. قيل: وفي جبالها معدن الحديد. وفي دارا بجرد إحدىٰ قراها معدن الزئبق. وفي إصطخر وضع هيستاسب كتاب زرادشت نبي المجوس لما كانت في عظمتها.

وعلىٰ ثلاثة أو أربعة فراسخ من ميان تجد آثار مدينة إصطخر الشهيرة في قديم الزمان باسم برسبوليس وهي مدينة قديمة كانت سابقًا دار سلطنة بلاد فارس.

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص٦٢٠)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٣/ ص١٤).

لما جاء الإسلام كان أول من غزا بلاد فارس العلاء بن الحضرمي في خلافة عمر سنة ١٧ هجرية. سار بجيوشه بحرًا وخرجوا بإصطخر فقاتلهم أهلها قتالًا شديدًا فانجلىٰ القتال عن هزيمة أهل إصطخر. ثم دخل أبو موسىٰ الأشعري بلاد فارس في نفس السنة، ودفع لواء إصطخر إلىٰ عثمان بن أبي العاص الثقفي لما فرق الألوية علىٰ رجاله فلم يتيسر الفتح إلا سنة ١٨ هـ، وقيل بعد ذلك. قال ابن الأثير[(١)]: وقصد عثمان بن أبي العاص الثقفي إصطخر فالتقىٰ هو وأهلها بجور فاقتتلوا، وانهزم الفرس وفتح المسلمون جور، ثم إصطخر وقتلوا الكثير، وفر بعضهم فدعا عثمان إلىٰ الذمة والجزية، فأجابه الهربذ إليها فتراجعوا، وكان عثمان قد جمع الغنائم فبعث بخمسها إلىٰ عمر، وقسم الباقي في الناس.

ثم عصت إصطخر فعاد إليها عثمان سنة ٢٧ هـ، وفتحها ثانية. ثم انتفض الفرس فواقعهم عبيد الله بن معمر علىٰ باب إصطخر سنة ٢٩ هـ فقتل وانهزم المسلمون، فبلغ الخبر عبد الله بن عامر فسار إليهم والتقوا بإصطخر، فانهزم الفرس، وقتل منهم كثيرون، وفتحت إصطخر عنوة. وأتىٰ دارا بجرد وقد غدر أهلها ففتحها، وصار إلىٰ جور، فانتفضت إصطخر فلم يرجع إليها إلا بعد أن فتح جور ففتحها أيضًا عنوة بعد أن حاصرها واشتد القتال عليها ورماها بالمناجيق، وقتل من أهلها خلق كثير، وأفنىٰ أكثر أهل البيوتات ووجوه الأساودة كانوا قد لجأوا إليها، والذي استخلفه علىٰ إصطخر شريك بن الأعور الحارثي فبنىٰ مسجدها[(٢)].

- **فتح كِرْمَان:**

لما سار ابن عامر إلىٰ فارس وجَّه مجاشع بن مسعود السلمي إلىٰ كرمان

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٢/ ص٤٣٩).
(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام (جـ٣/ ص٣٧٩).

وكان أهلها قد نكثوا وغدروا، ففتح بيمنت عنوة، واستبقىٰ أهلها وأعطاهم أمانًا، وبنىٰ قصرًا يعرف بقصر مجاشع. وفتح بروخروة، وأتىٰ الشيرجان وهي مدينة كرمان، وأقام عليها أيامًا يسيرة، وأهلها متحصِّنون، وقد خرجت لهم خيل فقاتلهم ففتحها عنوة، ثم إن كثيرًا من أهلها جلوا عنها وفتح جِيْرَفْت عنوة، وسار في كرمان فدوَّخ أهلها وأتىٰ القُفص وتجمع له بهرُمور خلق كثير من الأعاجم فقاتلهم فظفر بهم وظهر عليهم. وهرب كثير من أهل كرمان فركبوا البحر، ولحق بعضهم بمكران، وأتىٰ بعضهم سجستان، فأقطعت العرب منازلهم وأراضيهم فعمروها وأدوا العشر فيها، واحتفروا القنوات في مواضع منها[١].

■ **فتح سجستان وكابل:**

فتحت سجستان في أيام عمر بن الخطاب، ثم إن أهلها نقضوا عهدهم. فلما توجَّه ابن عامر إلىٰ خراسان سير إليها من كرمان الربيع بن زياد الحارثي، فأتىٰ حصن زالق فأغار علىٰ أهله في يوم مهرجان فأخذ دهقانه فافتدىٰ نفسه بأن ركز عنزةً، ثم غمرها ذهبًا وفضة، وصالح الدهقان علىٰ حقن دمه وصالحه علىٰ صلح أهل فارس، ثم أتىٰ قرية يقال لها كَركويه علىٰ خمسة أميال من زالق فصالحوه علىٰ غير قتال، ثم أتىٰ زالق وأخذ الأدلاَّء منها إلىٰ زَرَنج، وسار حتىٰ نزل الهندمند، وأتىٰ زوشت وهي من زرنج علىٰ ثلثي ميل فخرج إليه أهلها فقاتلوه قتالًا شديدًا، وأصيب رجال من المسلمين، ثم كرَّ المسلمون وهزموهم حتىٰ اضطروهم إلىٰ المدينة بعد أن قتلوا منهم مقتلة عظيمة[٢]، ثم أتىٰ الربيع ناشروذ قرية فقاتل أهلها وظفر بهم، ثم مضىٰ إلىٰ شرواذ قرية فغلب عليها، ثم حاصر مدينة زرنج بعد أن قاتل أهلها، فبعث إليه أبرْويز مرزبانها يستأمنه ليصالحه، فأمر بجسد من أجساد القتلىٰ، فوضع له، فجلس عليه واتكأ علىٰ

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٣/ ص٢٢).
(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٣/ ص٢٢).

آخر، وأجلس أصحابه علىٰ أجساد القتلىٰ مثله. وكان الربيع آدم أفوه طويلًا.

فلما رآه المرزبان هاله فصالحه علىٰ ألف وَصِيف مع كل وَصِيف جام من ذهب، ودخل المسلمون المدينة، ثم أتىٰ سناروذ وهو وادٍ فعبره وأتىٰ القريتين، وهناك مربط فرس رُسْتَم فقاتله أهلها فظفر بهم، ثم عاد إلىٰ زرنج وأقام بها سنتين، ثم أتىٰ ابن عامر واستخلف بها رجلًا من بني الحارث بن كعب فأخرجوه وأغلقوها. وكانت ولاية الربيع سنتين ونصفًا، وسبىٰ في ولايته هذه ٤٠٠٠٠ رأس، وكان كاتبه الحسن البصري، ثم ولىٰ ابن عامر عبد الرحمن بن سَمُرَة بن حبيب بن عبد شمس سجستان، فأتىٰ زرنج فحصر مرزبانها في قصره في يوم عيد لهم فصالحه علىٰ ألفي ألف درهم، وألفي وصيف. وغلب ابن سَمُرَة علىٰ ما بين زرنج وكَشّ من ناحية الهند، وغلب من ناحية طريق الرُّخَّج علىٰ ما بينه وبين بلاد الداور، فلما انتهىٰ إلىٰ بلاد الداور حصرهم في جبل الزور، ثم صالحهم، فكانت عدة من معه من المسلمين ٨٠٠٠ فأصاب كل رجل منهم ٤٠٠٠ ودخل علىٰ الزور وهو صنم من ذهب عيناه ياقوتتان فقطع يده وأخذ الياقوتتين، ثم قال للمرزبان: دونك الذهب والجوهر، وإنما أردت أن أعلمك أنه لا يضر ولا ينفع. وفتح كابل وزابلستان. وأتىٰ عبد الرحمن زرنج فأقام بها حتىٰ اضطرب أمر عثمان، فاستخلف عليها أمير بن أحمر اليشكريّ، وانصرف من سجستان، فأخرج أهلها أمير بن أحمر وامتنعوا[1].

■ **غزوة بلنجرد (سنة ٣٢ هـ/ ٦٥٣ م):**

زحف عبد الرحمن بن ربيعة بجيشه (يريد بلنجرد) فخافهم الترك في أول الأمر وقالوا: إن هؤلاء أي العرب ملائكة لا يعمل فيهم السلاح. فاتفق أن تركيًا

(١) أسد الغابة (جـ٢/ ص٢٠٧)، تاريخ الطبري (جـ٤/ ص١٨٣)، الإصابة (جـ١/ ص٨٠)، الكامل في التاريخ/ الفهارس، جمهرة أنساب العرب (ص٣٩١)، تهذيب التهذيب (جـ٣/ ص٢٤٤)، حياة الصحابة (جـ٢/ ص١٦٨).

اختفىٰ في غيضة[١] ورشق مسلمًا بسهم فقتله. فنادىٰ في قومه أن هؤلاء يموتون، كما تموتون، فلا تخافوهم. فاجترأوا عليهم، وأوقعوا بهم حتىٰ استشهد عبد الرحمن بن ربيعة، وأخذ الراية أخوه، ولم يزل يقاتل حتىٰ أمكنه دفن أخيه بنواحي بلنجرد، ورجع بقية المسلمين علىٰ طريق جيلان.

وفي سنة ٣٢ هـ انتصرت الخزر والترك علىٰ المسلمين، وسببه أن الغزوات لما تتابعت عليهم تذامروا[٢] وقالوا: كنا لا يُقرن بنا أحد حتىٰ جاءت هذه الأمة «العربية» فصرنا لا نقوم لها.

لما قتل عبد الرحمن بن ربيعة وانهزم المسلمون افترقوا فرقتين فرقة نحو الباب، فلقوا سلمان بن ربيعة أخا عبد الرحمن، كان قد سيره سعيد بن العاص مددًا للمسلمين بأمر عثمان، فلما لقوه نجوا معه. وفرقة نحو جيلان وجرجان، فيهم سلمان الفارسي وأبو هريرة، وكان في ذلك العسكر يزيد بن معاوية النخعي، وعلقمة بن قيس، ومعضد الشيباني، وأبو مفرز التميمي في خباء واحد، وخالد بن ربيعة، والحلحان ابن دري، والقرثع في خباء، فكانوا متجاورين في ذلك العسكر. وكان القرثع يقول: ما أحسن لمع الدماء علىٰ الثياب. وكان عمرو بن عتبة يقول لقباء عليه أبيض: ما أحسن حمرة الدماء علىٰ بياضك، ورأىٰ يزيد بن معاوية في منامه أن غزالًا جيء به لم ير أحسن منه فلف في ملحفة، ثم دفن في قبر لم ير أحسن منه، عليه أربعة نفر قعودًا، فلما استيقظ واقتتل الناس رمي بحجر فهشم رأسه فمات فكأنما زين ثوبه بالدماء وليس بتلطيخ، فدفن في قبر علىٰ الصورة التي رأىٰ. وقال معضد لعلقمة: أعرني بردك أعصب به رأسي، ففعل، فأتىٰ برج بلنجرد الذي أصيب فيه يزيد فرماهم فقتل منهم. وأتاه حجر عرّادة[٣]

---

(١) غيضة: أجمة.

(٢) تذامروا: تحاضّوا علىٰ القتال وتلاوموا.

(٣) عرّادة: آلة تستخدم في الحرب لدك الحصون، أصغر من المنجنيق، وترمي بالحجارة البعيدة المرمىٰ، جمعها عرّادات.

ففضخ هامته فأخذه أصحابه، فدفنوه إلىٰ جنب يزيد، وأخذ علقمة البرد فكان يغسله، فلا يخرج أثر الدم منه. وكان يشهد فيه الجمعة، ويقول: يحملني علىٰ هذا أن دم معضد فيه. وأصاب عمرو بن عتبة جراحة فرأىٰ قباءه كما اشتهىٰ ثم قتل، وأما القرثع فإنه قاتل حتىٰ خرق بالحراب. فبلغ الخبر بذلك إلىٰ عثمان فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، انتكث أهل الكوفة. اللَّهم تب عليهم وأقبل بهم.

وكان عثمان قد كتب إلىٰ سعيد بن العاص أن ينفذ سلمان إلىٰ الباب للغزو فسيره، فلقي المهزومين علىٰ ما تقدم، فنجاهم الله به. فلما أصيب عبد الرحمن استعمل سلمان بن ربيعة علىٰ الباب واستعمل علىٰ الغزو بأهل الكوفة حذيفة بن اليمان وأمدَّهم عثمان بأهل الشام. عليهم حبيب بن مسلمة فتأمر عليه سلمان وأبىٰ حبيب حتىٰ قال أهل الشام: لقد هممنا بضرب سلمان. فقال الكوفيون: إذن، والله نضرب حبيبًا ونحبسه، وإن أبيتم كثرت القتلىٰ فينا وفيكم، وأراد حبيب أن يتأمر علىٰ صاحب الباب كما يتأمر أمير الجيش إذا جاء من الكوفة، فكان ذلك أول خلاف وقع بين أهل الكوفة، وغزا حذيفة ثلاث غزوات، فقتل عثمان في الثالثة، ولقيهم مقتل عثمان. فقال حذيفة بن اليمان: «اللَّهم العن قتلته وشتَّامه، اللَّهم إنا كنا نعاتبه ويعاتبنا فاتخذوا ذلك سلمًا إلىٰ الفتنة، اللَّهم لا تمتهم إلا بالسيوف»[(١)].

■ أعظم مفاخر عثمان جمع الأمة على مصحف واحد

- الباعث على جمع القرآن في عهد عثمان:

عن أنس بن مالك: أن حذيفة بن اليمان قدم علىٰ عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارىٰ، فأرسل عثمان إلىٰ حفصة أن أرسلي إلينا

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (جـ٢/ ص٦٢٧)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (جـ٣/ ص٢٥).

بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلىٰ عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتىٰ إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلىٰ حفصة، فأرسل إلىٰ كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق[1].

ويؤخذ من هذا الحديث الصحيح أمور، منها:

أ- أن السبب الحامل لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ جمع القرآن مع أنه كان مجموعا مرتبا في صحف أبي بكر الصديق إنما هو اختلاف قراء المسلمين في القراءة اختلافا أوشك أن يؤدي بهم إلىٰ أخطر فتنة في كتاب الله تعالىٰ، وهو أصل الشريعة ودعامة الدين، وأساس بناء الأمة الاجتماعي والسياسي والخلقي، حتىٰ إن بعضهم كان يقول لبعض: إن قراءتي خير من قراءتك، فأفزع ذلك حذيفة، ففزع فيه إلىٰ خليفة المسلمين وإمامهم، وطلب إليه أن يدرك الأمة قبل أن تختلف فيستشري بينهم الاختلاف ويتفاقم أمره ويعظم خطبه، فيمس نص القرآن وتحرف عن مواضعها كلماته وآياته، كالذي وقع بين اليهود والنصارىٰ من اختلاف كل أمة علىٰ نفسها في كتابها.

ب- أن هذا الحديث الصحيح قاطع بأن القرآن الكريم كان مجموعًا في صحف ومضمومًا في خيط، وقد اتفقت كلمة الأمة اتفاقًا تامًا علىٰ أن ما في تلك الصحف هو القرآن كما تلقته عن النبي ﷺ في آخر عرضة علىٰ أمين الوحي جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأن تلك الصحف ظلت في رعاية الخليفة الأول أبي بكر الصديق، ثم انتقلت بعده إلىٰ رعاية الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، ثم لما

(١) البخاري، كتاب فضائل القرآن، رقم (٤٩٨٧).

عرف عمر حضور أجله ولم يولِّ عهده أحدًا معينا في خلافة المسلمين، وإنما جعل الأمر شورىٰ في الرهط المصطفين بالرضا من رسول الله ﷺ ، أوصىٰ بحفظ الصحف عند ابنته حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، وأن عثمان اعتمد في جمعه علىٰ تلك الصحف، وعنها نقل مصحفه (الرسمي)، وأنه أمر أربعة من أشهر قراء الصحابة إتقانا لحفظ القرآن ووعيا لحروفه وأداء لقراءته وفهما لإعرابه ولغته: ثلاثة قرشيين وواحدًا أنصاريًا، وهو زيد بن ثابت صاحب الجمع الأول في عهد الصديق بإشارة الفاروق، وفي بعض الروايات أن الذين أمرهم عثمان أن يكتبوا من الصحف اثنا عشر رجلًا، فيهم أبي بن كعب، وآخرون من قريش والأنصار(١).

ج- ونأخذ من هذا أن الفتوحات في عهد عثمان كانت بإذن وأمر من الخليفة، وأن القرار العسكري يصدر من المدينة، وأن الولايات الإسلامية كلها كانت خاضعة لأمر الخليفة عثمان في عهده؛ بل يدل علىٰ أن هناك إجماعًا من الصحابة والتابعين في جميع الأقاليم علىٰ خلافة عثمان. وقدوم حذيفة بن اليمان إلىٰ المدينة، لرفع اختلاف الناس في قراءة القرآن، يدل علىٰ أن القضايا الشرعية الكبرىٰ كان يستشار فيها الخليفة في المدينة، وأن المدينة ما زالت دار السنة ومجمع فقهاء الصحابة(٢).

- استشارة جمهور الصحابة في جمع عثمان:

جمع عثمان رضي الله عنه المهاجرين والأنصار وشاورهم في الأمر، وفيهم أعيان الأمة وأعلام الأئمة وعلماء الصحابة، وفي طليعتهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعرض عثمان رضي الله عنه هذه المعضلة علىٰ صفوة الأمة وقادتها الهادين المهديين، ودارسهم أمرها ودارسوه، وناقشهم فيها وناقشوه، حتىٰ عرف رأيهم وعرفوا

(١) عثمان بن عفان، صادق عرجون (ص١٧١).
(٢) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (٢/ ٢٤٤).

رأيه، فأجابوه إلىٰ رأيه في صراحة لا تجعل للريب إلىٰ قلوب المؤمنين سبيلًا، وظهر للناس فيأرجاء الأرض ما انعقد عليه إجماعهم، فلم يعرف قط يومئذ لهم مخالف ولا عرف عند أحد نكير، وليس شأن القرآن الذي يخفىٰ علىٰ آحاد الأمة فضلًا عن علمائها وأئمتها البارزين[١].

إن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يبتدع في جمعه المصحف، بل سبقه إلىٰ ذلك أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما أنه لم يصنع ذلك من قِبَل نفسه، إنما فعله عن مشورة للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأعجبهم هذا الفعل وقالوا: نعم ما رأيت، وقالوا أيضًا: قد أحسن (أي: في فعله في المصاحف)[٢].

وقد أدرك مصعب بن سعد صحابة النبي ﷺ حين مشق[٣] عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المصاحف فرآهم قد أعجبوا بهذا الفعل منه[٤]، وكان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينهىٰ من يعيب علىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بذلك ويقول: يا أيها الناس، لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيرًا أو قولوا خيرًا، فوالله ما فعل الذي فعل -أي: في المصاحف- إلا عن ملإٍ منا جميعا -أي: الصحابة-، والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل[٥].

وبعد اتفاق هذا الجمع الفاضل من خيرة الخلق علىٰ هذا الأمر المبارك، يتبين لكل متجرد عن الهوىٰ أن الواجب علىٰ المسلم الرضا بهذا الصنيع الذي صنعه عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحفظ به القرآن الكريم[٦].

قال القرطبي في التفسير: وكان هذا من عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد أن جمع المهاجرين والأنصار وجلة أهل الإسلام وشاورهم في ذلك، فاتفقوا علىٰ جمعه بما صح

---

(١) عثمان بن عفان، صادق عرجون (ص١٧٥).
(٢) فتنة مقتل عثمان بن عفان (١/ ٧٨).
(٣) مشق هو: الحرق.
(٤) التاريخ الصغير للبخاري (١/ ٩٤).
(٥) فتح الباري (٩/ ١٨).
(٦) فتنة مقتل عثمان بن عفان (١/ ٧٨).

وثبت من القراءة المشهورة عن النبي ﷺ واطراح ما سواها، واستصوبوا رأيه، وكان رأيًا سديدًا موفقًا[١].

- الفرق بين جمع الصديق وجمع عثمان رضي الله عنهما:

قال ابن التين: الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان أن جمع أبي بكر كان لخشيته أن يذهب شيء من القرآن بذهاب حملته؛ لأنه لم يكن مجموعا في موضع واحد، فجمعه في صحائف مرتبًا لآيات سوره علىٰ ما وقفهم عليه النبي ﷺ . وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتىٰ قرأوه بلغاتهم علىٰ اتساع اللغات، فأدىٰ ذلك إلىٰ تخطئة بعضهم البعض، فخشىٰ من تفاقم الأمر في ذلك فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتبًا لسوره، واقتصر في سائر اللغات علىٰ لغة قريش محتجا بأنه نزل بلغتهم، وإن كان قد وسع في قراءاته بلغة غيرهم، دفعًا للحرج والمشقة في ابتداء الأمر، فرأىٰ أن الحاجة قد انتهت، فاقتصر علىٰ لغة واحدة.

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: لم يقصد أبو بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، إنما قصد جمعهم علىٰ القراءات الثابتة المعروفة عن النبي ﷺ وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أثبت مع تنزيل، ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه، خشية دخول الفساد والشبهة علىٰ من يأتي بعد.

وقال الحارث المحاسبي: المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان، وليس كذلك؛ إنما حمل عثمان الناس علىٰ القراءة بوجه واحد علىٰ اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات، فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه القراءات المطلقات علىٰ الحروف السبعة التي أنزل بها القرآن، فأما السابق إلىٰ

(١) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٨٨).

جمع الجملة فهو الصديق، وقد قال علي رضي الله عنه: لو وليت لعملت بالمصاحف التي عمل بها عثمان(١).

وقال القرطبي: فإن قيل: فما وجه جمع عثمان الناس علىٰ مصحفه وقد سبقه أبو بكر إلىٰ ذلك وفرغ منه؟ قيل له: إن عثمان رضي الله عنه لم يقصد بما صنع جمع الناس علىٰ تأليف المصحف، ألا ترىٰ كيف أرسل إلىٰ حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك؟ وإنما فعل ذلك عثمان لأن الناس اختلفوا في القراءة لتفرق الصحابة في البلدان، واشتد الأمر في ذلك وعظم اختلافهم وتشبثهم، ووقع بين أهل الشام والعراق ما ذكره حذيفة رضي الله عنه(٢).

- هل المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة:

ذهب الشيخ المحقق صادق عرجون؟ إلىٰ أن صحف الصديق التي كانت أصلا للمصحف الإمام بإجماع المسلمين لم تكن جامعة للأحرف السبعة التي وردت صحاح الحديث بإنزال القرآن عليها، بل كانت علىٰ حرف منها، هو الذي وقعت به العرضة الأخيرة واستقر عليها الأمر في آخر حياة رسول الله ﷺ، وإنما كانت الأحرف السبعة أولا من باب التيسير علىٰ الأمة، ثم ارتفع حكمها لما استفاض القرآن وتمازج الناس وتوحدت لغاتهم.

قال الإمام الطحاوي: إنما كانت السعة للناس في الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن علىٰ غير لغاتهم؛ لأنهم كانوا أميين لا يكتب إلا القليل منهم، فلما كان يشق علىٰ كل ذي لغة أن يتحول إلىٰ غيرها من اللغات، ولو رام ذلك لم يتهيأ له إلا بمشقة عظيمة، وسع لهم في اختلاف الألفاظ إذا كان المعنىٰ متفقا، فكانوا كذلك حتىٰ كثرت منهم من يكتب، وعادت لغاتهم إلىٰ لسان رسول الله

(١) عثمان بن عفان، صادق عرجون (ص١٧٨).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٨٧).

ﷺ ، فقدروا بذلك علىٰ تحفظ ألفاظه، فلم يسعهم حينئذ أن يقرءوا بخلافها. قال ابن عبد البر: فبان بهذا أن تلك السبعة الأحرف إنما كانت في وقت خاص لضرورة دعت إلىٰ ذلك، ثم ارتفعت تلك الضرورة، فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف وعاد ما يقرأ به القرآن علىٰ حرف واحد[١].

وقال الطبري: إن القراءة علىٰ الأحرف السبعة لم تكن واجبة علىٰ الأمة، وإنما كان جائزا لهم ومرخصًا لهم فيه، فلما رأىٰ الصحابة أن الأمة تفترق وتختلف إذا لم يجتمعوا علىٰ حرف واحد أجمعوا علىٰ ذلك إجماعًا شائعًا، وهم معصومون من الضلالة[٢]. وهذا الحرف الذي كتبت به صحف الإجماع القاطع ونقل عنها المصحف الإمام جامع لقراءات القراء السبعة وغيرها، مما يقرأ به الناس ونقل متواترًا عن رسول الله ﷺ ؛ لأن الأحرف الواردة في الحديث غير هذه القراءات[٣]. قال القرطبي: قال كثير من علمائنا كالداودي وابن أبي صفرة وغيرهما: هذه القراءات السبع التي تنسب لهؤلاء القراء السبعة ليست هي الأحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها، وإنما هي راجعة إلىٰ حرف واحد من تلك السبعة، وهو الذي جمع عليه المصحف[٤]، وأقرب الآراء إلىٰ الفهم عند ظننا في معنىٰ الأحرف إنما هو الرأي القائل بأنها هي أفصح لغات العرب وأشهرها، وهي مبثوثة في القرآن كله، وإليه ذهب القاسم بن سلام وابن عطية في جماعة من الأجلاء، وإليه يرجع نحو سبعة أقوال مما ذكره السيوطي في الإتقان في معنىٰ الأحرف[٥].

---

(١) عثمان بن عفان، صادق عرجون (ص١٨٠).

(٢) عثمان بن عفان، صادق عرجون (ص١٨٠).

(٣) السابق نفسه.

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٧٩).

(٥) الإتقان للسيوطي (١/ ١٤٤-١٤٨).

- عدد المصاحف التي أرسلها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار:

لما فرغ عثمان رضي الله عنه من جمع المصاحف أرسل إلىٰ كل أفق بمصحف، وأمرهم أن يحرقوا كل مصحف يخالف المصحف الذي أرسله إلىٰ الآفاق، وقد اختلفوا في عدد المصاحف التي فرقها في الأمصار، فقيل: إنها أربعة وهو الذي اتفق عليه أكثر العلماء، وقيل: إنها خمسة، وقيل: إنها ستة، وقيل: إنها سبعة، وقيل: إنها ثمانية. أما كونها أربعة فقيل: إنه أبقىٰ مصحفا بالمدينة، وأرسل مصحفا إلىٰ الشام، ومصحفا إلىٰ الكوفة، ومصحفا إلىٰ البصرة. وأما كونها خمسة؛ فالأربعة المتقدم ذكرها، والخامس أرسله إلىٰ مكة. وأما كونها ستة فالخمسة والمتقدم ذكرها، والسادس اختلف فيه، فقيل جعله خاصا لنفسه، وقيل: أرسله إلىٰ البحرين. وأما كونها سبعة، فالستة المتقدم ذكرها، والسابع أرسله إلىٰ اليمن. وأما كونها ثمانية، فالسبعة المتقدم ذكرها، والثامن كان لعثمان يقرأ فيه، وهو الذي قتل وهو بين يديه[(١)].

وبعث رضي الله عنه مع كل مصحف من يرشد الناس إلىٰ قراءته بما يحتمله رسمه من القراءات مما صح وتواتر، فكان عبد الله بن السائب مع المصحف المكي، والمغيرة بن شهاب مع المصحف الشامي، وأبو عبد الرحمن السلمي مع المصحف الكوفي، وعامر بن قيس مع المصحف البصري، وأمر زيد بن ثابت أن يقرئ الناس بالمدني[(٢)].

- موقف عبد الله بن مسعود من مصحف عثمان:

لم يثبت أن ابن مسعود رضي الله عنه خالف عثمان في ذلك، وكل ما روي في ذلك ضعيف الإسناد، كما أن هذه الروايات الضعيفة التي تتضمن ذلك تثبت أن ابن مسعود رجع إلىٰ ما اتفق عليه الصحابة في جمع القرآن، وأنه قام في الناس

---

(١) أضواء البيان في تاريخ القرآن (ص٧٧).

(٢) المصدر نفسه (ص٧٨).

وأعلن ذلك، وأمرهم بالرجوع إلىٰ جماعة المسلمين في ذلك[١].

وقال: إن الله لا ينتزع العلم انتزاعًا، ولكن ينتزعه بذهاب العلماء، وإن الله لا يجمع أمة محمد ﷺ علىٰ ضلالة، فجامعوهم علىٰ ما اجتمعوا عليه، فإن الحق فيما اجتمعوا عليه، وكتب بذلك إلىٰ عثمان[٢].

وقد ورد عن ابن كثير رجوع ابن مسعود إلىٰ الوفاق[٣]، وأكد الذهبي ذلك فقال: وقد ورد أن ابن مسعود رضي وتابع عثمان ولله الحمد[٤]. ولا يلتفت إلىٰ ما كتبه طه حسين في قضية المصحف وعلاقة عثمان مع ابن مسعود وما ساقه بأسلوب مسموم، فيه أفكار أخذها من أساتذته المستشرقين[٥]. الذين اعتمدوا علىٰ روايات ضعيفة ورافضية في تشويه علاقة الصحابة ببعضهم رضي الله عنهم جميعا. إن ابن مسعود رضي الله عنه الذي ترك صلاة القصر في منىٰ خشية من الخلاف والفتنة ومتابعة للخليفة، هل يتوقع منه أن يصعد المنبر ويحرض الناس علىٰ الخلاف، وهو القائل: إن الخلاف شر[٦].

إن مؤرخي الروافض زوَّروا روايات ونسبوها لابن مسعود وموقفه من عثمان رضي الله عنهم، وأظهروا في تلك الأكاذيب الصحابة قوما متنازعين متباغضين، متعنتين متفاحشين في القول، وهي روايات ساقطة لا تثبت أمام النقد الهادئ الموضوعي، ويرفضها الذوق المؤمن والعقل الفطن، وقد زعمت الرافضة كذبا وزورا بأن ابن مسعود كان يطعن علىٰ عثمان ويكفره، ولما حكم عثمان ضربه حتىٰ مات، وهذا كذب بيِّن علىٰ ابن مسعود، فإن علماء النقل يعلمون أن ابن

---

(١) فتنة مقتل عثمان بن عفان (١/ ٧٨).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٧٩).
(٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٢٨).
(٤) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٤٩).
(٥) الفتنة الكبرىٰ (١/ ١٥٩).
(٦) عبد الله بن مسعود، عبد الستار الشيخ (ص٣٣٥).

مسعود ما كان يكفر عثمان بل لما بويع عثمان بالخلافة سار عبد الله بن مسعود من المدينة إلىٰ الكوفة، ولما وصل إليها حمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال: أما بعد، فإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مات فلم نر يوما أكثر نشيجا من يومئذ، وإنا اجتمعنا أصحاب محمد فلم نأل عن خيرنا ذي فُوق، فبايعنا أمير المؤمنين عثمان فبايعوه(١).

وهذه الكلمات الواضحة أكبر دليل علىٰ تلك المكانة الرفيعة لعثمان بن عفان في قلب ابن مسعود وعند جميع الصحابة، أولئك الذين مدحهم الله تعالىٰ ورضي عنهم، وهم خير من فقه قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠﴾ [الأحزاب:٧٠].

فقول عبد الله بن مسعود صدق لا يعدو الحقيقة، كما أنه نابع عن قناعته وصادر عن محض إرادته، ما قاله خوفًا ولا خشية، ولم يقذف به هكذا رخيصًا للاستهلاك والتغرير، أو ليحوز مكانة ومنصبًا في الخلافة الجديدة. إذن فمن بدهيات الأمور وأولياتها أن ليس ثمة حقد أو بغضاء في قلب أحدهما علىٰ الآخر، وإن حدث شيء فإنما هو من أجل الحق وصالح المسلمين(٢)، ويندرج تحت فقه النصيحة وآدابها وتأديب الخليفة لرعيته، وأما ما زعم الروافض ومن سار علىٰ نهجهم من أن عثمان ضرب ابن مسعود حتىٰ مات فهذا كذب باتفاق أهل العلم، قال أبو بكر بن العربي: وأما ضربه لابن مسعود ومنعه عطاءه فزور(٣). فلا وجهة للرافضة بالطعن علىٰ عثمان بقصة ابن مسعود هذه، فإنه لم يضربه ولم يمنعه عطاءه، وإنما كان يعرف له قدره ومكانته، كما كان ابن مسعود شديد الالتزام بطاعة إمامه الذي بايع له وهو يعتقد أنه خير المسلمين وقت البيعة(٤).

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٦٣).

(٢) عبد الله بن مسعود (ص٣٢٤).

(٣) العواصم من القواصم (ص٦٣).

(٤) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (٣/ ١٠٦٦).

- فهم الصحابة لآيات النهي عن الاختلاف:

قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام:١٥٣]، فالصراط المستقيم هو القرآن والإسلام والفطرة التي فطر الله الناس عليها، والسبل هي الأهواء والفرق والبدع والمحدثات، قال مجاهد: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ يعني البدع والشبهات والضلالات(١).

ونهىٰ الله ـ هذه الأمة عما وقعت فيه الأمم السابقة من الاختلاف والتفرق من بعد ما جاءتهم البينات، وأنزل الله إليهم الكتاب فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران:١٠٥].

ونهىٰ الأمة أن يكون أفرادها من المشركين، الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا، فقال عز من قائل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم:٣٠ - ٣٢].

وأخبر ـ أن رسول الله ﷺ برئ من الذين يفرقون دينهم ويكونون شيعًا وأحزابًا، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام:١٥٩].

ويظهر من قصة جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه مدىٰ فهم الصحابة رضي الله عنهم لآيات النهي عن الاختلاف؛ حيث إن الله نهىٰ عن الاختلاف وحذر منه، فلعمق فهمهم لهذه الآيات ارتعد حذيفة رضي الله عنه عندما سمع بوادر الاختلاف في قراءة القرآن، فرحل فورًا إلىٰ المدينة النبوية، وأخبر عثمان رضي الله عنه بما رأىٰ وبما سمع،

(١) تفسير مجاهد (ص٢٢٧).

فسرعان ما قام عثمان يخطب الناس، يحذرهم من مغبة هذا الخلاف، ويشاور الصحابة -رضوان الله عليهم- في الحل لهذه المحنة التي بدأت بالظهور، وفي مدة قصيرة يحسم الأمر ويغلق باب الخلاف الذي كاد أن ينفتح بجمع الصحف ونسخها في مصحف واحد من المصادر الموثوقة جدًا، وبإغلاق باب الفتنة هذا فرح المسلمون، بينما اغتاظ المنافقون الذين كانوا قد استبشروا ببوادر الخلاف التي كانوا ينتظرونها بفارغ الصبر ويسعون إلىٰ تحقيقها، ولما حسم الخلاف، ولم يجد أولئك طريقا إلىٰ استنهاضه، ازداد حقدهم علىٰ عثمان رضي الله عنه وسعوا إلىٰ التشنيع عليه وتصوير حسنته هذه سيئة، وتلمسوا في سبيل إثبات ذلك خيوط العنكبوت الواهية، ليطعنوا فيه ويسوغوا خروجهم عليه بها، مظهرين للناس أن هذه الحسنة سيئة تستوجب الخروج عليه[(١)].

إن الصحابة -رضوان الله عليهم- لم يتركوا كل قارئ علىٰ قراءته الصحيحة، بل جمعوهم علىٰ قراءة واحدة، فاجتمع شملهم وتوحد صفهم، وهذا درس عظيم نستلهمه من دراستنا لتاريخ عهد الخلفاء الراشدين، الحافل بالعبر والدروس ومواطن القدوة[(٢)].

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يرضىٰ لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا مَنْ ولاه الله أمركم**»[(٣)] إن طريق الاعتصام بحبل الله أن نلتزم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهذا الأصل من آكد الأصول في هذا الدين العظيم، يقول ابن تيمية؟: وهذا الأصل العظيم -وهو الإسلام- مما عظمت وصية الله تعالىٰ به في كتابه، ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم، مما عظمت به وصية النبي ﷺ في

(١) فتنة مقتل عثمان بن عفان (١/ ٨٢).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٨٣).
(٣) مسند أحمد (١/ ٢، ٢٦).

مواطن عامة وخاصة[١].

ولذلك أمر الله تعالىٰ ورسوله ﷺ بكل ما يحفظ علىٰ المسلمين جماعتهم وألفتهم، ونهىٰ عن كل ما يعكر صفو هذا الأمر العظيم.

إن ما حصل من فرقة بين المسلمين وتدابر وتقاطع وتناحر، بسبب عدم مراعاة هذا الأصل وضوابطه مما ترتب عليه تفرق في الصفوف، وضعف في الاتحاد، وأصبحوا شيعا وأحزابًا كل حزب بما لديهم فرحون[٢].

إن وحدة المسلمين واجتماعهم مطلب شرعي، ومقصد عظيم من مقاصد الشريعة؛ بل من أهم أسباب التمكين لدين الله تعالىٰ، ونحن مأمورون بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر، فلا بد من تضافر الجهود بين الدعاة وقادة الحركات الإسلامية، وبين علماء المسلمين وطلبة العلم لإصلاح ذات البين إصلاحًا حقيقًا لا تلفيقيًّا؛ لأن أنصاف الحلول تفسد أكثر مما تصلح، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي؟: الجهاد نوعان؛ جهاد يقصد به صلاح المسلمين وإصلاحهم في عقائدهم وأخلاقهم وآدابهم وجميع شئونهم الدينية والدنيوية، وفي تربيتهم العلمية وهذا النوع هو الجهاد وقوامه، وعليه يتأسس النوع الثاني، وهو جهاد يقصد به دفع المعتدين علىٰ الإسلام والمسلمين من الكفار والمنافقين والملحدين وجميع أعداء الدين ومقاومتهم، وهذان نوعان: جهاد بالحجة والبرهان واللسان، وجهاد بالسلاح المناسب في كل وقت وزمان[٣].

وبعد أن ذكر الآيات والأحاديث الدالة علىٰ وجوب تعاون المسلمين ووحدتهم قال: فإن من أعظم الجهاد السعي في تحقيق هذا الأصل في تأليف قلوب المسلمين واجتماعهم علىٰ دينهم ومصالحهم الدينية والدنيوية[٤].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٢/ ٣٥٩).

(٢) تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين، للصلابي (ص٣٠٧).

(٣) وجوب التعاون بين المسلمين للسعدي (ص٥).

(٤) وجوب التعاون بين المسلمين للسعدي (ص٥).

ولذلك نرىٰ أن الأخذ بالأسباب نحو تأليف قلوب المسلمين وتوحيد صفهم من أعظم الجهاد؛ لأن هذه الخطوة مهمة جدا في إعزاز المسلمين وإقامة دولتهم، وتحكيم شرع ربهم، وهذا من فقه الخلفاء الراشدين، ويتجلىٰ في أبهىٰ صورة في جمع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للأمة علىٰ مصحف واحد.

+

الفتنـــــة

■ **مثيـرو الفتنة:**

أخبر النبي ﷺ بوقوع الفتنة وإخباره حق وصدق ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم:٣-٤] وإخباره هذا من الأمور الغيبية التي أطلعه الله عليها؛ فوقوعها محقق.

وقد حدد ﷺ وقتها، وأنها ستكون في سنة من ثلاث، إما الخامسة، أو السادسة، أو السابعة بعد الثلاثين من الهجرة. فترىٰ متىٰ وقعت؟ ومن باء بإثم إشعالها؟ وكيف بدأت؟ وماذا كان موقف عثمان رضي الله عنه منها؟

■ **قدوم أهل الأمصار:**

بعد أن حرّض البغاة أهل الأمصار علىٰ الخليفة رضي الله عنه اتجهوا إلىٰ المدينة، فقدم أهل مصر، وأهل العراق، والتقوا بعثمان رضي الله عنه وتفاوضوا معه.

ولما علم الناس بمسير المصريين إلىٰ عثمان رضي الله عنه أتىٰ بعض الناس إلىٰ حذيفة، فقالوا له: إن هؤلاء ساروا إلىٰ هذا الرجل فما تقول؟ قال: يقتلونه والله، فقالوا له: أين هو؟ فقال في الجنة والله، فقالوا: فأين قتلته؟ فقال: في النار والله[(١)].

خرج القوم من مصر قاصدين المدينة، وبلغ خبر قدومهم عثمان رضي الله عنه قبل وصولهم وكان في قرية خارج المدينة -لم تحددها الروايات- فلما سمعوا بوجوده فيها، اتجهوا إليه فاستقبلهم فيها[(٢)] ويحدد المدائني تاريخ قدومهم بأنه

---

(١) رواه ابن أبي شيبة، المصنف (١٥/ ٢٠٦).

(٢) ابن أبي شيبة، المصنف (١٥/ ٢١٥-٢٢٠).

كان في ليلة الأربعاء هلال ذي القعدة[١].

التقىٰ القوم بعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذه القرية فقالوا: ادع بالمصحف فدعا به، فقالوا: افتح السابعة، وكان يسمون سورة يونس السابعة فقرأ حتىٰ أتىٰ هذه الآية: ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يونس:٥٩].

فقالوا له: قف. أرأيت ما حميت من الحمىٰ؟ آلله أذن لك أم علىٰ الله تفتري؟ فقال: امضه، نزلت في كذا وكذا، فأما الحمىٰ فإن عمر حماه قبلي لإبل الصدقة، فلما وليت زادت إبل الصدقة فزدت في الحمىٰ لِما زاد من إبل الصدقة، امضه، قال: فجعلوا يأخذونه بالآية، فيقول: امضه، نزلت في كذا فما يزيدون، فأخذوا ميثاقه، وكتبوا عليه شرطًا، وأخذ عليهم ألا يشقوا عصا، ولا يفارقوا جماعة، ما أقام لهم شرطهم، ثم رجعوا راضين.

وبذلك يتبين ضعف ما رُوي من أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أرسل خمسين راكبًا أميرهم محمد بن مسلمة وفيهم جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ وفد المصريين في ذي خشب، وأنهم وجدوا رجلًا من القوم معلقًا المصحف في عنقه، تذرف عيناه دموعًا، وبيده السيف، وهو يقول: إلا إن هذا -يعني: المصحف- يأمرنا أن نضرب بهذا -يعني السيف علىٰ ما في هذا -يعني: المصحف- وأن محمدًا بن مسلمة قال له: اجلس، فقد ضربنا بهذا علىٰ ما في هذا قبلك، فجلس، وأنه لم يزل يكلمهم حتىٰ رجعوا[٢].

ونزل القوم في ذي المروة، قبل مقتله بما يقارب شهرًا ونصف.

فأرسل عثمان إليهم عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورجلًا آخر لم تسمه الروايات.

والتقىٰ بهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال لهم: تعطون كتاب الله وتعتبون من كلّ ما سخطتم، فوافقوا علىٰ ذلك[٣].

---

(١) خليفة بن خياط (التاريخ ١٦٨).

(٢) رواه ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٣٢١).

(٣) رواه ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (ص٣٢٨)، وخليفة بن خياط، التاريخ (١٦٩-١٧٠).

وفي رواية أنهم شادّوه، وشادّهم مرتين أو ثلاثًا، ثم قالوا: ابن عمّ رسول الله ﷺ، ورسول أمير المؤمنين، يعرض عليكم كتاب الله فقبلوا.

فاصطلحوا علىٰ خمس: علىٰ أن المنفي يقلب، والمحروم يعطىٰ، ويوفر الفيء، ويعدل في القسم، ويستعمل ذو الأمانة والقوة، وكتبوا ذلك في كتاب.

وأن يُردّ ابنُ عامر علىٰ البصرة، وأبو موسىٰ الأشعري علىٰ الكوفة وأن يؤدىٰ إلىٰ كل ذي حقّ حقّه، ولم يكتبوا هذه، ثم انصرفوا راجعين إلىٰ الكوفة[(١)].

هكذا اصطلح عثمان رضي الله عنه مع وفد كلّ مصرٍ علىٰ حده، ثم انصرف الوفدان إلىٰ ديارهم راضين.

وفي رواية أن عثمان اجتمع مع أهل الأمصار جميعًا، وأنه قال لهم: ليقم أهل كل مصر يسألوني صاحبهم، الذي يحبونه فأستعمله عليهم، وأعزل عنهم الذي يكرهون، فقال أهل البصرة: رضينا بعبد الله بن عامر، فأقره علينا، وقال: أهل الكوفة: اعزل سعيدًا واستعمل علينا أبا موسىٰ ففعل، وقال أهل الشام قد رضينا بمعاوية فأقرّه علينا، وقال أهل مصر: اعزل عنا ابن أبي سرح، واستعمل علينا عمرو بن العاص، ففعل، فما جاءوا بشيء إلا خرج منه، فانصرفوا راضين[(٢)].

وبعد عقد الصلح، كتب عثمان رضي الله عنه كتابًا إلىٰ أهل العراق، يقول فيه: «إن جيش ذي المروة نزلوا بنا فكان مما صالحناهم عليه: أن يؤدىٰ إلىٰ كل ذي حقٍّ حقه، فمن كان له قِبَلنا حق فليركب إليه، فإن أبطأ أو تثاقل فليتصدق فإن الله يجزي المتصدقين»[(٣)].

وبعد هذا الصلح العظيم وعودة أهل الأمصار جميعًا راضين، تبين لمشعلي الفتنة أن خطتهم قد فشلت، وأهدافهم الدنيئة لم تتحقق، لذا خططوا

---

(١) رواه ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (ص٣٢٨)، وخليفة بن خياط، التاريخ (١٦٩-١٧٠).

(٢) رواه ابن أبي شيبة (المصنف: ١٥/ ٢٢٠- ٢٢٢).

(٣) رواه ابن عساكر تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٣٦٢، ٤٨٧- ٤٨٨).

تخطيطًا آخر، يُذكي الفتنة ويحييها، ويدمر ما جرىٰ من صلح بين أهل الأمصار وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبرز ذلك فيما يأتي:

في أثناء طريق عودة أهل مصر، رأوا راكبًا علىٰ جمل يتعرض لهم، ويفارقهم -يظهر أنه هارب منهم- فكأنه يقول: خذوني، فقبضوا عليه، وقالوا له: ما لك؟ فقال: أنا رسول أمير المؤمنين إلىٰ عامله بمصر، ففتشوه فإذا هم بالكتاب علىٰ لسان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعليه خاتمه إلىٰ عامل مصر، فتحوا الكتاب فإذا فيه أمر بصلبهم أو قتلهم أو تقطيع أيديهم وأرجلهم، فرجعوا إلىٰ المدينة حتىٰ وصلوها(١).

وقبل أن نخوض في محاولات لكشف شخصية كاتب هذا الكتاب، هناك دلائل تشكك في صحة ما أشاعه أهل الأمصار من وجود هذا الرجل الذي يحمل هذا الكتاب، فلماذا لا يكونون قد ألفوا كتابًا في أثناء الطريق وعادوا به مظهرين أنهم وجدوه مع رجل علىٰ جمل؟

ومما يقوي ذلك، أنه لم تنقل المصادر أنهم انتقموا من هذا الرجل الذي يحمل هذا الكتاب الذي فيه هلاكهم، خاصة وأنهم قوم لم يتورعوا عن دم خليفتهم وأميرهم، فمن باب أولىٰ أنهم لا يتورعون عن دم هذا الرسول.

ولو افترضنا صحة هذا الزعم، فلِم يسلك هذا الرسول طريقهم؟ أليس هناك طرق إلىٰ مصر غير طريقهم؟ وإذا لم يكن هناك طرق أخرىٰ ألا يستطيع أن ينحرف عن الطريق عند اقترابه منهم، ثم يعود إلىٰ الطريق نفسه؟.

ولِم يتَعرض لهم ويفارقهم، ثم يرجع إليهم ثم يفارقهم، فلِمَ هذه التصرفات التي تدعوهم إلىٰ القبض عليه؟.

وإذا كان مرسله عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أو أحد ممن هم حوله، ألا يرشدونه إلىٰ هذه التعليمات التي تعينه علىٰ التملص من أهل مصر، وينبهونه إلىٰ أن يتستر ويخفي

(١) أحمد في فضائل الصحابة (٤٧١)، وابن شيبة (٣/ ١٣٣).

مضمون هذا الكتاب؟! بلىٰ، هذا هو المتحتم من خلال هذا الموقف.

ولكن انظر إلىٰ هذا الرسول -المزعوم- عندما قبض عليه، قالوا له: مالك؟ قال: أنا رسول أمير المؤمنين إلىٰ عامله بمصر.

ففتشوه فإذا هم -كما في الرواية- بالكتاب علىٰ لسان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عليه خاتمه إلىٰ عامل مصر أن يصلبهم أو يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم.

ومن الذي يؤكد لنا أن الخاتم خاتم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ فلم تنقل لنا المصادر أن أحدًا من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قد رأىٰ هذا الخاتم وأقر أنه خاتمه.

عاد القوم بعد ذهابهم يحملون هذه الأخبار، التي لا يستبعد إطلاقًا أن تكون ممثلة ملفقة، وقدموا المدينة.

وتفصل بعض الروايات الضعيفة في ذهابهم إلىٰ بعض الصحابة وعرض الكتاب عليهم، إلا أنه لم يصح في ذلك شيء من الروايات.

ونفىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يكون كتب هذا الكتاب، وقال لهم: إنهما اثنتان: أن تقيموا رجلين من المسلمين، أو يميني بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت ولا أمللت، ولا علمت، وقد يُكتب الكتاب علىٰ لسان الرجل ويُنقش الخاتم، فلم يصدقوه.

ولا نشك نحن في صدق عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما أنهم لا يشكون في ذلك، ولكنهم لم يعبؤوا بهذا الحلف منه؛ لأنهم -ربما- يعرفون مسبقًا أنه ليس بكاتب الكتاب، وإنما هي حيلة لنقض العهد الذي أسفوا علىٰ إبرامه، أو أسف واغتاظ مشعلوا الفتنة علىٰ وقوعه.

إذا فرضنا أنهم وجدوا كتابًا فعلًا بخط كاتب عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعليه خاتمه، فمن ذا الذي يكون قد باء بإثم تزويره؟!

يتهم بعضهم مروان بن الحكم في ذلك، وأنه افتأت علىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بكتابته، وأستبعد ذلك جدًا، لما تقدم من أن تفاصيل خطة إرسال هذا الكتاب

تدل علىٰ أن مرسله لم يكن يريد إيصاله إلىٰ مصر، وإنما يهدف إلىٰ إطلاع وفد أهل مصر عليه، كما أنه لا مصلحة لمروان في افتآت مروان بكتابة هذا الكتاب.

والذي يبدو -والله أعلم- أن الذي زيف هذا الكتاب هو: عبد الله بن سبأ، أو أحدُ أعوانه، فهذه من عاداته القبيحة التي استخدمها في إشعال الفتنة، فليس هذا الكتاب هو الكتاب الوحيد المزور في هذه الفتنة؛ بل زُوّر غيره علىٰ ألسنة بعض الصحابة رضوان الله عليهم كعائشة، وعلي رضي الله عنهما.

بعد عودتهم هذه حاصروا الدار، وقاموا بأبشع المعاملة مع الخليفة عثمان رضي الله عنه، وتصرفوا أقبح التصرفات. وفي الباب الآتي تفصيل ما جرىٰ أثناء الحصار.

■ يوم الدار وقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه:

- وصف الدار:

لقد أطلق يوم الدار علىٰ المدة التي حوصر فيها عثمان رضي الله عنه بدءًا من رجوع المصريين إلىٰ المدينة وانتهاءً بقتله رضي الله عنه.

واختلف في مدة الحصار، فقيل إنه استمر أكثر من عشرين يومًا(١) وقيل: أكثر من شهر، وقيل: كانت مدته أربعين يومًا(٢) وقيل: كانت نيفا وأربعين ليلة(٣) وقيل: تسعة وأربعين يومًا وقيل: شهرين وعشرين يومًا(٤).

ومكان الحصار هو: داره الكبرىٰ التي كان يسكنها في المدينة النبوية(٥) ويسميها الرواة أحيانًا بالقصر(٦).

وتقع شرق المسجد النبوي مقابل باب عثمان ويحدها من الشمال زقاق

---

(١) قال به ابن قتيبة، المعارف (١٩٦).
(٢) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ١٨٤ج).
(٣) المحب الطبري، الرياض النضرة (٣/ ٤٥).
(٤) ذكره ابن الأثير عن الواقدي، أسد الغابة (٣/ ٤٨٩).
(٥) السمهودي، وفاء الوفاء (٢/ ٧٣١).
(٦) أحمد في المسند (١/ ٣٤٠- ٣٤١).

البقيع الذي يبلغ عرضه خمسة أذرع، ومن جهة الشرق داره الصغرىٰ، التي تليها دار أبي حزم، ويقابل دارَه الصغرىٰ دارٌ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه[١].

وبين الدار الكبرىٰ، والمسجد النبوي: ساحة تسمىٰ البلاط[٢] كانت ممتلئة بالمحاصرين أثناء الحصار[٣].

ولعل موضع هذه الدار قد دخل في المسجد النبوي في توسعة من التوسعات التي وسع بها، ويبدو أنه المكان الذي بين قبر النبي ﷺ وبين جدار المسجد الشرقي مما يلي باب البقيع الذي فتح حديثًا مقابل باب السلام من الجهة الشرقية.

وفي الروايات الصحيحة نتف من أوصاف هذه الدار، يشكل مجموعها: صورة تقريبية لها تساعد علىٰ فهم الأحداث التي جرت في الدار وأدت إلىٰ قتل عثمان رضي الله عنه.

ومما وقفت عليه من وصف لهذه الدار، أنها كانت مجاورة لدور متساوية معها من حيث العلو، مما يساعد علىٰ إمكانية التنقل بينها عن طريق سطحها[٤].

كما يجاورها دور أخرىٰ غير ملتصقة بها، يمكن الانتقال إليها بواسطة خشب توضع بينها[٥].

وللدار خوخة تطل علىٰ المسجد، أو نافذة تطل علىٰ الشارع، يرىٰ المطلع منها من في الشارع، أو من في المسجد كما يمكن عن طريقها أن يرىٰ من في المسجد أو في الشارع من في الدار وفي الدار درج يصلها بسطحها[٦].

---

(١) السمهودي، وفاء الوفاء (٢/ ٧٣١).

(٢) البلاط: موضع بجانب المسجد النبوي؛ مبلط بالحجارة.

(٣) ابن سعد، الطبقات (٣/ ٦٧).

(٤) الخطيب البغدادي، تلخيص المتشابه (١/ ٩٦).

(٥) ابن سعد، الطبقات (٨/ ١٢٨).

(٦) الخطيب البغدادي، تلخيص المتشابه (١/ ٩٦).

كما أن سعة الدار كبيرة جدًا، بحيث تسع عددًا كبيرًا من الناس[١] وفيها: مدخل يسمع من يدخله كلام من علىٰ البلاط[٢].

- بدء الحصار:

لم تفصل الروايات الصحيحة في كيفية بدء وقوع الحصار، ولعل الأحداث التي سبقته تلقي شيئًا من الضوء علىٰ كيفية بدئه.

فبينما كان عثمان رضي الله عنه يخطب الناس ذات يوم إذا برجل يقال له أعين[٣] يقاطعه ويقول له: يا نعثل[٤] إنك قد بدلت، فقال عثمان رضي الله عنه: من هذا؟ فقالوا: أعين، قال عثمان: بل أنت أيها العبد، فوثب الناس إلىٰ أعين، وجعل رجل من بني ليث يزعهم عنه حتىٰ أدخله الدار[٥].

وبعد قدوم المصريين -الثاني- وقبل اشتداد الحصار كان عثمان رضي الله عنه يستطيع الخروج إلىٰ الصلاة، ويُدخل عليه من يشاء، ثم منعوه من ذلك ومن الخروج من داره، فكان رضي الله عنه لا يستطيع الخروج لصلاة الفريضة[٦].

---

(١) ابن سعد، الطبقات (٣/ ٧٠).

(٢) ابن سعد، الطبقات (٣/ ٦٧).

(٣) أعين بن ضبيعة بن ناجية بن غفال التميمي الحنظلي الدارمي، ابن أخي صعصعة بن ناجية جد الفرزدق. ذكره صاحب الاستيعاب ولم يذكر ما يدل علىٰ صحبته، وهو والد النوار زوج الفرزدق، وكان شهد الجمل مع علي، وهو الذي عقر الجمل الذي كانت عائشة رضي الله عنها عليه، ويقال: إنها دعت عليه بأن يُقتل غيلة فكان كذلك، وذلك سنة ثمان وثلاثين. ابن حجر، الإصابة -القسم الأول (١/ ٥٥)، وفي الاستيعاب لابن عبد البر (١/ ١١٩).

(٤) هو لقب أطلقه الخارجون علىٰ عثمان رضي الله عنه، نقل ابن عساكر عن ابن الكلبي أنه قال: «إنما قيل له نعثل؛ لأنه كان يشبّه برجل من أهل مصر اسمه نعثل، وكان طويل اللحية، فكان عثمان إذا نيل منه وعيب يشبّه بذلك الرجل لطول لحيته، لم يكونوا يجدون عيبًا غير هذا. وقال بعضهم: إن نعثلًا من أهل أصبهان، ويقال في نعثل إنه الذكر من الضباع» تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٣٣١).

(٥) روىٰ هذه الخطبة أحمد في المسند (١/ ٣٧٨).

(٦) خليفة بن خياط، التاريخ (١٧٢)، والطبري، تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٣٨٣).

فكان يصلي بالناس رجل من المحاصرين، من أئمة الفتنة، حتىٰ أن عبيد الله بن عدي بن الخيار تحرج من الصلاة خلفه، فاستشار عثمان في ذلك؛ فأشار عليه بأن يصلي خلفه، وقال له: الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم[(١)].

وفي بعض الروايات الضعيفة أن الذي كان يصلي بالناس هو أميرهم الغافقي[(٢)].

ولا صحة لما روىٰ الواقدي من أن عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمر أبا أيوب الأنصاري أن يصلي بالناس فصلىٰ بهم أول الحصر، ثم صلىٰ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهم العيد وما بعده[(٣)].

ومما يزيد في ضعف متن هذه الرواية؛ إضافة إلىٰ ضعف إسنادها: أنه لو كان علي أو أبو أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هما الذان يصليا بالناس، لما تحرج عبيد الله بن عدي بن الخيار من الصلاة خلفهما.

- **المفاوضات بين عثمان ومحاصريه:**

وبعد أن تم الحصار، وأحاط الخارجون -علىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- بالدار طلبوا منه خلع نفسه، أويقتلوه[(٤)].

وهؤلاء الذين يطالبون الخليفة بخلع نفسه هم حثالة من الناس، وأوباشهم وأدناهم دينًا، وخلقًا، وعلمًا وليسوا من أهل الحل والعقد.

وبعرضهم هذا تحقق ما قاله النبي ﷺ لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحان وقت العمل بوصيته ﷺ له؛ لذا رفض عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خلع نفسه، وقال: «لا أخلع سربالًا سربلنيه الله»[(٥)] يشير إلىٰ ما أوصاه به رسول الله ﷺ .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (فتح الباري ٢/ ١٨٨).

(٢) رواه الطبري، تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٣٥٣-٣٥٤).

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٤٢٣).

(٤) رواه خليفة بن خياط، التاريخ (١٧١)، وابن سعد، الطبقات (٣/ ٦٦).

(٥) رواه ابن أبي شيبة، المصنف (١٥/ ٢٠٠-٢٠١).

بينما كان قلة من الصحابة رضي الله عنهم يرون خلاف ما ذهب إليه، وأشار عليه بعضهم بأن يخلع نفسه ليعصم دمه، ومن هؤلاء المغيرة بن الأخنس رضي الله عنه، لكنه رفض ذلك.

وفي أثناء وجود أصحاب هذا الرأي عند عثمان رضي الله عنه دخل عليهم ابن عمر رضي الله عنهما.

فقال له عثمان رضي الله عنه: «انظر إلىٰ ما يقول هؤلاء، يقولون: اخلعها ولا تقتل نفسك، فقال ابن عمر رضي الله عنهما: إذا خلعتها أمخلد أنت في الدنيا؟ فقال عثمان رضي الله عنه: لا، قال: فإن لم تخلعها هل يزيدون علىٰ أن يقتلوك؟، قال عثمان رضي الله عنه: لا، قال: فهل يملكون لك جنة أو نارًا؟ قال: لا، قال: فلا أرىٰ لك أن تخلع قميصًا قمصكه الله فتكون سنة كلما كره قوم خليفتهم أو إمامهم قتلوه»[(١)].

وفي رواية: فلا أرىٰ أن تسن هذه السنة في الإسلام، كلما سخط قوم علىٰ أميرهم خلعوه، لا تخلع قميصًا قمصكه الله[(٢)].

ولا يدل هذا الحوار علىٰ أن عثمان رضي الله عنه كان مترددًا في الخلع وعدمه حتىٰ أيده ابن عمر رضي الله عنهما لأن وصية رسول الله ﷺ له صريحة في عدم الخلع، إلا أن يكون قد نسيها ثم تذكرها بعد، والذي يبدو من عبارته رضي الله عنه التي عبر بها عن رأيه في عدم الخلع أنه متذكر للوصية حيث استخدم معانيها.

وهذا الموقف الذي أملته وصية رسول الله ﷺ موقف حكيم، فإن الاستجابة لمطالب الثوار وهم فئة قليلة من الأمة، وليسوا من أهل الحل والعقد، ولا من رجالات الإسلام، وفقهاء الشريعة ستكون لها آثار خطيرة علىٰ مسيرة الأمة، وهيبة الخلافة، وعلاقة الراعي بالرعية، وكان ثمن دفع هذه الآثار السيئة أن دفع الخليفة حياته، وهو يعلم بمصيره ويستسلم له وهو أمر ثقيل علىٰ

(١) خليفة بن خياط، التاريخ (١٧٠).
(٢) ابن سعد، الطبقات (٣/ ٦٦).

النفس، ولكنه قدم مصالح الأمة علىٰ مصلحته الشخصية.

مما يكشف عن قوة وعزيمة وشجاعة، ويرد به علىٰ تلك التهم التي وجهت إليه من ضعف في هذه الصفات.

فإنه ﷺ كان قادرًا -بإذن الله- علىٰ كبح الفتنة، ولكنه قدّر حدوث مفاسد أعظم من مصلحة كبحها، فأعرض عن ذلك درءًا لها؛ وبذلك يعلم خطأ من قال بأن قتل عثمان: «لا يوصف بأكثر من أنه (مشاغبة دهماء) لم تجد من يكبحها»[(١)] فإن في ذلك غمزًا في شخصية وشجاعة عثمان ﷺ، وهي حقًا فتنة دهماء، ولكن عدم كبحها يعد منقبة لعثمان ﷺ لما فيه من تضحية في سبيل الله، رجاء تحصيل مصلحة للأمة، وعملًا بوصية رسول الله ﷺ.

وبينما كان عثمان ﷺ في داره، والقوم أمام الدار يحاصرونها، دخل ذات يوم ذاك المدخل الذي قدمنا أن داخله يسمع كلام من علىٰ البلاط، فإذا هو يسمع توعد المحاصرين له بالقتل، ويبدو أنه لم يكن يتوقع قبل هذا أن الأمر سيبلغ هذا المبلغ.

فخرج من المدخل، ودخل علىٰ من معه في الدار، ولونه منتقع، فقال: «إنهم ليتوعدونني بالقتل آنفًا، فقالوا له: يكفيكهم الله يا أمير المؤمنين، فقال ولم يقتلونني؟! وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا في إحدىٰ ثلاث: رجل كفر بعد إيمانه، أو زنىٰ بعد إحصانه، أو قتل نفسًا بغير نفس**» فوالله ما زنيت في جاهلية ولا في إسلام قط، ولا تمنيت أن لي بديني بدلًا منذ هداني الله، ولا قتلت نفسًا؛ ففيم يقتلونني؟»[(٢)].

ثم أشرف علىٰ المحاصرين، وحاول تهدئة ثورتهم وثنيهم عن خروجهم علىٰ إمامهم، مضمنًا كلامه الرد علىٰ ما عابوه به، وكشف الحقائق التي لبّسها

---

(١) العقاد، ذو النورين عثمان بن عفان (ص١٢٢).

(٢) ابن سعد، الطبقات (٣/ ٦٧).

القوم، عسىٰ أن يفيق المغرر بهم ويعودوا إلىٰ رشدهم.

فطلب من المحاصرين أن يُخرجوا له رجلًا يكلمه، فأخرجوا له شابًا يقال له: صعصعة بن صوحان، فطلب منه عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يبين له ما نقموه عليه(١).

فقال صعصعة: أُخرجنا من ديارنا بغير حق إلا أن قلنا ربنا الله(٢) فقال له عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اتلُ أي: استدل بالقرآن، فقرأ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج:٣٩](٣). فقال عثمان: ليست لك، ولا لأصحابك، ولكنها لي ولأصحابي، وفي رواية أنه قال له: كذبت لستم بأولئك، نحن أولئك، أخرجنا أهل مكة.

فقرأ عثمان الآية التي استدل بها صعصعة وما بعدها مما يفسرها ويبين زيف استدلال صعصعة بها، فتلا: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج:٣٩-٤١](٤).

وبذلك أفهم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الناس الآيات فهمًا صحيحًا كما نزلت مبينًا سبب نزولها، وفيمن نزلت، وعلىٰ ما تدل، لئلا يلبّس عليهم من قرأ القرآن وهو لا يعرف معناه، ويستدل به علىٰ ما يضاد مراده.

وقد قال بهذا الذي قاله عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أئمة التفسير من الصحابة وغيرهم؛

---

(١) ابن أبي شيبة، المصنف (١٥/ ٢٠٣-٢٠٤).

(٢) خليفة بن خياط، التاريخ (١٧١).

(٣) ابن أبي شيبة، المصنف (١٥/ ٢٠٣-٢٠٤).

(٤) السابق.

ابن عباس، ومجاهد والضحاك وغير واحد من السلف، فقالوا: بأنها نزلت في المهاجرين[(١)].

وفي قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[الحج:٤١] يقول عمر بن عبد العزيز: «ألا إنها ليست علىٰ الوالي وحده، ولكنها علىٰ الوالي والمُولّىٰ عليه، ألا أنبئكم بما لكم علىٰ الوالي من ذلكم، وبما للوالي عليكم منه؛ إن لكم علىٰ الوالي من ذلكم أن يأخذكم بحقوق الله عليكم، وأن يأخذ لبعضكم من بعض، وأن يهديكم للتي هي أقوم ما استطاع...»[(٢)].

كما أن نفي عثمان لمن نفاه إنما هو عمل بالآية التي التي استدل بها صعصعة، فإنها تأمر من مكنه الله في الأرض، أن يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، وعثمان خليفة، ونفيهم أمر بالمعروف، ونهي عن المنكر لما قاموا به من تعدٍّ علىٰ بعض المسلمين، وإثارة الفتنة، ولو قتلهم لكان ذلك حقًا وعدلًا منه؛ لأنهم من المفسدين في الأرض الذين جعل الله جزاءهم هو: القتل أو الصلب أو تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف، أو النفي من الأرض، كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾[المائدة:٣٣].

فما استدل عليه صعصعة بالآية بعيد جدًا عن معناها الحقيقي، كما أن إخراجهم ليس بسبب أنهم قالوا: ربنا الله، يقول ابن كثير: «إلا أن يقولوا ربنا الله أي: ما كان لهم إلىٰ قومهم إساءة ولا كان لهم ذنب إلا أنهم وحَّدوا الله وعبدوه لا شريك له»[(٣)].

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٢٦).
(٢) السابق.
(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٢٦).

فهل هذا هو سبب إخراج مشاغبي أهل الكوفة؟! وهل استدلال صعصعة بالآية صحيح، أم أنه استدلال مزيف؟ فقد حرّف المعنىٰ ليوافق هواه.

وصدور هذا الفهم السقيم لكتاب الله الكريم من متكلم القوم دليل قوي علىٰ أن القوم إما مثله، أو دونه في فهم كلام الله؛ فهل يصلح هؤلاء لمعاتبة ومناظرة ثالث المسلمين منزلة وفضلًا؟، ومن هاجر الهجرتين وعاصر نزول القرآن آية آية!

ولذا: فإن عثمان رضي الله عنه بعد أن رد علىٰ هؤلاء، ذكّر الناس بمكانته، وبمكانة المحاصرين في الإسلام، وببعض فضائله مناشدًا بالله من يعلمها أو سمعها من رسول الله ﷺ ليبينها للناس.

ومن جملة مناشدته لهم؛ ناشدهم بالإقرار بشهادة رسول الله ﷺ له بالشهادة وذلك في قوله ﷺ: «**اسكن حراء ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**»، وأنه كان معه إذ ذاك[(١)].

ومعلوم أن عثمان ليس بنبي، وأن الصديق هو أبوبكر، لاشتهاره بهذه الصفة، فلم يبق لعثمان ومن معه من الصحابة رضي الله عنهم إلا الصفة الثالثة وهي: (الشهادة)، وقد ذكَّر عثمان الناس بذلك، وعلَّم الجاهل منهم، ليتيقنوا أنه سيستشهد وأن قتله شهادة؛ فعسىٰ أن يُنجي القوم أنفسهم من قتله، وليبين للناس ضلال من اتهمه بالتبديل؛ وليؤكد لهم أيضًا عصمة دمه، وشهادة رسول الله ﷺ له بحسن الخاتمة، فيفهموا أن ما ألصقوه به من معايب لا تبيح قتله؛ لأنه علىٰ أقل الأحوال لا يخرج عن كونه مسلمًا معصوم الدم.

وردًا علىٰ ما عابوه به من تخلف عن بيعة الرضوان، ذكّرهم وناشدهم ببعث رسول الله ﷺ إياه إذ ذاك إلىٰ المشركين من أهل مكة، ولما كانت البيعة قال: هذه يد عثمان فبايع له، فانتشد له رجال[(٢)].

---

(١) أحمد، المسند (١/ ٣٤٠-٣٤١).

(٢) أحمد، المسند (١/ ٣٤٠-٣٤١).

فعدم حضوره جسديًا للبيعة لا يعني فوات فضلها منه، كما أن عدم حضورها جسديًا ليس بمذمة تلصق به، بل دليل علىٰ فضله ومكانته من رسول الله ﷺ حيث انتدبه لهذه المهمة العظيمة.

ولمنع القوم له من الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ ذكّرهم وناشدهم بما كان منه من توسعة للمسجد يوم قال رسول الله ﷺ: «**من يوسع لنا هذا البيت في المسجد** -يشير إلىٰ بيت جانب المسجد- **ببيت له في الجنة**» وأنه ابتاعه من ماله فوسع به المسجد[(١)].

فمنعهم له من الصلاة في هذا المسجد ظلمٌ ظاهر، فإنه مسلم له حق في المسجد كباقي المسلمين، وله زيادة أحقية فيه، لمساهمته الكبيرة في بنائه.

وفي وعد رسول الله ﷺ له ببيت في الجنة دليل ظاهر علىٰ حسن خاتمته، فلعل القوم يعون هذه الشهادة من رسول الله ﷺ له ببيت في الجنة، فيعصمون دمه، ولعلهم يدركون أن ما كان يهبه عثمان رضي الله عنه لأهل قربته لم يكن من بيت مال المسلمين، بل هو من ماله الخاص، الذي كان به جوادًا سخيًا قبل أن يلي بيت مال المسلمين.

ولم تكن النفقة في سبيل الله هي اليتيمة من نوعها، بل أنفق ما يفوقها كثرة، ولتذكيرهم بذلك ناشدهم بما كان من تجهيزه لجيش العسرة بكامله استجابة لقول رسول الله ﷺ: «**من ينفق اليوم نفقة متقبلة**»[(٢)].

وبشرائه بئر رومة التي كان ماؤها يباع من ابن السبيل، فابتاعها من ماله وأباحها لابن السبيل.

ففي منعهم الماء عنه جزاء بعكس ما أكرم هو به المسلمين، فذكَّرهم رضي الله عنه بما كان منه من التوسيع عليهم بوهبه إياهم بئر رومة، فتمتع رسول الله ﷺ

---

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٣٤٢-٣٤٣).

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٣٣٩-٣٤٠).

وأهل بيته وسكان مدينته بهذا الماء العذب الزلال، وهم يمنعونه من الماء، ويضطرونه إلىٰ الشرب من بئر نتنة في بيته يرمي بها النتن والأوساخ[١].

فلما رأىٰ إصرارًا منهم علىٰ العزم علىٰ قتله، حذرهم من ذلك ومن مغبته، فاطلع عليهم من كَوٍّ[٢] وقال لهم: أيها الناس، لا تقتلوني واستعتبوني، فوالله لئن قتلتموني لا تقاتلون جميعًا أبدًا، ولا تجاهدون عدوًا أبدًا، لتختلفن حتىٰ تصيروا هكذا؛ وشبك بين أصابعه[٣].

وفي رواية أنه قال: أيها الناس لا تقتلوني فإني والٍ وأخٌ مسلم، فوالله إن أردت إلا الإصلاح ما استطعت، أصبت أو أخطأت، وإنكم إن تقتلوني لا تصلوا جميعًا أبدًا، ولا تغزوا جميعًا أبدًا، ولا يقسم فيئكم بينكم[٤].

وقال أيضًا: «فوالله لئن قتلوني لا يحابون بعدي أبدًا، ولا يقاتلون بعدي جميعًا عدوًا أبدًا»[٥].

وقد تحقق ما حذرهم منه، فبعد قتله وقع كل ما قاله رضي الله عنه، وفي ذلك يقول الحسن البصري: «فوالله إن صلىٰ القوم جميعًا إن قلوبهم لمختلفة»[٦].

كما حذرهم عبد الله بن سلام رضي الله عنه من قتله. ثم أرسل عثمان إلىٰ الصحابة رضي الله عنهم يشاورهم في أمر المحاصرين وتوعدهم إياه بالقتل، فأرسل إلىٰ ابن سلام رضي الله عنه يشاوره في الأمر.

- دفاع الصحابة عنه، ورفضه لذلك:

فلما رأىٰ عثمان رضي الله عنه أن تلك المحاولات السلمية لم تفد فيهم، واشتد

---

(١) الخطيب البغدادي، تلخيص المتشابه (١/ ٩٦).

(٢) الكَوُّ هو: الخرق في الحائط، والثقب في البيت ونحوه.

(٣) ابن أبي شيبة، المصنف (١٥/ ٢٠٣).

(٤) ابن سعد الطبقات (٣/ ٦٧-٦٨).

(٥) ابن سعد، الطبقات (٣/ ٧١).

(٦) خليفة بن خياط، التاريخ (١٧١)، وابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٣٥١).

حصارهم له، شاور عبد الله بن سلام رضي الله عنه في هذا الأمر، فأشار عليه بأن يكف عن قتالهم، ليكون ذلك أبلغ له في الحجة عند الله، فقد قال له: «الكف، الكف، فإنه أبلغ لك في الحجة»[(١)] وأرسل إلىٰ عليّ رضي الله عنه يدعوه، فانطلق علي متجهًا إلىٰ الدار ومعه بعض أهله، فلما وصلوا الدار، وكانت محاطة بالمحاصرين، فعزم علىٰ اقتحامهم، والدخول علىٰ عثمان، فتعلق به بعض أهله، وحالوا بينه وبين دخول الدار خوفًا عليه من المحاصرين أن يؤذوه، فحسر عن رأسه عمامة سوداء كان يرتديها، ورمىٰ بها إلىٰ رسول عثمان[(٢)].

وعمل عثمان رضي الله عنه بمشورة ابن سلام، فاتخذ موقفًا سلميًا يقتضي عدم الدخول مع القوم في قتال مهما بلغ الأمر.

ولما رأىٰ الصحابة رضوان الله عليهم قبح جرأة المحاصرين، وخشوا علىٰ عثمان رضي الله عنه منهم، جاء جمع منهم فعرضوا عليه الدفاع عنه فرفض، ثم جاءوه مرة ثانية وأكدوا علىٰ عزمهم علىٰ الدفاع عنه فرفض بشدة، فلما رأوا أن الأمر سيبلغ مبلغًا خطيرًا، استعدوا للقتال دفاعًا عنه، ودخل بعضهم الدار، ولكن عثمان رضي الله عنه عزم عليهم بشدة، وشدد عليهم في الكف عن القتال دفاعًا عنه مما حال بين رغبتهم الصادقة في الدفاع عنه وبين تحقيقها.

ويلاحظ من خلال الروايات الصحيحة أن رفض عثمان رضي الله عنه الدفاع عنه يشتد كلما أظهر أصحابه قوة عزمهم في الدفاع عنه، بل لما رأىٰ إصرارًا من بعضهم، وعظهم وذكّرهم بالله، وناشدهم بما له عليهم من طاعة، مما يبين قوة عزمه علىٰ الكف عن القتال، وعدم تردده في ذلك. وفيما يلي تفصيل لعروض الصحابة علىٰ عثمان رضي الله عنهم الدفاع عنه، وموقفه من هذه العروض:

---

(١) ابن أبي شيبة، المصنف (١٥/ ٢٠٣)، وابن سعد، الطبقات (٣/ ٧١).

(٢) ابن أبي شيبة، المصنف (١٥/ ٢٠٩).

فقد جاءه حارثة بن النعمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أثناء الحصار فقال له: إن شئت أن نقاتل دونك[١].

وجاءه المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأبدىٰ له استعداد كثير من الناس للقتال دونه، واقترح عليه مقاتلتهم بمن معه من العدد والقوة، وذلك في قوله: إن معك عددًا وقوة، وأنت علىٰ الحق، وهم علىٰ الباطل، فقال له عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لن أكون أول من خلف رسول الله ﷺ في أمته بسفك الدماء»[٢].

وقال له عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «قاتلهم فوالله لقد أحل الله لك قتالهم، فقال عثمان: لا والله لا أقاتلهم أبدًا»[٣].

وفي رواية: يا أمير المؤمنين، إنّا معك في الدار عصابة مستبصرة، ينصر الله بأقل منهم، فأذن لنا، فقال عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنشد الله رجلًا أهراق فيَّ دمه[٤].

ثم أمَّره علىٰ الدار، وقال: من كانت لي عليه طاعة، فليطع عبد الله ابن الزبير[٥] ولم تكشف لنا الروايات ما تضمنته هذه الإمارة من صلاحيات، كما أنه لم ينقل لنا أن ابن الزبير أصدر أمرًا بعد تأمير عثمان له علىٰ الدار، ولعل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما رأىٰ موافقة وطاعة ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في عدم القتال، كلفه بنقل هذا الأمر إلىٰ غيره، ولذلك أمر بطاعته.

ولما اشتد الأمر لم يكتف الصحابة بالعرض الأول، والاعتذار برفضه للقتال.

بل حث كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الأنصار علىٰ نصرة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال لهم: يا معشر الأنصار كونوا أنصار الله مرتين، فجاءت الأنصار عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ووقفوا ببابه.

---

(١) البخاري، التاريخ الصغير (١/ ١٠١).
(٢) أحمد، المسند (١/ ٣٦٩)، والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد (١٤/ ٢٧٢).
(٣) ابن سعد، الطبقات (٣/ ٧٠).
(٤) ابن سعد، الطبقات (٣/ ٧٠).
(٥) ابن سعد، الطبقات (٣/ ٧٠).

ودخل عليه زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال له: هؤلاء الأنصار بالباب: إن شئت كنا أنصار الله مرتين[١] فرفض القتال وقال: لا حاجة لي في ذلك كفوا.

وفي رواية أنهم قالوا له: يا أمير المؤمنين ننصر الله مرتين، نصرنا رسول الله ○ وننصرك، فرفض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وجاء الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وقال له: «أخترط سيفي؟ قال له: لا، أبرأ الله إذًا من دمك، ولكن ثم سيفك، وارجع إلىٰ أبيك»[٢].

وبينما كان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يجلس علىٰ كرسي -في الدار- وعنده الحسن بن علي، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وبين يديه مراكن مملوءة ماء ورياط مضرجة، إذا برسول الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدخل عليه، ويقرئه السلام من الزبير، ويقول له: إن الزبير يقول لك: إني علىٰ طاعتي لم أبدل، ولم أنكث، فإن شئت دخلت الدار معك، وكنت رجلًا من القوم، وإن شئت أقمت، فإنَّ بني عمرو بن عوف، وعدوني أن يصبحوا علىٰ بابي ثم يمضون علىٰ ما آمرهم به.

فلما سمع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الرسالة؛ كبر الله وحمده، وطلب من الرسول أن يقرئه السلام ويقول له: إن يدخل الدار لا يكون إلا رجلًا من القوم، وإن مكانه أحب إليّ، وعسىٰ الله أن يدفع بك عني[٣].

فهاتان طريقتان لعرض الصحابة علىٰ عثمان المناصرة في قتال المحاصرين رفضهما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بشدة مع شدة حاجته إلىٰ النصرة.

ولما رأىٰ الصحابة أن الأمر استفحل، وأن السيل بلغ الزبىٰ عزم بعضهم علىٰ الدفاع عنه دون استشارته، فدخل بعضهم الدار مستعدًا للقتال، فقد كان

---

(١) خليفة بن خياط، التاريخ (١٧٣).

(٢) ابن أبي شيبة، المصنف (١٥/ ٢٢٤).

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٣٧٤).

ابن عمر معه في الدار[١] متقلدًا سيفه لابسًا درعه ليقاتل دفاعًا عن عثمان رضي الله عنه، ولكن عثمان عزم عليه أن يخرج من الدار خشية أن يتقاتل مع القوم عند دخولهم عليه فيقتل[٢] كما لبسه مرة أخرىٰ أيضًا[٣].

وتقلد أبو هريرة رضي الله عنه سيفه، ودخل الدار علىٰ عثمان رضي الله عنه يقول: يا أمير المؤمنين طاب أمضرب فقال له: يا أبا هريرة أَيَسُرُّك أن تقتل الناس جميعًا وإياي؟ قال: لا، قال: فإنك والله إن قتلت رجلًا واحدًا فكأنما قُتِل الناس جميعًا، فرجع ولم يقاتل[٤] وفي رواية: أن أبا هريرة كان متقلدًا سيفه حتىٰ نهاه عثمان[٥].

وبعد رد عثمان علىٰ رسالة الزبير، قام أبو هريرة رضي الله عنه فقال: ألا أخبركم ما سمعت أذناي من رسول الله ﷺ ؟! قالوا: بلىٰ، قال: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: تكون بعدي فتن وأمور، فقلنا: فأين المنجىٰ منها يا رسول الله؟ قال: إلىٰ الأمين وحزبه؛ وأشار إلىٰ عثمان بن عفان.

فقام الناس فقالوا: قد أمكنتنا البصائر فأذن لنا في الجهاد، فقال عثمان رضي الله عنه: أعزم علىٰ من كانت لي عليه طاعة ألا يقاتل[٦].

وانطلق الحسن، والحسين، وابن عمر، وابن الزبير، ومروان كلهم شاكي السلاح حتىٰ دخلوا الدار.

فقال عثمان: أعزم عليكم لما رجعتم، فوضعتم أسلحتكم ولزمتم بيوتكم[٧]

---

(١) خليفة بن خياط، التاريخ (١٧٣).
(٢) خليفة بن خياط، التاريخ (١٧٣).
(٣) خليفة بن خياط، التاريخ (١٧٣).
(٤) ابن سعد، الطبقات (٣/ ٧٠).
(٥) خليفة بن خياط، التاريخ (١٧٣).
(٦) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٣٧٤).
(٧) خليفة بن خياط، التاريخ (١٧٤).

وقطع كل فرصة عليهم بقوله: أعزم علىٰ كل من رأىٰ أن عليه سمعًا وطاعة إلا كف يده وسلاحه[١] فإن أفضلكم عندي غناء من كف يده وسلاحه فرضي الله عنه وأرضاه.

وجاءت أم المؤمنين صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا علىٰ بغلة يقودها مولاها كنانة، لترد عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلقيها الأشتر، فضرب وجه بغلتها حتىٰ مالت، فقالت: ردوني، ولا يفضحني هذا الكلب[٢].

يقول سليط بن سليط: نهانا عثمان عن قتالهم، ولو أذن لنا لضربناهم حتىٰ نخرجهم من أقطارها[٣].

ويقول ابن أبي مليكة: كان مع عثمان في الدار عصابة مستبصرة، منهم عبد الله بن الزبير[٤].

ويقول ابن سيرين: كان مع عثمان في الدار سبعمائة، لو يدعهم لضربوهم - إن شاء الله- حتىٰ يخرجوهم من أقطارها؛ منهم ابن عمر، والحسن بن عليّ، وعبد الله بن الزبير[٥].

ويقول أيضًا: لقد قتل عثمان -يوم قتل- وإن الدار لغاصة، منهم ابن عمر، وفيهم الحسن بن عليّ في عنقه السيف، ولكن عثمان عزم عليهم ألا يقاتلوا[٦].

ويقول الحسن البصري: لو أرادوا أن يمنعوه بأرديتهم لمنعوه[٧].

ولكنهم تركوا الاحتكاك مع القوم استجابة لأمر الخليفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أمرهم

---

(١) خليفة بن خياط، التاريخ (١٧٣).
(٢) البخاري، التاريخ الصغير (٧/ ٢٢٧).
(٣) خليفة بن خياط، التاريخ (١٧٣).
(٤) ابن سعد، الطبقات (٣/ ٧٠).
(٥) ابن سعد، الطبقات (٣/ ٧١).
(٦) رواه ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٣٩٥).
(٧) ابن أبي شيبة، المصنف (١٥/ ٢٢٧).

بكف أيديهم -كما تقدم-.

وبذلك يظهر زيف الاتهام الذي اتهم به الصحابة رضي الله عنهم من المهاجرين والأنصار من أنهم تخاذلوا عن نصرة عثمان رضي الله عنه.

وكل ما روي في ذلك، فإنه لا يسلم من علة إن لم تكن عللًا قادحة في الإسناد والمتن معًا.

ولما رأىٰ بعض الصحابة إصرار عثمان رضي الله عنه علىٰ رفض قتال المحاصرين، وأن المحاصرين مصرون علىٰ قتله، لم يجدوا حيلة لحمايته سوىٰ أن يعرضوا عليه مساعدته في الخروج إلىٰ مكة هربًا من المحاصرين.

فقد رُوي أن عبد الله بن الزبير(١) والمغيرة بن شعبة(٢) وأسامة ابن زيد(٣) عرضوا عليه ذلك، وكان عرضهم متفرقًا، فقد عرض كل واحد منهم عليه ذلك علىٰ حدة، وعثمان رضي الله عنه يرفض كل هذه العروض.

والثابت من ذلك؛ أنه عرض عليه ذلك فرفضه، دون تحديد للأسماء.

وترىٰ ما السبب الذي دعا عثمان رضي الله عنه إلىٰ اتخاذ ذلك الموقف رغم حاجته إلىٰ النصرة وقتال المحاصرين؟!.

إذا عرضنا هذا التساؤل علىٰ روايات الفتنة، تطالعنا أسباب خمسة هي:

الأول: العمل بوصية رسول الله ﷺ التي سارّه بها، وبيَّنها عثمان رضي الله عنه يوم الدار، وأنها عَهْدٌ عُهِدَ به إليه وأنه صابر نفسه عليه.

الثاني: ما جاء في قوله: «لن أكون أول من خلف رسول الله ﷺ في أمته بسفك الدماء»، أي كره أن يكون أول من خلف رسول الله ﷺ في أمته بسفك دماء المسلمين وقتال بعضهم بعضًا(٤).

---

(١) أحمد، المسند (١/ ٣٦٠-٣٦١).

(٢) أحمد، المسند (١/ ٣٦٩).

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٤١١-٤١٢).

(٤) رواه أحمد، المسند (١/ ١٩٦).

الثالث: علمه بأن البغاة لا يريدون غيره، فكره أن يتوقىٰ بالمؤمنين، وأحب أن يقيهم بنفسه.

الرابع: علمه بأن هذه الفتنة ستنتهي بقتله، وذلك فيما أخبره به رسول الله ﷺ عند تبشيره إياه بالجنة علىٰ بلوىٰ تصيبه، وأنه سيقتل مصطبراً بالحق معطيه في فتنة والدلالات تدل علىٰ أن أوانها قد حان، وأكد ذلك تلك الرؤيا التي رآها ليلة قتله، فقد رأىٰ رسول الله ﷺ ، وقال له: أفطر عندنا القابلة، ففهم رضي الله عنه أن موعد الاستشهاد قد قرب.

الخامس: العمل بمشورة ابن سلام رضي الله عنه له إذ قال له: «الكف، الكف، فإنه أبلغ لك في الحجة».

وتحقق إخبار النبي ﷺ ، بأن عثمان رضي الله عنه يتولىٰ الخلافة ثم يقتل وهو مصطبر بالحق معطيا القتل.

وذلك فيما رواه عبد الله بن حوالة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من نجا من ثلاث فقد نجا** -ثلاث مرات-: **موتي، والدجال، وقتل خليفة مصطبر بالحق معطيه**»[(١)].

ومن مواقف عثمان رضي الله عنه ومن الدار يتبين هدوء عثمان رضي الله عنه في التفكير، وأن شدة البلوىٰ لم تحل بينه وبين التفكير الصحيح، وإبداء الرأي السليم، فقد تضافرت الأسباب لتحديد هذا الموقف المسالم من قتال الخارجين عليه.

ولا شك أنه رضي الله عنه كان علىٰ الحق في مواقفه التي اتخذها، لما صح عن النبي ﷺ أنه أشار إلىٰ وقوع هذه الفتنة، وشهد لعثمان، وأصحابه أنهم علىٰ الحق فيها.

وأما ماروي من أنه أخذ الحربة فنودي من السماء: أن مهلًا يا عثمان، فرمىٰ بها، فإنه ضعيف الإسناد لا يحتج به.

---

(١) رواه أحمد، المسند (٤/ ١٠٥، ١٠٩ -١١٠، ٥/ ٣٣، ٢٨٨).

- القتال يوم الدار:

ورغم هذه المحاولات منه رضي الله عنه لصد المدافعين عنه عن قتال المحاصرين له، فإن بعض الروايات تشير إلىٰ أنه قد حدث احتكاك، واشتباك خفيف أدىٰ إلىٰ حمل الحسن بن علي رضي الله عنهما جريحًا من الدار يوم الدار[١].

وتفصل روايات ضعيفة[٢] وأخرىٰ ضعيفة جدًا[٣] في ذلك، وتذهب إلىٰ أنه قد وقع قتال عنيف، ولكن لا يحتج بها لضعف أسانيدها.

وفي رواية صحيحة، أنه أخرج من الدار يوم قتل عثمان رضي الله عنه أربعة من شبان قريش ملطخين بالدم محمولين، كانوا يدرؤون عن عثمان رضي الله عنه، وهم: الحسن بن علي، وعبد الله بن الزبير، ومحمد بن حاطب، ومروان بن الحكم[٤].

■ آخر أيام الحصار وفيه الرؤيا:

وفي آخر يوم من أيام الحصار-وهو اليوم الذي قتل فيه- نام رضي الله عنه[٥] فأصبح يحدث الناس[٦] يقول: ليقتلني القوم[٧].

ثم قال: رأيت النبي ﷺ في المنام[٨] ومعه أبوبكر وعمر[٩] فقال النبي ﷺ: «**يا عثمان أفطر عندنا**»[١٠] فأصبح صائمًا[١١] وقتل من يومه[١٢].

---

(١) البخاري، التاريخ الصغير (٧/ ٢٣٧).
(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٣٨١).
(٣) جاء ذلك في رواية للواقدي، رواها عنه الطبري، تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٣٧٩-٣٨٠).
(٤) ابن عبد البر، الاستيعاب (مع الإصابة ٣/ ٧٨).
(٥) الخطيب البغدادي، تلخيص المتشابه (١/ ٩٦).
(٦) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٣٩٠)، والبزار، كشف الأستار (٣/ ١٨١).
(٧) البزار، البحر الزخار (٢/ ٦٩-٧٠).
(٨) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٣٩٠)، والبزار، كشف الأستار (٣/ ١٨١).
(٩) ابن الأثير، أسد الغابة (٣/ ٤٩٠).
(١٠) ابن سعد، الطبقات (٣/ ٧٥).
(١١) ابن سعد، الطبقات (٣/ ٧٥).
(١٢) ابن سعد، الطبقات (٣/ ٧٥).

ورؤيا النبي ﷺ في المنام حق، فإن الشيطان لا يتمثل في صورته، كما ثبت في الصحيح عنه أنه قال: «**من رآني فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي**»[(١)].

وقال أيضًا: «**وإن الشيطان لا يتراءىٰ بي**»[(٢)]، وقال: «**من رآني فقد رأىٰ الحق**[(٣)] **فإن الشيطان لا يتكونني**»[(٤)]، وقال: «**من رآني في النوم فقد رآني، فإنه لا ينبغي للشيطان أن يتشبه بي**»[(٥)].

والصورة التي لا يستطيع الشيطان التمثل ولا التكون بها، إنما هي صورة النبي ﷺ الحقيقية التي كان عليها في حياته[(٦)].

فمن يرىٰ شخصًا في المنام، علىٰ أنه رسول الله ﷺ، فعليه أن يطابق الصورة المرئية مع صورة الرسول ﷺ الحقيقية، إن كان رآها، وإلا فعلىٰ ما ورد في الصحيح من وصفه ﷺ[(٧)].

لذلك يقول ابن سيرين: «إذا رآه في صورته»[(٨)].

ولما قال كليب لعبد الله بن عباس: رأيت النبي ﷺ في المنام، قال له: صفه لي، فوصفه له وذكر أنه يشبه الحسن بن علي، قال له: قد رأيته[(٩)].

وكان ابن سيرين إذا قص عليه رجل أنه رأىٰ النبي ﷺ: قال: صف لي

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، فتح الباري (١٢/ ٣٨٣) من حديث أنس رضي الله عنه، ومسلم في صحيحه (شرح النووي ١٥/ ٢٤)؛ من حديث أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، فتح الباري (١٢/ ٣٨٣) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، فتح الباري (١٢/ ٣٨٣) ومسلم في صحيحه (شرح النووي ١٥/ ٢٦) من حديث أبي قتادة وأبي سعيد رضي الله عنهما.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، فتح الباري (١٢/ ٣٨٣)؛ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (شرح النووي ١٥/ ٢٦)؛ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٦) ابن حجر، فتح الباري (١٢/ ٣٨٦).

(٧) انظر: شرح مسلم للنووي (١٥/ ٢٥)، وفتح الباري، لابن حجر (١٢/ ٣٨٤).

(٨) علقه البخاري في صحيحه (فتح الباري ١٢/ ٣٨٣).

(٩) ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٢/ ٣٨٤).

الذي رأيته، فإن وصف له صفة لا يعرفها قال: لم تره[١].

وقيد الرؤيا الحقيقية علىٰ هذا النحو: القاضي أبوبكر بن العربي، فهو يرىٰ أن ذلك لمن رآه علىٰ صورته المعروفة، وأما إذا رآه علىٰ خلاف صفته فإن رؤياه أمثال[٢].

ويقول المازري في اشتراط تطابق صورة المرئي مع صورة النبي ﷺ المعروفة: «وعلىٰ ذلك جرىٰ علماء التعبير، فقالوا: إذا قال الجاهل رأيت النبي ﷺ ؛ فإنه يسأل عن صفته، فإن وافق الصفة المروية وإلا فلا يقبل منه»[٣].

فإذا تحقق الرائي من أن المرئي هو الرسول ﷺ بأن تطابقت الصورة التي رآها في المنام مع الصورة المعروفة للرسول ﷺ ، فإن المرئي هو الرسول ﷺ ولكن هذه الرؤيا الحقيقية ليست كالرؤية المباشرة، فإن الثانية تثبت الصحبة للرائي، كما ينبني عليها أمور أخرىٰ منها:

أ – أن يكون الوحي لم ينقطع، وهذا مخالف للواقع.

ب – ومنها أن يلزم الرائي ومن سمع رؤياه العمل بما يقتضيه قول النبي ﷺ في الرؤيا، لأن الرسول ﷺ يَروي ويُخبر ويَحكي عن ربه، فهذا الرائي يذكر ما يذكره عن ربه ويحكي ما يحكيه عن ربه.

أما الأولىٰ فلا تثبت الصحبة للرائي، كما لا يتعلق بها ما تقدم ذكره في الرؤية المباشرة والسماع المباشر.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «من قال: ما رآه في المنام حقًا فقد أخطأ، ومن قال إن رؤيته في اليقظة بلا واسطة، كالرؤية بالواسطة المقيدة بالنوم فقد أخطأ، ولهذا يكون لهذه تأويل وتعبير دون تلك، وكذلك ما سمعه منه من

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٢/ ٣٨٤).
(٢) ابن حجر، فتح الباري (١٢/ ٣٨٤).
(٣) المصدر السابق (١٢/ ٣٨٧).

الكلام في المنام، هو سماع منه في المنام، وليس هذا كالسماع في اليقظة»[(١)].

والرؤيا الحقيقية في اليقظة «تكون مطلقة وتكون مقيدة بواسطة المرآة والماء أو غير ذلك، حتىٰ إن المرئي يختلف باختلاف المرآة، فإذا كانت كبيرة مستديرة، رئي كذلك، وإن كانت صغيرة أو مستطيلة رُئي كذلك»[(٢)].

والفرق بين كون الرؤيا حقيقية أو غير حقيقية، هو احترازها عن حديث النفس وتحزين الشيطان، فإن الرؤيا ثلاثة أقسام:

أ- رؤيا بشرىٰ من الله.

ب- ورؤيا تحزين من الشيطان.

ج- ورؤيا مما يحدث به المرء نفسه في اليقظة فيراه في المنام، وقد ثبت هذا في الصحيحين عن النبي ﷺ[(٣)].

ومما تقدم يتبين أن رؤيا الصحابة للنبي ﷺ في المنام، رؤيا صحيحة حقة، لأنهم يعرفون صورته الحقيقية التي لا يستطيع الشيطان تقمصها أو التمثل بها، بعكس من لا يعرف صورته الحقيقية فإن الشيطان قد يلبس عليه، فيتصور بصورة غير النبي ﷺ ويوهم الرائي أنه النبي ﷺ.

أما أقواله ﷺ التي يسمعها الرائي في منامه، فتعرض علىٰ سنته فما وافقها فهو حق، وما خالفها فالخلل في سمع الرائي، فرؤيا النبي ﷺ حق، والخلل إنما وقع في سمع الرائي أو بصره[(٤)].

فتبين من ذلك أن عثمان رضي الله عنه قد رأىٰ النبي ﷺ في المنام فعلًا، وليس تمثلًا من الشيطان بصورته؛ لأن عثمان رضي الله عنه يعرف صورة النبي ﷺ التي لا يستطيع الشيطان التمثل بها.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٢/ ٢٧٩).

(٢) المصدر السابق (١٢/ ٢٧٩).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١٢/ ٢٧٨).

(٤) ابن حجر، فتح الباري (١٢/ ٣٨٧).

كما أن في هذه الرؤيا بشارة ثانية من النبي ﷺ لعثمان بالجنة وأنه معه فيها.

وفيها أيضًا دليل علىٰ أن عثمان رضي الله عنه لم يغير ولم يبدل، بل ثبت واستقام حتىٰ أتاه اليقين، لا كما يزعم أعداؤه المبطلون.

■ **صفة قتله رضي الله عنه:**

استمر الحصار إلىٰ صبيحة يوم الجمعة؛ الموافق للثاني عشر من شهر ذي الحجة من السنة الخامسة والثلاثين بعد الهجرة.

وفي هذا الوقت كان عثمان بن عفان رضي الله عنه يجلس في داره ومعه عدد كبير جدًا من الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم، يريدون الدفاع عنه وحمايته من اعتداء المحاصرين[(١)] منهم: الحسن بن علي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عامر بن ربيعة رضي الله عنهم ومحمد بن حاطب، ومروان بن الحكم، وكثير بن الصلت، ونائلة بنت الفرافصة، كنانة مولىٰ صفية رضي الله عنها ورجال من بني عدي بن سراقة وابن مطيع.

وكان عثمان رضي الله عنه يأمرهم بالخروج، وينهاهم عن الدفاع عنه، وهم مصرون علىٰ ذلك.

وأخيرًا استطاع أن يقنعهم، فخرجوا من الدار، وخُلِّي بينه، وبين المحاصرين[(٢)] فلم يبق في الدار إلا عثمان وآله، وليس بينه وبين المحاصرين مدافع، ولا حامٍ من الناس، وفتح رضي الله عنه باب الدار[(٣)].

فترىٰ هل سيهاب القوم من خليفتهم فيحجموا عن إيذائه، فتزول كل الأحقاد لهول الموقف، أو أنهم أناس صادقون في غيرتهم ضالون عن جادة الحق يرون أن قتله واجب ديني؟ فسيقتلونه محسنين قتلته، لنترك بيان ذلك إلىٰ

---

(١) خليفة بن خياط، التاريخ (١٧٣).

(٢) ابن سعد، الطبقات (٣/ ٧٠).

(٣) ابن سعد، الطبقات (٣/ ٧٠-٧٥).

الروايات الصحيحة التي ستكشف لنا عن حقيقة القوم، وعن صفة دخولهم عليه وما فعلوه به.

لتحكي لنا أحداث تلك الساعة الحاسمة التي لم يمح ذكرها عبر العصور التي مضت منذ حدوثها إلىٰ يومنا هذا، أي منذ ما يقارب الأربعة عشر قرنًا.

بعد أن خرج من في الدار ممن كان يريد الدفاع عنه، نشر رضي الله عنه المصحف بين يديه، وأخذ يقرأ منه[١].

وكان إذ ذاك صائمًا[٢] فإذا برجل من المحاصرين -لم تسمه الروايات- يدخل عليه، فلما رآه عثمان رضي الله عنه قال له: «بيني وبينك كتاب الله»[٣] فخرج الرجل، وتركه[٤] وما إن ولّىٰ حتىٰ دخل آخر، وهو رجل من بني سدوس، يقال له: الموت الأسود؛ فخنقه وخنقه قبل أن يضرب بالسيف، فقال: «والله ما رأيت شيئًا ألين من خنّاقه، لقد رأيت خنقته حتىٰ رأيت نفسه مثل الجان تردد في جسده»[٥].

ثم أهوىٰ إليه بالسيف، فاتقاه عثمان رضي الله عنه بيده، فقطعها، وشك الراوي أبانها أو لم يبنها.

فقال عثمان: أما والله إنها لأول كف خطت المفصَّل[٦] وذلك أنه كان من كتبة الوحي، وهو أول من كتب المصحف من إملاء من رسول الله ﷺ فقُتل رضي الله عنه والمصحف بين يديه[٧].

---

(١) ابن سعد، الطبقات (٣/ ٧٠-٧٥).

(٢) البزار، كشف الأستار (٣/ ١٨١).

(٣) خليفة بن خياط، التاريخ (١٧٤)، والطبري، تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٣٨٣-٣٨٤).

(٤) خليفة بن خياط، التاريخ (١٧٤).

(٥) خليفة بن خياط، التاريخ (١٧٤-١٧٥).

(٦) خليفة بن خياط، التاريخ (١٧٤)، والطبري، تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٣٨٣-٣٨٤).

(٧) مسند أحمد (١/ ٣٨٨-٣٨٩)، ابن الأثير، أسد الغابة (٣/ ٤٩٠)، وابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٣٩٣).

وعلىٰ أثر قطع اليد، انتضح الدم علىٰ المصحف الذي كان بين يديه يقرأ منه، وسقط علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة:١٣٧] [(١)].

وفي رواية: إن أول من ضربه رجل يسمىٰ رومان اليماني، ضربه بصولجان [(٢)] ولما دخلوا عليه ليقتلوه أنشد قائلًا:

أرى الموت لا يبقي عزيزًا ولم يدع لعـاد مـلاذًا فـي الـبلاد ومرتقـى

وقال أيضًا:

يبيت أهل الحصن والحصن مغلق ويأتي الجبال في شماريخها [(٣)] العلى

ولما أحاطوا به قالت امرأته نائلة بنت الفرافصة: «إن تقتلوه أو تدعوه فقد كان يحيي الليل بركعة يجمع فيها القرآن» [(٤)].

ولما فرغ قاتله -الرجل الأسود- من قتله رفع يده أو بسطها في الدار وهو يقول: «أنا قاتل نعثل» [(٥)].

وكانت قتلته وحشية، حتىٰ إن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان كلما ذكر ما صُنع بعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بكىٰ حتىٰ ينتحب يقول: هاه هاه [(٦)].

وفي ذلك يقول سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو أن أحدًا ارفضّ [(٧)] للذي صنعتم بعثمان لكان محقوقًا أن يرفضّ [(٨)].

---

(١) خليفة بن خياط، التاريخ (١٧٥)، وابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٤٢٠).

(٢) خليفة بن خياط، التاريخ (١٧٥).

(٣) أي: رؤوسها.

(٤) ابن سعد، الطبقات (٣/ ٧٦)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٥٧).

(٥) علي بن الجعد، المسند (٢/ ٩٥٨-٩٥٩)، وابن سعد، الطبقات (٣/ ٨٣-٨٤)، وابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٤١٧-٤١٨).

(٦) ابن سعد، الطبقات (٣/ ٨١)، وسعيد بن منصور، السنن (٢/ ٣٣٥).

(٧) ارفض: أي زال من مكانه، فتح الباري (٧/ ١٧٦).

(٨) البخاري، الجامع الصحيح (فتح الباري: ٧/ ١٧٦، ١٧٨، ١٢/ ٣١٥)، وابن سعد، الطبقات (٣/ ٧٩).

■ **تاريخ قتله:**

إن في تحديد السنة التي قتل فيها عثمان رضي الله عنه شبه إجماع من المؤرخين، فلم يقع خلاف في أنه كان في السنة الخامسة بعد الثلاثين من الهجرة، إلا ما رُوي عن مصعب بن عبد الله: أنه كان في السنة السادسة والثلاثين[١] وهو قول شاذ مخالف للإجماع.

فممن قال بالقول الأول جمع غفير منهم:

عبد الله بن عمرو بن عثمان ت ٩٦، وعامر بن شراحيل الشعبي ت بعد المائة من الهجرة، ونافع مولىٰ ابن عمر ت ١١٧، وقتادة بن دعامة السدوسي توفي سنة بضع وعشرة ومائة، ومخرمة بن سليمان الوالبي ت ١٣٠، وعبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب المتوفىٰ بعد سنة١٤٠، ومحمد بن إسحاق ت ١٥٠، وأبو معشر ت ١٧٠، ويزيد بن عبيدة، وسيف بن عمر التميمي، المتوفىٰ في حدود ١٧٠، والليث بن سعد ت ١٧٥.

وهشام بن الكلبي ت ٢٠٤، ومحمد بن عمر الواقدي ت ٢٠٧ ويعقوب بن إبراهيم الزهري ت ٢٠٨هـ. وأبو نعيم الفضل بن دكين ت ٢١٨هـ. وأبو عمر الضرير ت ٢٢٠هـ. وخليفة بن خياط ت ٢٤٠هـ. وعمرو بن علي ت ٢٤٩هـ. والزبير بن بكار ت ٢٥٦هـ. ويعقوب بن سفيان الفسوي ت ٢٧٧هـ.

تحديد الشهر:

ولا خلاف أيضًا عند المؤرخين في تحديد الشهر الذي قتل فيه رضي الله عنه، وأنه ذو الحجة[٢] إلا أنه اختلف في تحديد ما بعد ذلك من اليوم والساعة وغير ذلك.

تحديد اليوم من الشهر:

اختلف في ذلك علىٰ ثمانية أقوال، محصورة فيما بين الثامن والثامن

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٤١٥).

(٢) نقل الطبري الإجماع علىٰ ذلك في: تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٤١٥)، ونقل ابن قتيبة عن الواقدي أنه لا خلاف في ذلك (ابن قتيبة، المعارف ص١٩٧).

والعشرين من ذي الحجة، وفيما يلي تفصيل هذه الأقوال:

القول الأول: قال الواقدي: لثمان ليال خلت من ذي الحجة أي: (يوم التروية) ٨/ ١٢/ ٣٥[١].

القول الثاني: روي عن عبد الله بن عمرو، وذكره خليفة بن خياط بصيغة التمريض أنه كان يوم النحر؛ أي: (يوم عيد الأضحىٰ)[٢] ١٠/ ١٢/ ٣٥.

القول الثالث: صح عن أبي عثمان النهدي[٣] وقال به عمرو بن علي[٤] ويعقوب الفسوي[٥] وحكاه الزهري[٦] بصيغة: «فزعم بعض الناس» أنه كان في أوسط أيام التشريق؛ وهو اليوم الثاني عشر من أيام ذي الحجة؛ ١٢/ ١٢/ ٣٥.

القول الرابع: روي عن الليث بن سعد[٧] أنه كان مصدر الحاج؛ وهو اليوم الرابع من أيام النحر؛ أي ١٣/ ١٢/ ٣٥.

القول الخامس: قال أبو نعيم الفضل بن دكين[٨] بأنه كان لست عشرة بقين من ذي الحجة؛ ١٣ - ١٤/ ١٢/ ٣٥.

القول السادس: قال أيضًا بهذا القول[٩] أنه كان لثلاث عشرة بقيت من ذي الحجة، ١٧/ ١٢/ ٣٥.

---

(١) ابن قتيبة، المعارف (ص١٩٧).

(٢) التاريخ (١٧٧).

(٣) ابن أبي شيبة، المصنف (١٥/ ٢٣٠)، وابن سعد، الطبقات (٣/ ٧٩)، وخليفة بن خياط، التاريخ (١٧٦).

(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٥٣١).

(٥) المصدر نفسه (٥٣٢).

(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٤١٧).

(٧) المحب الطبري، الرياض النضرة (٣/ ٧٣)، وابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٥٣١).

(٨) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٥٣١).

(٩) خليفة بن خياط، التاريخ (١٧٦)، وابن الأثير في أسد الغابة (٣/ ٤٨٩).

القول السابع: أنه كان لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة؛ ١٨/ ١٢/ ٣٥ قال به: نافع مولىٰ ابن عمر[١] والشعبي[٢] ومخرمة بن سليمان الوالبي[٣] ومحمد بن إسحاق[٤] وأبو معشر وسيف بن عمر التميمي عن شيوخه وإبراهيم بن سعد الزهري وهشام بن الكلبي ومصعب بن عبد الله الزبيري، ويعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهري وعزاه الطبري إلىٰ الجمهور[٥] وذكره المحب الطبري في الرياض النضرة[٦].

القول الثامن: ذكر ابن الأثير[٧] بصيغة التمريض أنه كان لليلتين بقيتا من ذي الحجة ٢٧- ٢٨/ ١٢/ ٣٥.

الترجيح:

والذي ترجح لديَّ من هذه الأقوال؛ القول الثالث الذي فيه أنه استشهد في أوسط أيام التشريق (١٢/ ١٢/ ٣٥) لصحة نقله عن أبي عثمان النهدي، المعاصر للحادثة.

وما سواه من أقوال لم يصح إسناد شيء منها، وكل ما جاء به من أسانيد فهي ضعيفة، وبعض منها صدر ممن لم يعاصر الحادثة.

تحديد اليوم من أيام الأسبوع:

أما عن تحديد اليوم الذي قتل فيه من أيام الأسبوع ففيه ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه يوم الجمعة، وقال به كل من: نافع مولىٰ ابن عمر، ومخرمة

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٤١٦).
(٢) المصدر السابق (٤/ ٤١٧).
(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٥٣٠).
(٤) أحمد، المسند (٢/ ١٠).
(٥) تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٤١٥).
(٦) الرياض النضرة (٣/ ٧٣).
(٧) أسد الغابة (٣/ ٤٨٩).

ابن سليمان الوالبي، وأبومعشر، وهشام بن الكلبي، ومحمد بن عمر الواقدي، ومصعب بن عبد الله الزبيري، وخليفة بن خياط العصفري، وأبو سليمان بن زبر[١].

القول الثاني: أنه كان يوم الاثنين، رُوي عن ابن إسحاق[٢] كما روي عنه أيضًا القول الآتي.

القول الثالث: أنه كان يوم الأربعاء، رواه ابن إسحاق[٣].

الترجيح:

والذي ترجح لديَّ من هذه الأقوال الثلاثة، قول الجمهور، وهو يوم الجمعة؛ لأنه قول الجمهور ولم يخالفه قول أقوىٰ منه، كما أنه يوافق الحساب الفلكي فإنه ينتج أن اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة من السنة الخامسة والثلاثين يوافق يوم الجمعة.

وهذا يقوي أن وفاته كانت في اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة.

تحديد وقت قتله من اليوم:

وفي تحديد وقت قتله من اليوم قولان هما:

القول الأول: أنه كان في صبيحة، أو ضحوة اليوم، قال به الشعبي ومخرمة بن سليمان الوالبي وابن إسحاق وهشام بن الكلبي والفسوي وحكاه الطبري عن غيرهم بلفظ: «آخرون» وقال بعضهم: في ضحوته[٤].

القول الثاني: أنه كان في عصر اليوم، قال به أبو سليمان بن زبر[٥].

---

(١) خليفة بن خياط، التاريخ (١٧٦)، وابن الأثير، أسد الغابة (٣/ ٤٨٩)، الطبري، تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٤١٧)، ابن قتيبة المعارف (١٩٧)، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٥٣٣).

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٥٢٩-٥٣٠).

(٣) المصدر السابق (٥٣٣).

(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٥٣٣)؛ والطبري، تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٤١٥).

(٥) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٥٣٣).

الترجيح:

ويترجح عندي من هذين القولين أنه كان في صبيحة اليوم، لقول الجمهور به، ولم يخالف بأقوىٰ منه.

- **سنه عند استشهاده:**

لم أقف علىٰ رواية صحيحة الإسناد تحدد سن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند استشهاده، وكل ما وقفت عليه في ذلك أقوال متضاربة مختلفة.

والخلاف في ذلك قديم، حتىٰ إن الطبري؟ يقول: «اختلف السلف قبلنا في قدر مدة حياته»[(١)].

وبعد جمع الأقوال في ذلك نتج لديّ خمسة عشر قولًا، وهي كالتالي مرتبة علىٰ الأقل فما فوقه:

القول الأول: أن سنه كانت ثلاثًا وستين سنة [٦٣]، رواه سيف ابن عمر التميمي عن شيوخه[(٢)].

القول الثاني: نيف وسبعون، قال به أبو إسحاق السبيعي[(٣)].

القول الثالث: خمس وسبعون [٧٥]، قال به هشام بن محمد بن السائب الكلبي وحكاه محمد بن إسحاق والبخاري عن بعضهم[(٤)].

القول الرابع: ثمانون سنة [٨٠] حكاه ابن إسحاق[(٥)] عن بعضهم.

القول الخامس: نيف وثمانون، قال به محمد بن يعلىٰ[(٦)].

---

(١) تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٤١٧).

(٢) المصدر نفسه (٤/ ٤١٨).

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٥٣٤).

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٤١٨)، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٥٣٠)، التاريخ الصغير (١/ ٨٤).

(٥) البخاري، التاريخ الصغير (١/ ٨٤)، وابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٥٣٥-٥٣٦)، والمحب الطبري، الرياض النضرة (٣/ ٧٥-٧٦).

(٦) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٥٣٤).

القول السادس: أنه جاوز الثمانين، قال به أبو زرعة[١].

القول السابع: بين الثمانين والتسعين [٨٠-٩٠] قال به الزهري[٢].

القول الثامن: إحدىٰ وثمانون سنة [٨١]، قال به كل من: عثمان وأبوبكر ابنا أبي شيبة وأبو سليمان بن زبر[٣].

القول التاسع: اثنتان وثمانون سنة [٨٢]، وقال به الجمهور، فقد قال به: أبوالمقدام، ومحمد بن عبد الله المخزومي وزيد وأبوعمرو الضرير وعبد الله بن عمرو الأموي ويحيىٰ بن بكير والزبير بن بكار ومحمد بن عمر الواقدي، وادعىٰ الإجماع عليه فقال: «لا خلاف عندهم أنه قتل وهو ابن اثنتين وثمانين سنة» وقدّم الطبري هذا القول علىٰ غيره[٤] وجزم به ابن الأثير[٥].

القول العاشر: اثنتان وثمانون وأشهر [٨٢ وأشهر]، رواه الواقدي عن صالح بن كيسان[٦].

القول الحادي عشر: ست وثمانون سنة [٨٦]، قال به قتادة[٧].

القول الثاني عشر: ثمان وثمانون، أو تسع وثمانون سنة [٨٨ أو٨٩] جاء عن قتادة علىٰ الشك هكذا[٨].

القول الثالث عشر: ثمان وثمانون أو تسعون [٨٨ أو٩٠]، جاء عن قتادة أيضًا علىٰ الشك[٩].

---

(١) التاريخ الصغير (١/ ٥٩٦) وعنه ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٥٣٥).
(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٥٣٤).
(٣) المصدر نفسه (٥٣٣-٥٣٤).
(٤) تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٤١٧).
(٥) أسد الغابة (٣/ ٤٩١).
(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٤١٨).
(٧) خليفة بن خياط، التاريخ (١٧٧)، والطبري، تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٤١٨).
(٨) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٥٣٥).
(٩) أحمد، المسند (بتحقيق أحمد شاكر ٢/ ١٠-١١)، والطبري، تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٤١٨).

القول الرابع عشر: تسعون سنة [٩٠]، حكاه ابن الأثير[(١)] بصيغة التمريض (قُيل).

القول الخامس عشر: ثلاث وتسعون سنة [٩٣]، قال به ابن إسحاق[(٢)].

الترجيح:

والذي ترجح لدي من هذه الأقوال؛ القول التاسع، الذي يذهب إلىٰ أن سنه عند استشهاده كانت اثنتين وثمانين سنة، وما يدخل فيه من الأقوال الأخرىٰ لأسباب ثلاثة:

الأول: أنه ولد في السنة السادسة بعد عام الفيل واستشهد في السنة الخامسة والثلاثين بعد الهجرة فمقارنة سنة ولادته مع سنة استشهاده تؤيد هذا القول[(٣)].

الثاني: أن أربعة أقوال من الأقوال الخمسة عشر تدخل في هذا القول ولا تعارضه، وهذا لا يتفق مع أي قول من الأقوال الأخرىٰ.

الثالث: أنه قول الجمهور، ولم يخالفه قول أقوىٰ منه.

■ **قـاتله:**

لقد اتّهم في مباشرة قتل عثمان رضي الله عنه عدة أشخاص، جاء ذلك في روايات كثيرة، منها المقبول، وأكثرها ضعيف مردود.

وفي الروايات الصحيحة أنه رجل أسود من أهل مصر ولكنها تختلف في تعيينه، ففي رواية منها أنه كان يقال له: حمار وفي رواية ثانية: جبلة وفي ثالثة:

---

(١) أسد الغابة (٣/ ٤٩١).

(٢) أبو عرب، المحن (٨٢).

(٣) وذلك أن الهجرة كانت سنة ٥٣ من عام الفيل، فبعد إضافة هذا العدد إلىٰ سنة قتله بالهجرية (٣٥) ينتج لدينا أن سنة قتله هي: ٨٨ من عام الفيل (٥٣+٣٥ = ٨٨) ولما كانت سنة ولادته هي: السادس من عام الفيل، فبإنقاص ست سنين من الثمانية والثمانين (٨٨- ٦ = ٨٢) تكون هذه النتيجة.

جبلة بن الأيهم[(١)].

ومصدر هذه الروايات الثلاث واحد، وهو كنانة مولىٰ صفية رضي الله عنها، اختلف فيها عليه، فروىٰ عنه محمد بن طلحة بن مصرف الرواية الأولىٰ، والثالثة، وروىٰ عنه زهير بن معاوية الرواية الثانية.

وزهير ثقة حافظ أما محمد فصدوق له أوهام فرواية زهير هذه محفوظة، فتصبح رواية محمد -الأولىٰ- شاذة لمخالفتها لرواية أوثق منها.

ويحتمل أن لفظة حمار مصحفة من جبلة، لتشابه الرسمين في طريقة الأقدمين في الكتابة، حيث إنّهم كثيرًا ما يُغفلون النقط.

أما روايته الثالثة، فلا يعمم الحكم عليها من حيث دخول الوهم عليها وعدمه، لأنه وافق زهيرًا في بعضها وزاد اسم الأب.

وزيادة الثقة مقبولة، إلا أن ما في محمد من وهم، وخفة في الضبط يخرجه من عداد من تقبل زيادتهم، خاصة وأن ما أدت إليه زيادته مردود من وجوه، فإن زيادته تجعل القاتل هو جبلة بن الأيهم، ولا يعرف بهذا الاسم إلا الغساني، ملك الغساسنة، وهو من أهل الشام[(٢)] بينما أجمعت الروايات الثلاث علىٰ أن القاتل من أهل مصر.

كما أن زيادته هذه تدل علىٰ أن جبلة؛ اسم للقاتل، بينما يفهم من الروايات الثلاث أنه ليس اسمًا إنما هو لقب، لقب به لسواد بشرته، يفهم هذا من قول كنانة: «رجل من أهل مصر يقال له جبلة... أي الرجل الأسود»[(٣)].

---

(١) خليفة بن خياط، التاريخ (١٧٦)؛ من رواية الحسن البصري، وابن أبي شيبة، المصنف (١٥/ ٢٠٦) وابن سعد، الطبقات (٣/ ٨٣-٨٤)، وابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٤١٧-٤١٨) البخاري، التاريخ الكبير (٧/ ٢٣٧).

(٢) له ترجمة في سير أعلام النبلاء، للذهبي (٣/ ٣٧٨)، وجمهرة أنساب العرب (٣٧٢) والبداية والناهية لابن كثير (٨/ ٦٥).

(٣) ابن سعد، الطبقات (٣/ ٨٣-٨٤).

وإذا تذكرنا أن الرجل الذي دخل علىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وخنقه أسود أيضًا، وأن الراوي قال: «خنقه ثم خنقه قبل أن يضرب بالسيف»[(١)] دلنا ذلك علىٰ أن هذا الرجل هو القاتل الذي يقال له: جبلة؛ لأنه أسود البشرة، ولأن في قول الراوي: «قبل أن يضرب بالسيف» دليلًا علىٰ أنه ضرب بالسيف.

فإذا صح هذا الربط، فإنه يبين لنا نسبة هذا القاتل، حيث إن الراوي أوضح عن نسبته وأنه من بني سدوس.

ويزيد ذلك في توهم زيادة (الأيهم)؛ لأن جبلة بن الأيهم الغساني من الغساسنة وهذا القاتل من بني سدوس.

والخلاصة: أن قاتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجل مصري، لم تفصح الروايات عن اسمه، وبينت أنه سدوسي الأصل، أسود البشرة، لقب بـ(جِبْلة) لسواد بشرته كما لقب أيضًا بـ(الموت الأسود)، ولم أقف علىٰ ترجمة تتصف بهذه الصفات.

وذهب محب الدين الخطيب إلىٰ أن القاتل: هو عبد الله بن سبأ حيث قال: «ومن الثابت أن ابن سبأ كان مع ثوار مصر عند مجيئهم من الفسطاط إلىٰ المدينة، وهو في كل الأدوار التي مثلها كان شديد الحرص علىٰ أن يعمل من وراء ستار، فلعل (الموت الأسود) اسم مستعار له أراد أن يرمز به إليه، ليتمكن من مواصلة دسائسه لهدم الإسلام»[(٢)].

وقد يشهد لما ذهب إليه: أن ابن سبأ أسود البشرة؛ فقد صح عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه وصفه بالخبث، وسواد البشرة، وذلك في قوله عنه: «الخبيث الأسود»[(٣)].

وأنه يعتبر من أهل مصر لتغلغل أفكاره في بعض أهلها، ولمكثه فيها آخر أمره، ولقدومه مع أهلها[(٤)].

---

(١) خليفة بن خياط، التاريخ (١٧٤)، والطبري، تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٣٨٣)

(٢) العواصم من القواصم، الحاشية (٢٠١، ص١٤١).

(٣) رواه أبو إسحاق الفزاري، كما في لسان الميزان (٣/ ٢٩٠).

(٤) العواصم من القواصم، الحاشية (٢٠١، ص١٤١).

وأن اللقبين اللذين وردا للقاتل يلتقيان مع لقبه المشهور (ابن السوداء)، فإن الألقاب الثلاثة تشتمل علىٰ لون بشرته وهو السواد.

وأن اللقب الذي لقب به القاتل (جبلة) اسم لرجل يهودي يمني[(١)] ورُوي أن ابن سبأ من يهود اليمن[(٢)].

ولا صحة لاتهام كنانة بن بشر التجيبي الكندي ورجل بن بني عبد الدار يسمىٰ نهران الأصبحي وأبي عمرو بن بديل الخزاعي وسودان بن رومان المرادي ورجل من بني أسد بن خزيمة يسمىٰ رومان وسودان بن حمران ومحمد بن أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب ﷺ بقتل عثمان ﷺ.

فكل ذلك رُوي بأسانيد ضعيفة، بينت عللها في قسم دراسة الأسانيد، كما أن متونها شاذة؛ لمخالفتها للرواية الصحيحة التي تبين أن القاتل هو رجل مصري يقال له: جبلة؛ لسواد بشرته.

وأما ما يتعلق بتهمة محمد بن أبي بكر فإنه يضاف إلىٰ ما تقدم أنه قد وردت رواية صحيحة الإسناد تبرئه من هذه التهمة، وتكشف عن سبب اتهامه بها؛ يرويها لنا شاهد عيان، -حضر يوم الدار ورأىٰ القاتل- وهو كنانة مولىٰ صفية ﷺ فقد سأله محمد بن طلحة؛ هل ندىٰ محمد بن أبي بكر بشيء من دمه -أي عثمان- فقال: معاذ الله، دخل عليه فقال له عثمان: يا ابن أخي لست بصاحبي، وكلمه بكلام فخرج ولم يند بشيء من دمه[(٣)].

وفي رواية صحيحة أخرىٰ أن كنانة قال: «لم يند محمد بن أبي بكر من دم عثمان بشيء، فقال له محمد بن طلحة: فلم قيل إنه قتله؟ قال: معاذ الله أن يكون قتله، إنما دخل عليه فقال له عثمان..»[(٤)].

---

(١) ذكر ياقوت: أن جبلة اسم لرجل يهودي يمني كان يبيع الفَخَّار (معجم البلدان ٢/ ١٠٧).

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٣٤٠-٣٤١).

(٣) رواها أسد بن موسىٰ (كما في الاستيعاب لابن عبد البر ٣/ ٣٤٩ مع الإصابة).

(٤) رواها خليفة بن خياط، التاريخ (١٧٤).

وبهاتين الروايتين الصحيحتين تظهر لنا براءة محمد بن أبي بكر الصديق من دم عثمان، براءة الذئب من دم يوسف، كما تبين أن سبب تهمته هو دخوله عليه قبل القتل.

وقد ذكر ابن كثير؟ أنه لما كلمه عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استحيىٰ، ورجع، وتندم، وغطىٰ وجهه وحاجز دونه فلم تفد محاجزته[١].

■ **جنازته والصلاة عليه ودفنه:**

لم يصح مما ورد في الصلاة علىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجنازته، ودفنه إلا نتف من روايات ضعيفة، قوّىٰ بعضها بعضًا، فمما تقوىٰ أنه صُلِّي عليه وأن مالك بن أبي عامر كان ممن حمل نعشه، وسار في جنازته[٢] وأنه دُفن في حائط من حيطان المدينة يقال له: حش كوكب[٣].

وحش كوكب: هو بستان بالقرب من بقيع الغَرْقد.

هذه المعلومات التي صحت في هذه الموضوعات الثلاث، وأما الروايات الضعيفة التي رُويت في ذلك فإنها تارة تتوافق، وتارة تتضارب.

فقد اختلفت في وقوع منع الصلاة عليه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد رويت روايات ضعيفة جدًا في أن الأنصار مُنعوا من أن يصلىٰ عليه[٤] وأن منهم: أسلم بن بجرة الساعدي، وأبو حية المازني.

وفي رواية ضعيفة أيضًا أنه بقي ليلتين ويومًا لا يصلون عليه، وأن أباحذيفة قال: ادفنوه فقد صلىٰ الله عليه وملائكته، وفي لفظ آخر إن تمنعوا الصلاة عليه

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٩٣-١٩٤).

(٢) ابن سعد، الطبقات (٣/ ٧٩)

(٣) ابن سعد، الطبقات (٣/ ٧٧-٧٩)، وابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٥٣٢، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٢ -٥٤٣).

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٤١٣-٤١٤).

فقد صلىٰ الله عليه وملائكته[١].

ويروي ابن عساكر أنه لما قتل مكث ثلاثًا لا يدفن، حتىٰ هتف بهم هاتف، أن ادفنوه، ولا تصلوا عليه فإن الله قد صلىٰ عليه[٢].

وذكر ابن الأثير وعوانة منع الصلاة عليه بصيغة التضعيف[٣] وفي رواية لسيف أنه لم يمتنع أحد أن يصلي عليه من شيء، وأن مروان صلىٰ عليه[٤].

وهذه الروايات التي تثبت منع الصلاة عليه، ويثبت بعضها عدم الصلاة عليه -كما تقدم- شديدة الضعف من حيث الإسناد، ويضاف إلىٰ ضعف أسانيدها نكارة متونها.

فقد ثبت -كما تقدم- في الرواية الصحيحة أنه صُلي عليه، بل وتفصل روايات يسيرة الضعف، فتذكر أسماء الذين صلوا عليه، وهم: جبير ابن مطعم وحكيم بن حزام وحويطب بن عبد العزىٰ، والزبير بن العوام ومالك بن أبي عامر كما تقدم، ومروان بن الحكم والمسور بن مخرمة ونيار الأسلمي، وأبوجهم بن حذيفة العدوي ونائلة بنت الفرافصة الكلبية زوجته، وأم البنين بنت عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارية[٥].

وفي رواية ضعيفة أيضًا أنه وُضع علىٰ سريره في البيت، والناس يجيئون فيصلون عليه، وأن رجلًا كان قد أعطىٰ الله عهدًا إن قدر أن يلطم وجه عثمان إلا لطمه، فدخل كأنه يصلي عليه، فوجد خلوة فرفع الثوب عن وجهه فلطم وجهه وسجاه، فيبست يمينه[٦].

---

(١) أبو عرب، المحن (٦٥).

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٥٤٢).

(٣) أسد الغابة (٣/ ٤٩١).

(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٥٣٨).

(٥) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٥٣٢).

(٦) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٤٥٨ وقسم النساء ٤١١)

ولا شك أن الظروف التي كانت تحيط بجنازته والصلاة عليه ودفنه، كانت حرجة للغاية، حيث إن الخارجين عليه كانوا محيطين بالدار، كما أن الصلاة عليه كانت ليلًا.

وهذا يبين لنا جليًا عذر من لم يصلِّ عليه ممن كان في المدينة إذ ذاك، علىٰ فرض صحة نقل ما يثبت ذلك.

ولم يرد أن أحدًا من الصحابة رضي الله عنهم امتنع عن الصلاة عليه إلا ما روي بإسناد ضعيف عن بعض الأنصار، وإضافةً إلىٰ ضعف الإسناد، فإن الرواية أبهمت أسماء هؤلاء الممتنعين عن الصلاة عليه، فلم تعيّن اسم واحدٍ منهم سوىٰ شخصين اثنين، ويكفينا في ردّها أنها ضعيفة الإسناد.

كما أنها لا تدل علىٰ أنه لم يصلّ عليه سوىٰ من سمتهم الروايات، فلا نفي لصلاة كبار الصحابة عليه، كعلي وطلحة والزبير وغيرهم.

■ موقف الصحابة من مقتل عثمان رضي الله عنهم:

شوهت بعض كتب التاريخ مواقف الصحابة من فتنة مقتل عثمان، وذلك بسبب الروايات الرافضية التي ذكرها كثير من المؤرخين، فالمتتبع لأحداث الفتنة في تاريخ الإمام الطبري، وكتب التاريخ الأخرىٰ من خلال روايات أبي مخنف، والواقدي وابن أعثم، وغيرهم من الإخباريين يشعر أن الصحابة هم الذين كانوا يحركون المؤامرة ويثيرون الفتنة، فأبو مخنف ذو الميول الشيعية لا يتورع في اتهام عثمان بأنه الخليفة الذي كثرت سقطاته فاستحق ما استحقه، ويظهر طلحة في مروياته كواحد من الثائرين علىٰ عثمان والمؤلبين ضده.

ولا تختلف روايات الواقدي عن روايات أبي مخنف؛ فعمرو بن العاص يقدم المدينة ويأخذ في الطعن علىٰ عثمان، وقد كثرت الروايات الرافضية التي تتهم الصحابة بالتآمر ضد عثمان رضي الله عنه، وأنهم هم الذين حركوا الفتنة وأثاروا

الناس، وهذا كله كذب وزور[١].

وخلافًا للروايات الرافضية والموضوعة والضعيفة، فقد حفظت لنا كتب المحدثين -بحمد الله- الروايات الصحيحة التي يظهر فيها الصحابة من المؤازرين لعثمان والمنافحين عنه، المتبرئين من قتله، والمطالبين بدمه بعد مقتله، وبذلك يستبعد أي اشتراك لهم في تحريك الفتنة أو إثارتها[٢].

إن الصحابة جميعًا رضي الله عنهم أبرياء من دم عثمان رضي الله عنه، ومن قال خلاف ذلك فكلامه باطل لا يستطيع أن يقيم عليه أي دليل ينهض إلىٰ مرتبة الصحة، ولذلك أخرج خليفة في تاريخه عن عبد الأعلىٰ بن الهيثم، عن أبيه قال: قلت للحسن: أكان فيمن قتل عثمان أحد من المهاجرين والأنصار؟ قال: لا، كانوا أعلاجًا[٣] من أهل مصر.

وقال الإمام النووي: ولم يشارك في قتله أحد من الصحابة، وإنما قتله همج ورعاع من غوغاء القبائل سفلة الأطراف والأراذل، تحزبوا وقصدوه من مصر، فعجز الصحابة الحاضرون عن دفعهم فحصروه حتىٰ قتلوه رضي الله عنه[٤].

وقد وصفهم الزبير رضي الله عنه بأنهم غوغاء من الأمصار، ووصفتهم السيدة عائشة بأنهم نُزَّاع القبائل[٥]. ووصفهم ابن سعد بأنهم حثالة الناس متفقون علىٰ الشر[٦]. ووصفهم ابن تيمية بأنهم خوارج مفسدون وضالون باغون معتدون[٧]. ووصفهم الذهبي بأنهم رؤوس شر وجفاء[٨]. ووصفهم ابن العماد الحنبلي في

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٤ - ١٨).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ١٨).

(٣) العلج: كل جاف شديد من الرجال.

(٤) شهيد الدار.. عثمان بن عفان، أحمد الخروف (ص١٤٨).

(٥) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم (٥/ ١٤٨)، كتاب فضائل الصحابة.

(٦) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٤٨١)، طبقات ابن سعد (٣/ ٧١).

(٧) منهاج السنة (٣/ ١٨٩ - ٢٠٦).

(٨) دول الإسلام للذهبي (١/ ١٢).

الشذرات بأنهم أراذل من أوباش القبائل[١].

ويشهد علىٰ هذا الوصف تصرف هؤلاء الرعاع منذ الحصار إلىٰ قتل الخليفة رضي الله عنه ظلمًا وعدوانًا، فكيف يمنع الماء عنه والطعام وهو الذي طالما دفع من ماله الخاص ما يروي ظمأ المسلمين بالمجان[٢]، وهو الذي ساهم بأموال كثيرة عندما يلم بالناس مجاعة أو مكروه، وهو الدائم العطاء عندما يصيب الناس ضائقة أو شدة من الشدائد؟[٣] حتىٰ إن عليًا رضي الله عنه يصف هذا الحال وهو يؤنب المحاصرين بقوله: يا أيها الناس، إن الذي تفعلونه لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين، فلا تمنعوا عن هذا الرجل الماء ولا المادة (الطعام)؛ فإن الروم وفارس لتأسر وتطعم وتسقي[٤]. لقد صحت الأخبار وأكدت حوادث التاريخ علىٰ براءة الصحابة من التحريض علىٰ عثمان أو المشاركة في الفتنة ضده[٥].

وإليك أقوال الصحابة في البراءة من دم عثمان:

أولًا: ثناء أهل البيت على عثمان رضي الله عنه وبراءتهم من دمه:

١- موقف السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها:

أ- عن فاطمة بنت عبد الرحمن اليشكرية عن أمها، أنها سألت عائشة: وأرسلها عمها فقال: إن أحد بنيك يقرئك السلام ويسألك عن عثمان بن عفان، فإن الناس قد أكثروا فيه، فقالت: لعن الله من لعنه، فوالله لقد كان قاعدا عند نبي الله، وإن رسول الله ﷺ مسند ظهره إليَّ، وإن جبريل عليه السلام ليوحي إليه القرآن

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٤٨٢)، شذرات الذهب (١/ ٤٠).

(٢) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٤٨٢)، البخاري، كتاب مناقب عثمان (٤/ ٢٠٢).

(٣) التمهيد والبيان (ص٢٤٢).

(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٤٠٠).

(٥) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٨).

وإنه ليقول: «اكتب عثمان»، فما كان الله لينزل تلك المنزلة إلا كريمًا علىٰ الله ورسوله[١].

ب- وعن مسروق، عن عائشة قالت حين قتل عثمان: تركتموه كالثوب النقي من الدنس، ثم قربتموه تذبحونه كما يذبح الكبش، فقال لها مسروق: هذا عملك، أنت كتبت إلىٰ الناس تأمرينهم بالخروج إليه، قالت عائشة: لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون، ما كتبت إليهم بسوداء في بيضاء حتىٰ جلست مجلسي هذا[٢].

ج- ولما سمعت بموت عثمان في طريق عودتها من مكة إلىٰ المدينة رجعت إلىٰ مكة ودخلت المسجد الحرام، وقصدت الْحِجْر فتسترت فيه، واجتمع الناس إليها فقالت: أيها الناس، إن الغوغاء من أهل الأمصار، وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا أن عاب الغوغاء علىٰ هذا المقتول بالأمس الإرب[٣]، واستعمال من حدثت سنه، وقد استعمل أسنانهم قبله، ومواضع من الحمىٰ حماها لهم، وهي أمور قد سبق بها لا يصلح غيرها، فتابعهم ونزع لهم عنها استصلاحًا لهم، فلما لم يجدوا حجة ولا غدرا خلجوا[٤]، وبادروا بالعدوان، ونبا فعلهم عن قولهم، فسفكوا الدم الحرام، واستحلوا البلد الحرام، وأخذوا المال الحرام، واستحلوا الشهر الحرام، والله لإصبع عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم، فنجاة[٥] من اجتماعكم عليه حتىٰ يَنْكل[٦] بهم غيرهم، ويشرد[٧] من

(١) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٧٨)، المسند (٦/ ٢٠٥ - ٢٦١)، البداية والنهاية (٧/ ٢١٩).
(٢) فتنة مقتل عثمان (١/ ٣٩١)، تاريخ خليفة (ص١٧٦).
(٣) الأرب: الحاجة والدهاء والفطنة والعقل.
(٤) خلجوا: تحركوا واضطربوا.
(٥) نجاة: اطلبوا النجاة باجتماعكم عليهم.
(٦) ينكل بهم غيرهم: حتىٰ يردعهم ويروع بهم غيرهم.
(٧) يشرد: يفرق، ويبدد جمعهم.

بعدهم، ووالله لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنبا لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه، أو الثوب من دَرَنه إذ ماصوه كما يماص الثوب بالماء[(١)].

وعلىٰ العكس من الصورة الطيبة التي نفهمها من الروايات السابقة الموثوقة للعلاقة بين أم المؤمنين عائشة وعثمان، فإنه تبقىٰ عند الطبري وغيره روايات أخرىٰ صورت العلاقة بين عائشة وعثمان علىٰ صورة متناقضة تماما لما انتهينا إليه، وشوهت الدور الرائع الناصع الواعي الذي قامت به رضي الله عنها، دفاعا عن حرمات الله آ ، ودفعا عن عثمان رضي الله عنه، وفهما لألاعيب السبئية[(٢)].

إن الروايات التي جاءت في العقد الفريد، وفي الأغاني، وتاريخ اليعقوبي، وتاريخ المسعودي، وأنساب الأشراف، وما انتهت إليه من استدلالات في شأن الدور السياسي للسيدة عائشة رضي الله عنها في حياة عثمان بن عفان رضي الله عنه، إن جميع ما تؤدي إليه استدلالات تدين الموقف السياسي للسيدة عائشة رضي الله عنها لا يعتد بها لمخالفتها للروايات الصحيحة، وقيامها علىٰ روايات واهية[(٣)]؛ فأغلبها روايات غير مسندة، والمسند مجروح الإسناد لا يحتج بروايته، هذا إلىٰ فساد متونها إذا ما قورنت بالروايات الأخرىٰ الأكثر صحة وقربا بالحقيقة[(٤)].

وقد قامت السيدة أسماء محمد أحمد زيادة بدراسة الأسانيد والمتون للروايات التي تحدثت عن الدور السياسي للسيدة عائشة في أحداث الفتنة، ونقدت الروايات القائلة بالخلاف السياسي بين عائشة وعثمان عند الطبري وغيره وبينت زيفها وكذبها، ثم قالت: وكان الأحرىٰ بنا أن نعرض عن ذكرها جميعا -كما ذكرت آنفًا- لعدم وصولها إلينا عن طريق معتمد، بل الطرق التي وصلت منها رُميٰ أصحابها بالتشيع والكذب والرفض لكننا عرضنا لها لشيوعها

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٧٣، ٤٧٤).

(٢) دور المرأة السياسي في عهد النبي والخلفاء الراشدين (ص٣٥٢).

(٣) انظر أيضا في هذه الاستدلالات الباطلة: العقاد، الصديقة بنت الصديق (ص١١٦- ١٢٤).

(٤) دور المرأة السياسي (ص٣٧٠).

في أغلب الدراسات الحديثة، وللتدليل علىٰ سقوطها، فهي روايات -كما اتضح لنا- حاولت خلق تاريخ لا وجود له أصلًا من الخلاف، والتنكر بين عثمان وعائشة وبين عثمان والصحابة جميعًا[١].

ولو صح أن عائشة اتفقت مع المتمردين علىٰ التحريض علىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لكان من المتوقع أن يكون عندها نوع من التماس العذر لهؤلاء المتمردين، لكن لم يصح عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا شيء من هذا، وإنه لو صح شيء من هذه الروايات في وصف موقف السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من مقتل عثمان فهي روايات كفيلة بإسقاط العدالة عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وعن الصحابة الذين اشتركوا معها، وهو ما لا نقبل به للخبر الصادق عن الله ورسوله في تقرير عدالتهم التي كانت كافية لدحض هذه الروايات، لكننا توقفنا أمام الروايات تأكيدا منا علىٰ سقوط هذه الرواية ومن بعدها الاستدلالات القائمة عليها، حتىٰ تجتمع الأدلة الدينية والعلمية والتاريخية في صعيد واحد يؤكد بعضها بعضا[٢].

٢ - علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

كان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وآل البيت يجلونه ويعترفون بحقه فكان:

أ- أول من بايعه بعد عبد الرحمن بن عوف علي بن أبي طالب[٣]. وعن قيس بن عباد قال: سمعت عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وذكر عثمان فقال: هو رجل قال له رسول الله ﷺ: «**ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة**»[٤].

ب- وقد شهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ له بالجنة، فعن النزال بن سبرة قال: سألت عليا عن عثمان فقال: ذاك امرؤ يدعىٰ في الملأ الأعلىٰ ذا النورين، كان ختن رسول الله

---

(١) دور المرأة السياسي (ص٣٧٠).

(٢) دور المرأة السياسي (ص٣٧١).

(٣) البخاري، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٣٧٠٠).

(٤) مسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٤٠١).

٥ علىٰ ابنتيه، ضُمن له بيت في الجنة[١].

ج- وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طائعًا معترفًا بإمامته وخلافته، لا يعصي له أمرا؛ فقد روىٰ ابن أبي شيبة بإسناده عن ابن الحنفية عن علي: قال لو سيرني عثمان إلىٰ صرار لسمعت وأطعت[٢] والصرار: هو الخيط الذي تشد به التوادي علىٰ أطراف الناقة لئلا يرضعها ولدها[٣]، وفيه دليل علىٰ مدىٰ اتباعه وطاعته لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[٤].

د- ولما جمع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الناس علىٰ قراءة واحدة بعد استشارة الصحابة رضوان الله عليهم وإجماعهم علىٰ ذلك، قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو وليت الذي ولىٰ، لصنعت مثل الذي صنع[٥].

هـ- ولقد أنكر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قتل عثمان وتبرأ من دمه، وكان يقسم علىٰ ذلك في خطبه وغيرها أنه لم يقتله، ولا أمر بقتله، ولا مالأ ولا رضي، وقد ثبت ذلك عنه بطرق تفيد القطع[٦]، خلافا لما تزعمه الرافضة من أنه كان راضيا بقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[٧]. وقال الحاكم بعد ذكر بعض الأخبار الواردة في مقتله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فأما الذي ادعته المبتدعة من معونة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فإنه كذب وزور، فقد تواترت الأخبار بخلافه[٨]. وقال ابن تيمية: وهذا كله كذب علىٰ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وافتراء عليه، فعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يشارك في دم عثمان، ولا أمر ولا رضي، وقد روىٰ عنه ذلك وهو الصادق البار[٩]. وقد قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اللهم إني أبرأ

---

(١) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط (ص٢٢٧).
(٢) رقم (٤١٦) إسناده صحيح.
(٣) لسان العرب (٤/ ٤٥١).
(٤) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط (ص٢٢٧).
(٥) السنن للبيهقي (٢/ ٤٢).
(٦) البداية والنهاية (٧/ ٢٠٢).
(٧) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط (ص٢٢٩)، حق اليقين لعبد الله شبر (ص١٨٩).
(٨) المستدرك (٣/ ١٠٣).
(٩) منهاج السنة (٤/ ٤٠٦).

إليك من دم عثمان[١]. وروىٰ الحاكم بإسناده عن قيس بن عباد قال: سمعت عليًا رضي الله عنه يوم الجمل يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان، وأنكرت نفسي وجاءوني للبيعة، فقلت: والله إني لأستحي من الله أن أبايع قوما قتلوا رجلًا قال فيه رسول الله ﷺ: «**ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة**»، وإني لأستحي من الله أن أبايع وعثمان قتيل علىٰ الأرض لم يدفن بعد، فانصرفوا، فلما دفن رجع الناس، فسألوني البيعة، فقلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه، ثم جاءت عزيمة فبايعت فلقد قالوا: يا أمير المؤمنين، فكأنما صدع قلبي، وقلت: اللهم خذ مني لعثمان حتىٰ ترضىٰ[٢].

وروىٰ الإمام أحمد بسنده عن محمد بن الحنفية قال: بلغ عليًا أن عائشة تلعن قتلة عثمان في المربد قال: فرفع يده حتىٰ بلغ بهما وجهه، فقال: وأنا ألعن قتلة عثمان، لعنهم الله في السهل والجبل، قال مرتين أو ثلاثًا[٣]. وروىٰ ابن سعد بسنده عن ابن عباس أن عليا قال: والله ما قتلت عثمان ولا أمرت بقتله، ولكني نهيت، والله ما قتلت عثمان ولا أمرت ولكني غلبت، قالها ثلاثًا[٤]. وجاء عنه أيضًا أنه قال رضي الله عنه: من تبرأ من دين عثمان فقد تبرأ من الإيمان، والله ما أعنت علىٰ قتله ولا أمرت ولا رضيت[٥].

و- وقال علي رضي الله عنه عن عثمان رضي الله عنه: «... كان أوصلنا للرحم، وأتقانا للرب تعالىٰ»[٦].

ز- وعن أبي عون قال: سمعت محمد بن حاطب قال: سألت عليًا عن

---

(١) العقيدة في أهل البيت (ص٢٣٠).

(٢) المستدرك (٣/ ٩٥) حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) فضائل الصحابة (١/ ٥٥٥)، رقم (٧٣٣) إسناده صحيح.

(٤) الطبقات (٣/ ٨٢)، البداية والنهاية (٧/ ٢٠٢).

(٥) الرياض النضرة (ص٥٤٣).

(٦) صفة الصفوة (١/ ٣٠٦).

عثمان فقال: هو من الذين آمنوا ثم اتقوا ثم آمنوا ثم اتقوا. ولم يختم الآية[(١)].

ح- عن عميرة بن سعد قال: كنا مع عليٍّ علىٰ شاطئ الفرات، فمرت سفينة مرفوع شراعها فقال علي: يقول الله ﷻ: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرحمن:٢٤] والذي أنشأها في بحر من بحاره ما قتلت عثمان ولا مالأت علىٰ قتله[(٢)].

ط- وروىٰ الإمام أحمد في مسنده، عن محمد بن حاطب قال: سمعت عليًا يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنبياء:١٠١] منهم عثمان[(٣)]، وقال علي رضي الله عنه: إنما وهنت يوم قتل عثمان[(٤)]. وقد اعتنىٰ الحافظ ابن عساكر بجمع الطرق الواردة عن علي رضي الله عنه أنه تبرأ من دم عثمان، وكان يقسم علىٰ ذلك في خطبه وغيرها، أنه لم يقتله ولا رضي بذلك، ثبت ذلك عنه من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث[(٥)].

٣ - عبد الله بن عباس رضي الله عنه:

روىٰ الإمام أحمد بإسناده عن ابن عباس أنه قال: لو اجتمع الناس علىٰ قتل عثمان لرموا بالحجارة كما رمىٰ قوم لوط[(٦)]. وقال رضي الله عنه في مدح عثمان وذم من ينتقصه: رحم الله أبا عمرو، كان والله أكرم الحفدة وأفضل البررة، هجَّادا بالأسحار، كثير الدموع عند ذكر النار، نهَّاضا عند كل مكرمة، سبَّاقا إلىٰ كل محنة، حبيبًا أبيًّا وفيًّا، صاحب جيش العسرة، ختن رسول الله ﷺ، فأعقب الله علىٰ من يلعنه لعنة اللاعنين إلىٰ يوم الدين[(٧)].

---

(١) فضائل الصحابة (١/ ٥٨٠).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٥٥٩، ٥٦٠).
(٣) رقم (٧٧١).
(٤) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٥/ ٦١).
(٥) البداية والنهاية (٧/ ١٩٣).
(٦) فضائل الصحابة (١/ ٥٦٣)، رقم (٧٤٦).
(٧) العقيدة في أهل البيت (ص٢٣٤)، مروج الذهب للمسعودي (٣/ ٦٤).

٤ - زيد بن علي ؟ :

روىٰ ابن عساكر بإسناده إلىٰ السدي قال: أتيته -أي زيد- وهو في بارق حي من أحياء الكوفة، فقلت له: أنتم سادتنا وأنتم ولاة أمورنا، فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فقال: تولهما، وكان يقول البراءة من أبي بكر وعمر وعثمان البراءة من علي، والبراءة من علي البراءة من أبي بكر وعمر وعثمان(١).

٥ - علي بن الحسين ؟ :

وقد ثبت عن علي بن الحسين البراءة من قول الرافضة في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فقد روىٰ أبو نعيم بسنده عن محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين أنه قال: جلس قوم من أهل العراق فذكروا أبا بكر وعمر، فنالوا منهما، ثم ابتدأوا في عثمان فقال لهم: أخبروني أأنتم من المهاجرين الأولين ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾؟ [الحشر:٨] قالوا: لا، قال: فأنتم من الذين ﴿تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾؟ [الحشر:٩] قالوا: لا، فقال لهم: أما أنتم فقد أقررتم وشهدتهم علىٰ أنفسكم أنكم لستم من هؤلاء ولا من هؤلاء، وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال الله ﷻ فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر:١٠]، فقوموا عني، لا بارك الله فيكم، ولا قرب دوركم، أنتم مستهزئون بالإسلام، ولستم من أهله(٢).

ثانيًا: موقف عمار بن ياسر رضي الله عنه:

جاء في الروايات التاريخية التي تحمل في طياتها غثًا وسمينًا أن هناك خلافًا بين عمار وعثمان رضي الله عنهما، وقد خطم بعضها بأسانيد، وأخرىٰ لا خطام لها ولا

---

(١) العقيدة في أهل البيت (ص٣٣٥)، تهذيب تاريخ دمشق (٦/ ٢١).

(٢) العقيدة في أهل البيت (ص٢٣٦)، البداية والنهاية (٩/ ١١٢)، الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٣١، ٣٢).

زمام، ولم أجد من أغنىٰ فيه بحثًا وتحليلًا إلا لَمَاما، والتعرض لمثل هذا الموضوع الذي يمس كرامة أطهر خلق الله وأحبهم إليه وإلىٰ نبيه، لا يمكن معه الاعتماد علىٰ روايات تسرح فيه أعراض الصحابة كما تشاء وتمرح من غير زمام أو خطام[١]. ومن التهم الساقطة التي ساقتها الروايات الضعيفة:

١- ضرب عمار بن ياسر:

تعتبر الروايات التي تحدثت عن ضرب عثمان لعمار من أشهر الروايات في هذا الموضوع وأكثرها، ولقد تفنن واضعوها في ذكر الأساليب التي استخدمها عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالضرب، وفي ذكر ما نتج عنه، وهي مع فساد أسانيدها تحمل نكارة شديدة في متونها[٢].

قول القاضي أبو بكر بن العربي في عواصمه ضمن تفنيده لما نسب إلىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من افتراءات: وأما ضربه لابن مسعود ومنعه عطاءه فزور، وضربه لعمار إفك مثله، ولو فتق أمعاءه ما عاش أبدا، وقد اعتذر عن ذلك العلماء بوجوه لا ينبغي أن يشتغل بها؛ لأنها مبنية علىٰ باطل، ولا يبنىٰ حق علىٰ باطل، ولا نذهب الزمان في مماشاة الجهال، فإن ذلك لا آخر له[٣].

إن أخلاق عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سنه وإيمانه وحيائه ولين عريكته ورقة طبعه وسابقته وجليل مكانته في الإسلام أجَلّ من أن تنزل به إلىٰ هذا الدرك من التصرف مع رجل من أجلاء أصحاب النبي ﷺ، يعرف له عثمان سابقته وفضله مهما كان بينهما من اختلاف في الرأي، أفيرضىٰ عثمان لنفسه وهو الذي أبىٰ علىٰ الناس أن يقاتلوا دونه، ورضي بالموت صابرًا محتسبًا حقنًا لدماء المسلمين واتقاء للفتنة العامة، أفيرضىٰ أن يصنع بعمار -وهو أعلم بسابقته

(١) عمار بن ياسر، أسامة أحمد سلطان (ص١٢٢).
(٢) عمار بن ياسر، أسامة أحمد سلطان (ص١٢٢).
(٣) العواصم من القواصم (ص٨٢ - ٨٤).

وفضله في الإسلام- ما ذكرت الروايات المزعومة بأنه أمر غلمانه بأن يضربوه حتىٰ أغمىٰ عليه، ثم يقوم عثمان في هذه الحال فيطأه في بطنه؟ ثم هل ترضىٰ أخلاق عثمان وحياؤه بأن يدعو بدعوة الجاهلية فيعير عمارا بأمه سمية وهي من أهل السابقة والفضل، وعثمان يعرف شرف انتساب عمار إلىٰ أمه سمية رضي الله عنها، أول شهيدة في الإسلام؟

كلا إن الأخبار الصحيحة والموثوقة لا يوجد فيها ما يدني عثمان من هذا الأسلوب المنحط في الزجر والتأديب، علاوة علىٰ أن أخلاقه وطبيعته وسيرته تستبعد ذلك تماما، ومما لا شك فيه أن عرض أمثال تلك الروايات الموضوعة علىٰ ما عرف من مواقف وأخلاق أولئك الأئمة الأعلام، والأخذ بالاعتبار مقاييس ذلك العصر ومعاييره لهو أصدق ميزان في النقد لكشف دخائل الوضاعين والمفترين[(١)].

٢- اتهام عمار بالمساهمة في الفتنة وإثارة الشغب ضد عثمان:

اعتمد المؤرخون في نسبة هذه الافتراءات إلىٰ عمار رضي الله عنه علىٰ روايات لم تسلم إحداها من الطعن في صحة أسانيدها أو في استقامة متونها، وتتنوع التهم المنسوبة إلىٰ عمار رضي الله عنه في تحريكه لأمر الفتنة، وتحريضه علىٰ عثمان، وسعيه بين العامة للتمرد عليه، فمنها ما يذكر من إرسال عثمان رضي الله عنه له إلىٰ مصر لاستجلاء ما يحدث فيها مما نقل إليه عن تمرد العامة هناك، وأن السبئيين استطاعوا استقطاب عمار والتأثير عليه. وهذا الخبر الذي يرويه الطبري[(٢)] فيه شعيب بن إبراهيم التميمي الكوفي راوية كتب سيف، فيه جهالة، وقال عنه الراوي: ليس بالمعروف وله أحاديث وأخبار، فيها بعض النكارة، وفيها ما فيها من تحامل علىٰ السلف[(٣)]. ورواه عمر بن شيبة في تاريخ المدينة وفيه شيخ عمر:

(١) الخليفة المفترىٰ عليه عثمان بن عفان (ص١٤ – ٤١)، عمار بن ياسر (ص١٣٧).
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٨).
(٣) استشهاد عثمان ووقعة الجمل (ص٣٠).

عمر: علي بن عاصم، قال عنه ابن المديني: كان علىٰ بن عاصم كثير الغلط، وإذا رد عليه لم يرجع، وكان معروفا في الحديث، ويروي أحاديث منكرة[١]، وقال يحيىٰ بن معين: ليس بشيء[٢]، وقال مرة: كذاب ليس بشيء[٣]، وقال النسائي: متروك الحديث[٤]، وقال البخاري: ليس بالقوي عندهم، يتكلمون فيه[٥]. وهناك من تلطف بالكلام عليه وقال عنه ابن حجر: صدوق يخطئ ويصر، ورمي بالتشيع[٦].

وخبرٌ هذا حال إسناده لا يمكن الاطمئنان إليه لاسيما ما عرف عن عمار رضي الله عنه من الورع الذي يربأ به عن الانغماس في مثل تلك الأوحال، التي ما عهدنا مرتادًا لها إلا سبئيًا يهوديًا حاقدًا، ومعاذ الله أن يصل الحال بصحابي من صحابة النبي ﷺ إلىٰ هذا المستوىٰ، يقول خالد الغيث: وهذا الخبر يعارضه ما ثبت من عدالة الصحابة رضوان الله عليهم، هذا فضلًا عن عدم وروده من طريق صحيح[٧].

ومن الروايات الباطلة في هذا الباب ما نسب إلىٰ سعيد بن المسيب، وفيها أن الصحابة بمجملهم نقموا علىٰ عثمان رضي الله عنه مع من نقم، وحنقوا عليه، وخاصة أبا ذر وابن مسعود وعمار بن ياسر[٨] رضي الله عنهم. وآفة هذه الرواية أن فيها تدليسًا ليس من النوع الممكن إقراره والتجاوز عنه، فقد أسقط منها راوٍ متهم بالوضع والكذب وهو إسماعيل بن يحيىٰ بن عبيد الله، ولذلك جاء تضعيف

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٥٣).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٢٥٥).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٢٥٧).
(٤) المصدر نفسه (٩/ ٢٥٥).
(٥) المصدر نفسه (٩/ ٢٥٥).
(٦) تقريب التهذيب (ص٤٠٣).
(٧) استشهاد عثمان ووقعة الجمل (ص٨٦).
(٨) تاريخ دمشق (٣٩/ ٤١٥)، عمار بن ياسر (ص١٤٤).

علماء الحديث لهذه الرواية، وبيان زيفها عند ترجمتهم لمحمد بن عيسىٰ بن سميع راوي الخبر عن ابن أبي ذئب، يقول الإمام البخاري عن ابن سميع: يقال إنه لم يسمع من ابن أبي ذئب هذا الحديث، يعني حديثه عن الزهري في مقتل عثمان. ويقول ابن حبان: إن ابن سميع لم يسمع حديثه من ابن أبي ذئب، وإنما سمعه من إسماعيل ابن يحيىٰ، فدلس عنه. وقال الحاكم: أبو محمد -يعني ابن سميع- روىٰ عن ابن أبي ذئب حديثا منكرا وهو حديث مقتل عثمان، ويقال: كان في كتابه عن إسماعيل بن يحيىٰ عن ابن أبي ذئب فأسقطه، وإسماعيل ذاهب الحديث[(١)].

ويقول الدكتور يوسف العش: والرواية المنسوبة إلىٰ سعيد بن المسيب يجب استبعادها، فهي بعد التحري تظهر موضوعة، فقد نص الحاكم النيسابوري أن أحد رجال سندها قد أسقط من السند رجلًا واهيًا، وأنها منكرة، والواقع أنها لا تنبئ عن الاحترام الذي يكنه سعيد بن المسيب للصحابة في أقواله الأخرىٰ الصحيحة[(٢)].

٣ - براءة عمار من دم عثمان رضي الله عنهما:

وما يروىٰ في ذلك اتهام مسروق وأبي موسىٰ رضي الله عنه لعمار بذلك عند قدومه مع الحسن لاستنفار أهل الكوفة، وهذه الرواية قد وهي إسنادها بشعيب المجهول، وسيف المعلول، كما أن الرواية التي في صحيح البخاري لا تذكر شيئا من ذلك، فزيادتها لا تحتمل القبول، لا سيما مع طعنها في صحابي مثل عمار بن ياسر المجار -علىٰ لسان النبي ﷺ - من الشيطان[(٣)]، والملئ إلىٰ

(١) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٦- ١٨)، التاريخ الكبير للبخاري (١/ ٢٠٣)، التهذيب (٩/ ٣٩١)، تهذيب التهذيب (٩/ ٣٩٢).

(٢) الدولة الأموية (٣٩).

(٣) البخاري، رقم (٣٧٤٣).

المُشاش من الإيمان[١].

وقد بيَّن العلماء بطلان مثل هذا الاتهام الذي لم يختص بعمار فحسب، بل تعداه إلىٰ مجموعة أخرىٰ من أجِلَّة الصحابة، يقول ابن كثير: أما ما يذكره بعض الناس من أن بعض الصحابة أَسْلَمَه ورضي بقتله، فهذا لا يصح عن أحد من الصحابة، بل كلهم كرهه ومقته وسب من فعله[٢].

ويقول القاضي أبو بكر بن العربي: فهذا أشبه ما روي في الباب، وبه يتبين -وأصل المسألة سلوك سبيل أهل الحق- أن أحدا من الصحابة لم يسعَ عليه، ولا قعد عنه، ولو استنصر ما غلب ألف أو أربعة آلاف غرباء عشرين ألفا بلديين أو أكثر من ذلك، ولكنه ألقىٰ بيده إلىٰ المصيبة[٣].

ويقول: وقد انتدبت المردة والجهلة إلىٰ أن يقولوا: إن كان فاضل من الصحابة كان عليه مشاغبًا مؤلبًا، وبما جرىٰ عليه راضيًا واخترعوا كتابًا فيه فصاحة، وأمثال كتب عثمان به مستصرخا إلىٰ علي، وذلك كل مصنوع، ليوغروا قلوب المسلمين علىٰ السلف الماضيين والخلفاء الراشدين، فالذي يُنْخل من ذلك أن عثمان مظلوم محجوج بغير حجة، وأن الصحابة براء من دمه بأجمعهم، لأنهم أتوا إرادته، وسلموا له رأيه في إسلام نفسه[٤].

ثالثًا: براءة عمرو من دم عثمان:

لما أحيط بعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج عمرو بن العاص من المدينة متوجها إلىٰ الشام وقال: والله يا أهل المدينة ما يقيم بها أحد فيدركه قتل هذا الرجل إلا ضربه الله آ بذل، ومن لم يستطع نصره فليهرب، فسار وسار معه ابناه عبد الله

---

(١) عمار بن ياسر (ص١٤٧).
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٠٧).
(٣) العواصم من القواصم (ص١٢٩).
(٤) المصدر نفسه (ص١٣٢).

ومحمد، وخرج بعده حسان بن ثابت، وتتابع علىٰ ذلك ما شاء الله[١]. وعندما جاءه الخبر عن مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبأن الناس بايعوا علي بن أبي طالب قال عمرو: أنا أبو عبد الله تكون حرب من حك فيه قرحة نكأها، رحم الله عثمان ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغفر له، فقال سلامة بن زنباغ الجذامي: يا معشر العرب، إنه قد كان بينكم وبين العرب باب فاتخذوا بابا إذا كسر الباب، فقال عمرو: وذاك الذي نريد ولا يصلح الباب إلا أشاف[٢] تخرج الحق من حافرة البأس ويكون الناس في العدل سواء، ثم تمثل عمرو بن العاص بهذه الأبيات:

فيا لهف نفسي على مالك وهل يصرف مالك حفظ القدر؟

أنزع من الحرِّ[٣] أودى بهم فأعذرهم أم بقومي سكر

ثم ارتحل راجلًا يبكي ويقول: يا عثماناه، أنعي الحياء والدين حتىٰ قدم دمشق[٤].

هذه هي الصورة الصادقة عن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والمتتالية مع شخصيته، وخط حياته وقربه من عثمان، أما الصورة التي تمسخه إلىٰ رجل مصالح وصاحب مطامع وراغب دنيا، فهي الرواية المتروكة الضعيفة، رواية الواقدي عن موسىٰ بن يعقوب[٥]. وقد تأثر بالروايات الضعيفة والسقيمة مجموعة من الكتاب والمؤرخين فأهووا بعمرو إلىٰ الحضيض، كالذي كتبه محمود شيت خطاب[٦]، وعبد الخالق سيد أبو رابية[٧]، وعباس محمود العقاد الذي يتعالىٰ عن النظر في الإسناد

(١) عمرو بن العاص، للغضبان (ص٤٦٤).
(٢) أشاف: جمع أشفىٰ وهو المثقب.
(٣) الحر: جمع حرة وهي الظلمة الشديدة.
(٤) عمرو بن العاص، للغضبان (ص٤٨١).
(٥) عمرو بن العاص، للغضبان (ص٤٨١).
(٦) سفراء النبي ﷺ، محمود شيت خطاب (ص٥٠٨).
(٧) عمرو بن العاص، عبد الخالق سيد أبو رابية (ص٣١٦).

يتعالىٰ عن النظر في الإسناد ويستخف بقارئه، ويظهر له صورة معاوية وعمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بأنهما: انتهازيان صاحبًا مصالح، ولو أجمع الناقدون التاريخيون علىٰ بطلان الروايات التي استند إليها في تحليله، فهذا لا يعني للعقاد شيئا، فقد قال بعد أن ذكر روايات ضعيفة واهية لا تقوم بها حجة: «... وليقل الناقدون التاريخيون ما بدا لهم أن يقولوا في صدق هذا الحوار، وصحة هذه الكلمات، وما ثبت نقله ولم يثبت منه سنده ولا نصه، فالذي لا ريب فيه ولو أجمعت التواريخ قاطبة علىٰ نقضه أن الاتفاق بين الرجلين كان اتفاق مساومة ومعاونة علىٰ الملك والولاية، وأن المساومة بينهما كانت علىٰ النصيب الذي آل علىٰ كل منهما، ولولاه لما كان بينهما اتفاق[(١)].

إن شخصية عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الحقيقية، أنه رجل مبادئ غادر المدينة حين عجز عن نصرة عثمان، وبكىٰ عليه بكاء مرًّا حين قُتل، فقد كان من أقرب أصحابه وخلانه ومستشاريه، وكان يدخل في الشورىٰ - في عهد عثمان- من غير ولاية، ومضىٰ إلىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ليتعاونا معا علىٰ حرب قتلة عثمان والثأر للخليفة الشهيد[(٢)].

لقد كان مقتل عثمان كافيا لأن يحرك كل غضبه علىٰ أولئك المجرمين السفاكين، وكان لا بد من اختيار مكان غير المدينة للثأر من هؤلاء الذين تجرأوا علىٰ حرم رسول الله وقتلوا خليفته علىٰ أعين الناس، وأي غرابة أن يغضب عمرو لعثمان؟ وإن كان هناك من يشك في هذا الموضوع فمداره علىٰ الروايات المكذوبة التي تصور عمرًا كل همه السلطة والحكم[(٣)].

رابعًا: من أقوال الصحابة في الفتنة:

١ - أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

---

(١) عمرو بن العاص للعقاد (ص٢٣١، ٢٣٢).

(٢) عمرو بن العاص للغضبان (ص٤٨٩، ٤٩٠).

(٣) المصدر نفسه (ص٤٩٢).

قيل لأنس بن مالك: إن حبَّ علي وعثمان لا يجتمعان في قلب، فقال أنس: كذبوا، لقد اجتمع حبهما في قلوبنا[١].

٢- حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عن خالد بن الربيع قال: سمعنا بوجع حذيفة، فركب إليه أبو مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في نفر فيهم إلىٰ المدائن، قال: ثم ذكر قتل عثمان، فقال: اللهم إني لم أشهد، ولم أقتل، ولم أَرْضَ[٢].

وأخرج أحمد بن حنبل عن ابن سيرين عن حذيفة قال: لما بلغه قتل عثمان قال: اللهم إنك تعلم براءتي من دم عثمان، فإن كان الذين قتلوه أصابوا، فإني برئ منهم، وإن كانوا أخطأوا فقد تعلم براءتي من دمه، وستعلم العرب لئن كانت أصابت بقتله لحلبنا بذلك لبَنًا، وإن كانت أخطأت بقتله لتحتلبن بذلك دمًا، فاحتلبوا بذلك دمًا، ما رفعت عنهم السيوف ولا القتل[٣].

وروىٰ ابن عساكر عن جندب بن عبد الله -له صحبة- أنه لقىٰ حذيفة فذكر له أمير المؤمنين عثمان فقال: أما إنهم سيقتلونه، قال: قلت: فأين هو؟ قال: في الجنة، قلت: فأين قاتلوه؟ قال: في النار[٤].

٣- أم سليم الأنصارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

قالت أم سليم الأنصارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما سمعت بقتل عثمان : : أما إنه لم يحلبوا بعده إلا دمًا[٥].

٤- أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢٥)، التهذيب لابن حجر (٧/ ١٤١).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٢٧).

(٣) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢٨)، تاريخ دمشق (ص٣٨٨).

(٤) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢٨)، تاريخ دمشق (ص٣٨٨).

(٥) البداية والنهاية (٧/ ١٩٥).

وعن أبي مريم قال: رأيت أبا هريرة يوم قتل عثمان وله ضفيرتان، وهو ممسك بهما وهو يقول: قتل والله عثمان علىٰ غير وجه الحق[١].

٥ - أبو بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

روىٰ ابن كثير في البداية والنهاية عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لأن أخِرَّ من السماء إلىٰ الأرض أحبّ إليَّ من أن أُشرك في قتل عثمان[٢].

٦- أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عن أبي عثمان النهدي قال أبو موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لو كان هدي احتلبت به الأمانة لبنًا، ولكنه كان ضلالا فاحتلبت به دما[٣].

٧- سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

روىٰ ابن عساكر بإسناده إلىٰ سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن الإسلام كان في حصن حصين، وإنهم ثلموا في الإسلام ثلمة بقتلهم عثمان، وإنهم شرطوا أشرطة، وإنهم لم يسدوا ثلمتهم أو لا يسدونها إلىٰ يوم القيامة، وإن أهل المدينة كانت فيهم الخلافة فأخرجوها ولم تعد فيهم[٤].

٨ - عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وأخرج أبو نعيم في (معرفة الصحابة) بسنده إلىٰ عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: عثمان بن عفان ذو النورين قتل مظلوما، أوتي كفلين من الأجر[٥].

٩- عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا تقتلوا عثمان، فإنكم إن فعلتم لم تصلُّوا جميعًا[٦] أبدًا. وفي رواية:

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٣١).
(٢) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٣١).
(٣) تاريخ المدينة (٤/ ١٢٤٥).
(٤) تاريخ المدينة (٤/ ١٢٤٥).
(٥) معرفة الصحابة (١/ ٢٤٥)، المعجم الكبير (١/ ٤٦).
(٦) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٣٤).

والله لا تهرقون محجمًا من دم -أي: من دم عثمان- إلا ازددتم به من الله بُعدا[١].

١٠- الحسن بن علي رضي الله عنه:

عن طلق بن خشاف قال: انطلقنا إلىٰ المدينة ومعنا قُرط بن خيثمة، فلقينا الحسن بن علي فقال له قرط: فيم قُتل أمير المؤمنين عثمان؟ فقال: قتل مظلوما[٢].

١١- سلمة بن الأكوع رضي الله عنه:

وعن يزيد بن أبي عبيدة قال: لما قتل عثمان خرج سلمة بن الأكوع -وهو بدري- من المدينة قبل الربذة، فلم يزل بها حتىٰ كان قبيل أن يموت[٣].

١٢- عبد الله بن عمر رضي الله عنه:

فعن أبي حازم قال: كنت عند عبد الله بن عمر بن الخطاب فذكر عثمان، فذكر فضله ومناقبه وقرابته حتىٰ تركه أنقىٰ من الزجاجة، ثم ذكر علي بن أبي طالب فذكر فضله وسابقته وقرابته حتىٰ تركه أنقىٰ من الزجاجة، ثم قال: من أراد أن يذكر هذين فليذكرهما هكذا أو فليدع[٤].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما أيضًا: لا تسبوا عثمان؛ فإنا كنا نعده من خيارنا[٥].

خامسًا: أثر مقتل عثمان في حدوث فتن أخرى:

لقد كانت فتنة قتل عثمان سببا في حدوث كثير من الفتن الأخرىٰ، وألقت بظلالها علىٰ أحداث الفتن التي تلتها، فتغيرت قلوب الناس وظهر الكذب، وبدأ الخط البياني للانحراف عن الإسلام في عقيدته وشريعته. وكان مقتل عثمان من أعظم الأسباب التي أوجبت الفتن بين الناس، وبسببه تفرقت الأمة إلىٰ

---

(١) الطبقات (٣/ ٨١).

(٢) تاريخ المدينة (٤/ ١٤٥).

(٣) المصدر نفسه (٤/ ١٤٢).

(٤) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٧٩).

(٥) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٧٩).

اليوم[١]؛ فتفرقت القلوب، وعظمت الكروب، وظهرت الأشرار وذل الأخيار، وسعىٰ في الفتنة من كان عاجزًا عنها، وعجز عن الخير والصلاح من كان يحب إقامته، فبايعوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو أحق الناس بالخلافة حينئذ، وأفضل من بقي، لكن القلوب متفرقة ونار الفتنة متوقدة، فلم تتفق الكلمة ولم تنتظم الجماعة، ولم يتمكن الخليفة وخيار الأمة من كل ما يريدون من الخير، ودخل في الفرقة والفتنة أقوام[٢].

وبدأ ضعف الفتوحات تدريجيًا خلال السنين الأخيرة من خلافة عثمان، عندما بدأت الفتن تضرب بلاد الإسلام ومركز الخلافة، ثم توقفت عندما قتل عثمان، واستمرت متوقفة بل تراجعت في بعض الأماكن إلىٰ بداية عهد معاوية؛ حيث استقرت أحوال المسلمين فانطلقت الفتوحات شرقًا وغربًا وشمالًا[٣].

سادسًا: الظلم والاعتداء على الآخرين من أسباب الهلاك في الدنيا والآخرة:

إن الظلم والاعتداء علىٰ الآخرين بغير حق من أسباب الهلاك في الدنيا والآخرة، كما قال الله ﷻ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف:٥٩] وإن المتتبع لأحوال أولئك الخارجين علىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المعتدين عليه يجد أن الله تعالىٰ لم يمهلهم، بل أذلهم وأخزاهم وانتقم منهم فلم ينجُ منهم أحدًا[٤].

روىٰ خليفة بن خياط في تاريخه بإسناد صحيح إلىٰ عمران بن الحدير قال: إن لم يكن عبد الله بن شقيق حدثني أن أول قطرة قطرت من دمه -يعني عثمان- علىٰ ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٣٧] فإن أبا حُريت ذكر أنه ذهب وسهيل

---

(١) مجموع الفتاوي (٢٥/ ١٦٢).
(٢) المصدر نفسه (٢٥/ ١٦٣).
(٣) أحداث وأحاديث فتنة الهرج (ص٥٩١).
(٤) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (١/ ٤٨٣).

النميري، فأخرجوا إليه المصحف، فإذا القطرة على ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾، فإنها في المصحف ما حكت. وفي تاريخ ابن عساكر عن محمد بن سيرين قال: كنت أطوف بالكعبة، فإذا رجل يقول: اللهم اغفر لي، وما أظن أن تغفر لي، قلت: يا عبد الله، ما سمعت أحدا يقول ما تقول، قال: كنت أعطيت الله عهدا إن قدرت أن ألطم وجه عثمان إلا لطمته، فلما قُتل وضع على سريره في البيت، والناس يجيئون فيصلون عليه، فدخلت كأني أصلي عليه، فوجدت خلوة، فرفعت الثوب عن وجهه فلطمت وجهه، وسجيته، وقد يبست يميني، قال محمد بن سيرين: رأيتها يابسة كأنها عود[(١)].

ولو لم يكن من آثار ظلم هؤلاء الحاقدين إلا سل المسلمين السيف عليهم إلى يوم القيامة لكفى بذلك رادعا لهم ولكل من سار في فلكهم، قال القاسم بن محمد: مر عليٌّ رضي الله عنه على رجلين بالمدينة بعدما قتل عثمان، وقبل بيعته وهما يقولان: قتل ابن بيضاء، ومكانه من الإسلام والعرب، ثم والله ما انتطح فيه عنزان، فقال علي: ما قلتما؟ فأعادا عليه فقال: بلى والله، ورجال بعد رجال، وكتائب بعد كتائب، أو يخرج ابن مريم[(٢)].

■ **نقد بعض كتابات المعاصرين عن الفتنة:**

قد ألف العقاد كتابًا أسماه: «ذو النورين عثمان بن عفان»، وطبع الكتاب عدة طبعات، وكان له رواج كبير بين بعض مثقفي العصر، ومدرسي التاريخ الإسلامي في المعاقل التعليمية في العالم، لما لمؤلفه من شهرة عالمية.

ومن طريق هؤلاء المدرسين، وغيرهم انتشرت أفكار المؤلف المبثوثة في الكتاب بين أبناء العالم الإسلامي، فالكتاب مرجع رئيس لدى كثير من أساتذة ومدرسي التاريخ الإسلامي في معاقل التعليم في العالم.

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٤٨٥).

(٢) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٤٨٥)

فقد أسهم الكتاب مساهمة فعالة قوية في تخييل صورة الفتنة في مجتمعنا المعاصر، فاستحق بذلك أن يُهتم به من حيث النقد والتصويب، لأن ذلك بمثابة تعديل لجزء كبير من صورة هذه الحادثة التاريخية في أذهان مثقفي عصرنا الحاضر.

والحق أن المؤلف أصاب في بعض المسائل التي وقع فيها كثير ممن كتب عن الفتنة؛ فنجده يعتدل إلىٰ حد كبير في أكثر المسائل المتعلقة بشخصية عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مع وجود ملحوظات شذ فيها عن هذا الاعتدال سيأتي ذكرها.

وكاد أن يُصيب في تفسير الفتنة، وألمح إلىٰ الرد علىٰ بعض التفسيرات الخاطئة للفتنة.

ووصف قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأوصاف تليق بقبحهم، وفي الوقت نفسه برّأ الصحابة من هذه الفعلة الشنيعة، كما برأهم من تهمة التحريض علىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، إلا أنه يقع أحيانًا فيما يناقض ذلك، كما سيأتي:

وردَّ علىٰ التهم التي وُجهت إلىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بردود ضعيفة، ثم زل فنقض بعض هذه الردود كما سيأتي بيانه.

وأطال في الرد علىٰ من وصف شخصية عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالضعف، وكان ينتهز الفرص من الأحداث ليدفع هذه التهمة عن هذا الخليفة الراشد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا من الإيجابيات التي في الكتاب.

وقد لاحظت علىٰ الكتاب أمورًا تتعلق بمنهجه في التأليف، وأخرىٰ تتعلق ببعض الحقائق التاريخية، وقد أعرضت عما لا علاقة له بالفتنة إلا في مسألة واحدة ذكرتها؛ لأنها تساعد علىٰ تصور روح المؤلف أثناء كتابته لهذا الكتاب.

فمن الأمور المنهجية ما يلي:

١- عدم عزو المعلومات إلىٰ مصادرها، وخلو الكتاب من الحواشي الموثقة للمعلومات التاريخية، فليس في الكتاب كله إلا ثلاث عشرة حاشية،

اثنتا عشرة منها لتوضيح النص، وواحدة خرَّج فيها شعرًا، بعزوه إلىٰ الطبري، وابن الأثير، وذلك للإشارة إلىٰ ما فيهما من اختلاف مع ما ذكره المؤلف في المتن، والعجيب أنه لم يذكر المصدر الذي اعتمده، فخالف ما في الطبري وابن الأثير[(١)].

وإهمال عزو الحقائق والمعلومات التاريخية إلىٰ مصادرها داءٌ منتشر في جُلِّ الكتّاب المعاصرين، وهو خطأ ظاهر، فإنهم لم يشاهدوا الأحداث ليصفوها للقراء، ولم يبرزوا مصادرهم المعتمدة في هذا التصوير التاريخي، مما يضعف ثقة القارئ في كتاباتهم، كما أنه يتيح الفرصة لمن يريد أن يلفق أو يخترع معلومات ويلصقها بالتاريخ الإسلامي، أن يفعل ذلك.

٢- عدم تحققه من صحة الروايات.

٣- اعتماده عددًا من الروايات التي لم يبين صحتها من ضعفها، ولا نعرف المنهج الذي اعتمده في اختيارها دون غيرها.

٤- يتوسع في تحليل بعض الروايات الضعيفة، ويبني عليها الصورة التاريخية، بينما يهمل روايات أخرىٰ أكثر منها وأصح وأوثق.

٥- لم يذكر المؤلف قائمة مصادره، لنتبين سبب اعتماده علىٰ بعض الروايات دون بعضها الآخر، وليعلم القارئ مواطن الضعف في الكتاب ليتمه من المصادر الأخرىٰ التي لم يعتمدها المؤلف، وليعلم مقدار استفادته منها، ومنهجه الذي سار عليه في اختيار الروايات.

٦- إن روح الكتاب والصياغة فيها شيء من البعد عن الصبغة الإسلامية الشرعية، ومما لوحظ عليه من ذلك عدم افتتاحه بالبسملة والحمدلة، وهذه سمة يتصف بها العقاد فيما اطلعت عليه من كتبه ولا شك أن انتهاج مثل ذلك

(١) ذو النورين عثمان بن عفان (ص١٢١).

يدل دلالة واضحة علىٰ مدىٰ تدين صاحبه، ومدىٰ التزامه بالعادات والتقاليد الإسلامية، ولعل سبب ذلك هو التقليد الأعمىٰ للإفرنج الذين تتلمذ عليهم.

أما الأخطاء العلمية التي وقفت عليها في هذا الكتاب فهي كما يلي:

١- لم يحقق المؤلف في مسألة الكتاب المزوَّر، واستعمل بعض العبارات المحتملة للتصديق والتكذيب، كقوله: «ثم بلغ الكتاب أجله، بقصة ذلك الكتاب الذي قيل أنهم وجدوه مع غلام لعثمان...»[(١)].

والحق أنه كتاب مزوَّر علىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلم يكتبه ولم يأمر بكتابته، ولم يعلم به، كما تقدم إيضاح ذلك.

٢- وذكر أن الكتاب المزوَّر المنسوب إلىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمرًا منه بجلد عبد الرحمن بن عديس، وعمرو بن الحمق، وعروة البياع[(٢)] وحبسهم وحلق رؤوسهم ولحاهم وصلب بعضهم[(٣)].

ولعله اعتمد في ذلك علىٰ رواية الواقدي التي رواها الطبري في تاريخه، ونصها:

«فإذا فيه، بسم الله الرحمن الرحيم؛ أما بعد، فإذا قدم عليك عبد الرحمن بن عديس فاجلده مائة جلدة، واحلق رأسه ولحيته، وأطل حبسه حتىٰ يأتيك أمري، وعمرو بن الحمق فافعل به مثل ذلك، وسودان بن حمران مثل ذلك، وعروة النِّباع، مثل ذلك...»[(٤)].

والواقدي متروك فيكون الإسناد ضعيفًا جدًا.

وتخالف رواية الواقدي هذه الرواية الأقوىٰ والأصح منها في بعض النقاط، فإنَّ فيها: «أن يصلبهم أو يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم».

---

(١) ذو النورين عثمان بن عفان (ص١٤٧).
(٢) هكذا ورد عنده (البياع)، والصواب (النباع).
(٣) ذو النورين عثمان بن عفان (ص١٤٧).
(٤) تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٣٧٣).

فليس في الرواية الصحيحة تعيين الأشخاص المراد تعذيبهم، وليس فيها الجلد ولا الحبس ولا حلق الرؤوس واللحىٰ.

وهذا الذي يبدو أنه الصحيح، فإنَّ مزوِّر الكتاب يبدو من براعته في التزوير أنه لا ينسب إلىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذه الترهات، ولكنه التمس تضليل الناس بأن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رأىٰ أن هؤلاء من المفسدين في الأرض، ويستحقون عقاب المفسدين في الأرض، وهو الذي ورد في القرآن الكريم في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ [المائدة:٣٣].

فهذا المفتري المزوِّر، يأمل أن تصدق كذبته التي قد يحكم بها عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ معتمدًا علىٰ هذه الآية، أما إذا كانت بتلك الصورة فبعيد جدًا أن يصدق نسبته إلىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحدٌ من العقلاء، الذين يعرفون أن حدود التعزير في الإسلام لا تتجاوز نواهي الله جل وعلا، فليس للإمام أن يعزر بحلق اللحىٰ، لأن حلقها معصية للرب، فقد تواترت الأدلة علىٰ تحريمه.

٣- ويقول في آخر كتابه: «وإن وجبت كتابة السِّيَر، فأوجب ما يوجبها أن تكشف جانب الخير أغوار النفس الإنسانية، لا قصيدة مديح كما يقال، بل تحية صدق تمتحن بالنار والنور بين ظلمات الشرور. وهذه السيرة الرابعة من سير الخلفاء الراشدين لا نسميها بالعبقرية كما سمينا عبقرية عمر وعبقرية الإمام وعبقرية الصديق، لأننا نؤمن بالعبقرية لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ونؤمن في الحق أنه ذو النورين: نور اليقين ونور الأريحية والخلق الأمين. ومن أبىٰ عليه ميزانه أن يحابي في كلمة تستدعيها المُجاراة لما سبقها من الكلمات ينظم قصائد المديح في محراب التاريخ، فحسب النفس البشرية أملًا أنها غنية بالحق عن قصائد

المديح في هذا المحراب...» انتهىٰ كلامه وأنهىٰ الكتاب بهذه العبارة[١].

ولي عليه في هذه العبارة عدة ملاحظات منها:

أ- تسميته عليًا رضي الله عنه بالإمام دون ذكر اسمه، وذلك مجاراة للرافضة.

ب- رفضه أن يسمي كتابه بالعبقرية وتسويغه ذلك بمسوغ مرفوض، مع تحفظي علىٰ هذه الكلمة، والطريقة التي تناول بها تلك الشخصيات والمدرسة التي أنتجها من هذه الدراسات عن طريق العبقرية...

ج- تأخيره كتابة سيرة عثمان رضي الله عنه لتكون الرابعة، وتقديم سيرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه عليها، إذا قرن بتسمية علي رضي الله عنه بالإمام، هو غلط ظاهر ومحل نظر، واستفهام.

(١) ذو النورين عثمان بن عفان (ص١٤٨).

الخلاصـــة[١]

١- كان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أيام الجاهلية من أفضل الناس في قومه؛ فهو عريض الجاه، ثري، شديد الحياء، عذب الكلمات، فكان قومه يحبونه أشد الحب ويوقرونه. لم يسجد في الجاهلية لصنم قط، ولم يقترف فاحشة قط، فلم يشرب الخمر في الجاهلية.

٢- كان عثمان قد ناهز الرابعة والثلاثين من عمره حين دعاه أبو بكر الصديق إلىٰ الإسلام، ولم يعرف عنه تلكؤ أو تلعثم، بل كان سباقًا أجاب علىٰ الفور دعوة الصديق، فكان بذلك من السابقين الأولين.

٣- فرح المسلمون بإسلام عثمان فرحًا شديدًا، وتوثقت بينه وبينهم عرىٰ المحبة وأخوة الإيمان، وأكرمه الله تعالىٰ بالزواج من بنت رسول الله ﷺ رقية.

٤- إن سنة الابتلاء ماضية في الأفراد والجماعات والشعوب والأمم والدول، وقد مضت هذه السنة في الصحابة الكرام، وتحملوا من البلاء ما تنوء به الرواسي الشامخات، وبذلوا أموالهم ودماءهم في سبيل الله، وبلغ بهم الجهد ما شاء الله أن يبلغ، ولم يسلم أشراف المسلمين من هذا الابتلاء؛ فقد أوذي عثمان وعذب في سبيل الله تعالىٰ علىٰ يدي عمه الحكم بن أبي العاص.

٥- منذ اليوم الذي أسلم فيه عثمان لزم النبي ﷺ حيث كان، ولم يفارقه إلا للهجرة بإذنه أو في مهمة من المهام التي يندب لها، ولا يغني فيها أحد غناءه، شأنه في هذه الملازمة شأن الخلفاء الراشدين جميعا، كأنما هي خاصة من خواصهم رشحهم لها ما رشحهم بعد ذلك للخلافة متعاقبين.

٦- كان ذو النورين علىٰ صلة وثيقة بالدعوة الكبرىٰ من سنتها الأولىٰ، فلم

(١) تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - شخصيته وعصره (ص٤٢٦).

يفته من أخبار النبوة الخاصة والعامة في حياة النبي ﷺ ، ولم يفته شيء بعدها من أخبار الخلافة في حياة الشيخين، ولم يفته بعبارة أخرىٰ شيء مما نسميه اليوم بأعمال التأسيس في الدولة الإسلامية.

٧- كان المنهج التربوي الذي تربىٰ عليه عثمان بن عفان، وكل الصحابة الكرام هو القرآن الكريم المنزل من عند رب العالمين.

٨- إن الرافد القوي الذي أثر في شخصية عثمان بن عفان وصقل مواهبه، وفجر طاقته، وهذب نفسه هو مصاحبته لرسول الله ﷺ وتتلمذه علىٰ يديه في مدرسة النبوة، ذلك أن عثمان رضي الله عنه لازم الرسول ﷺ في مكة بعد إسلامه، كما لازمه في المدينة بعد هجرته؛ فقد نظم عثمان نفسه، وحرص علىٰ التلمذة في حلقات مدرسة النبوة في فروع شتىٰ من المعارف والعلوم علىٰ يدي معلم البشرية وهاديها، والذي أدبه ربه فأحسن تأديبه.

٩- لم يكن عثمان بن عفان رضي الله عنه ممن تخلفوا عن بدر لتقاعس منه أو هروب ينشده، كما يزعم أصحاب الأهواء ممن طعن عليه تغيبه عن بدر، فهو لم يقصد مخالفة الرسول ﷺ ؛ لأن الفضل الذي حازه أهل بدر في شهود بدر طاعة الرسول ومتابعته، وعثمان رضي الله عنه خرج فيمن خرج مع رسول الله ﷺ ، فرده ﷺ للقيام علىٰ ابنته، فكان في أجل فرض لطاعته لرسول الله وتخليفه، وقد ضرب له بسهمه وأجره، فشاركهم في الغنيمة والفضل والأجر لطاعته الله ورسوله وانقياده لهما.

١٠- في الحديبية ذكر المحب الطبري اختصاص عثمان بعدة أمور منها: اختصاصه بإقامة يد النبي الكريمة مقام يد عثمان لما بايع الصحابة وعثمان غائب، واختصاصه بتبليغ رسالة رسول الله ﷺ إلىٰ من بمكة أسيرًا من المسلمين، وذكر شهادة النبي ﷺ لعثمان بموافقته في ترك الطواف لما أرسله في تلك الرسالة.

١١- قبل رسول الله ﷺ شفاعة عثمان بن عفان في عبد الله بن أبي السرح في فتح مكة.

١٢- من حياة عثمان الاجتماعية في المدينة: زواجه من أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ بعد وفاة رقية بنت رسول الله ﷺ ، ووفاة عبد الله بن عثمان، ثم وفاة أم كلثوم رضي الله عنهما.

١٣- من مساهمته الاقتصادية في بناء الدولة: شراء بئر رومة بعشرين ألف درهم، وجعلها عثمان رضي الله عنه للغني والفقير وابن السبيل، وتوسعة المسجد النبوي، وإنفاقه الكثير علىٰ جيش العسرة.

١٤- وردت أحاديث كثيرة في فضل عثمان رضي الله عنه، منها ما ورد في فضله مع غيره، ومنها ما ورد في فضله وحده، وقد أخبر رسول الله ﷺ عن الفتنة التي يقتل فيها عثمان.

١٥- كان عثمان رضي الله عنه من الصحابة وأهل الشورىٰ الذين يؤخذ برأيهم في أمهات المسائل في عهد الصديق، فهو ثاني اثنين في الحظوة عند الصديق؛ فعمر بن الخطاب للحزم والشدائد، وعثمان للرفق والأناة، وكان عثمان أمينها العام، وناموسها الأعظم، وكاتبها الأكبر.

١٦- كان عثمان ذا مكانة عند عمر، فكانوا إذا أرادوا أن يسألوا عمر عن شيء رموه بعثمان وبعبد الرحمن بن عوف، وكان عثمان يسمىٰ الرديف، والرديف بلسان العرب هو الذي يكون بعد الرجل، والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد رئيس، وكانوا إذا لم يقدر هذان علىٰ عمل شيء ثلثوا بالعباس.

١٧- من أفضل أعمال عبد الرحمن بن عوف عزله نفسه من الأمر وقت الشورىٰ، واختياره للأمة من أشار به أهل الحل والعقد، فنهض في ذلك أتم نهوض علىٰ جميع الأمة علىٰ عثمان.

١٨- هناك أباطيل شيعية وأكاذيب رافضية دست في التاريخ الإسلامي في قصة الشورىٰ، وتولية عثمان الخلافة، وقد تلقفها المستشرقون وقاموا بتوسيع نشرها وتأثر بها الكثير من المؤرخين والمفكرين والمحدثين، ولم يمحوا الروايات ويحققوا في سندها ومتنها فانتشرت بين المسلمين.

١٩- جاءت الأدلة الكثيرة التي تشير وتنبه إلىٰ أحقية خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالخلافة، ولا نزاع عند المتمسكين بالكتاب والسنة في ذلك، وقد أجمع أصحاب رسول الله ﷺ وكذا من جاء بعدهم ممن سلك سبيلهم من أهل السنة والجماعة علىٰ أن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحق الناس بخلافة النبوة بعد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٢٠- عندما بويع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالخلافة قام في الناس خطيبا وأعلن عن نهجه السياسي، مبينا أنه سيتقيد بالكتاب والسنة وسيرة الشيخين، كما أنه أشار في خطبته إلىٰ أنه سيسوس الناس بالحلم والحكمة إلا فيما استوجبوه من الحدود،وحذرهم من الركون إلىٰ الدنيا والافتتان بحطامها خوفا من التنافس والتباغض والتحاسد بينهم، مما يفضي بالأمة إلىٰ الفرقة والخلاف.

٢١- إن شخصية ذي النورين تعتبر شخصية قيادية، وقد اتصف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بصفات القائد الرباني، من العلم والقدرة علىٰ التوجيه والتعليم، والحلم، والسماحة، واللين، والعفو، والتواضع، والحياء، والعفة، والكرم، والشجاعة، والحزم، والصبر، والعدل، والعبادة، والخوف، والبكاء، والمحاسبة، والزهد، والشكر، وتفقد أحوال الناس، وتحديد الاختصاصات والاستفادة من أهل الكفاءات.

٢٢- إن معرفة صفات الخلفاء الراشدين، ومحاولة الاقتداء بهم خطوة صحيحة لمعرفة صفات القادة الربانيين، الذين يستطيعون أن يقودوا الأمة نحو أهدافها المرسومة بخطوات ثابتة.

٢٣- قامت سياسة عثمان المالية علىٰ الأسس العامة التالية: تطبيق سياسة مالية عامة إسلامية، عدم إخلال الجباية بالرعاية، أخذ ما علىٰ المسلمين بالحق لبيت مال المسلمين، وأخذ ما علىٰ أهل الذمة لبيت مال المسلمين بالحق، وإعطائهم ما لهم وعدم ظلمهم، وتخلق عمال الخراج بالأمانة والوفاء، وتفادي أي انحرافات مالية يسفر عنها تكامل النعم لدىٰ العامة.

٢٤- كانت النفقات في عهد عثمان تصرف علىٰ: صرف مرتبات الولاة، ومرتبات الجند، وعلىٰ أسطول بحري، وتحويل الساحل من الشعيبة إلىٰ جدة، وحفر الآبار، والإنفاق علىٰ المؤذنين، وغيرها من الأمور.

٢٥- اتهم عثمان رضي الله عنه من قبل الغوغاء والخوارج بإسرافه في بيت المال وإعطائه أكثره لأقاربه، وقد ساند هذا الاتهام حملة دعائية باطلة قادها السبئيون وتلقفها الشيعة الروافض إلىٰ يومنا هذا، وتسربت في كتب التاريخ، وتعامل المفكرون والمؤرخون علىٰ كونها حقائق، وهي باطلة لم تثبت لأنها مختلقة.

٢٦- يعتبر عهد ذي النورين امتدادا للعهد الراشدي الذي تتجلىٰ أهميته بصلته بالعهد النبوي وقربه منه، فكان العهد الراشدي عامة والجانب القضائي فيه خاصة امتدادا للقضاء في العهد النبوي، مع المحافظة الكاملة والتامة علىٰ جميع ما ثبت في العهد النبوي، وتطبيقه بحذافيره وتنفيذه بنصه ومعناه.

٢٧- كانت خطة عثمان في الفتوحات تتسم بالحسم والعزم، وتمثلت في الآتي: إخضاع المتمردين من الفرس والروم، وإعادة سلطان الإسلام إلىٰ هذه البلاد، واستمرار الجهاد والفتوحات فيما وراء هذه البلاد لقطع المدد عنهم، وإقامة قواعد ثابتة يرابط فيها المسلمون لحماية البلاد الإسلامية، وإنشاء قوة بحرية عسكرية لافتقار الجيش الإسلامي إلىٰ ذلك.

٢٨- كانت معسكرات الإسلام ومسالحه[1] في عهد عثمان هي عواصم

(١) مسالحه: ثغوره.

أقطاره الكبرىٰ، فمعسكر العراق في الكوفة والبصرة، ومعسكر الشام في دمشق بعد أن خلص الشام كله لمعاوية بن أبي سفيان، ومعسكر مصر وكان مركزه الفسطاط، وكانت هذه المعسكرات تقوم بحماية دولة الإسلام ومواصلة الفتوحات ونشر الإسلام.

٢٩- من أشهر قادة الفتوحات في عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الأحنف بن قيس، وسليمان بن ربيعة، وعبد الرحمن بن ربيعة، وحبيب بن مسلمة.

٣٠- كانت معركة ذات الصواري من مظاهر تفوق العقيدة الصحيحة الصلبة علىٰ الخبرة العسكرية والتفوق في العَدَد والعُدَد، فلقد كان الروم هم أهل البحر منذ القدم، وقد مروا بتجارب طويلة في الحروب البحرية، بينما كان المسلمون حديثي عهد بركوب البحر والقتال البحري.

٣١- من أهم الدروس والعبر والفوائد في فتوحات عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تحقق وعد الله بالنصر والتمكين للمؤمنين، التطور في فنون الحرب والسياسة، ركوب المسلمين البحر، جمع المعلومات عن الأعداء، الحرص علىٰ وحدة الكلمة في مواجهة العدو.

٣٢- يظهر من قصة جمع القرآن في عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مدىٰ فهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لآيات النهي عن الاختلاف؛ حيث إن الله نهىٰ عن الاختلاف وحذر منه، فلعمق فهمهم لهذه الآيات ارتعد حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما سمع بوادر الاختلاف في قراءة القرآن، فرحل فورا إلىٰ المدينة النبوية، وأخبر عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بما رأىٰ وبما سمع، وفي مدة قصيرة حسم عثمان الأمر وأغلق باب الخلاف.

٣٣- إن الأخذ بالأسباب نحو تأليف المسلمين وتوحيد صفهم من أعظم الجهاد، وهذه الخطوة مهمة في إعزاز المسلمين وإقامة دولتهم وتحكيم شرع ربهم، وهذا من فقه الخلفاء الراشدين، ويتجلىٰ في أبهىٰ صورة في جمع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للأمة علىٰ مصحف واحد.

٣٤- كانت أقاليم الدولة الإسلامية في عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تضم كلًا من: مكة، والمدينة، والبحرين، واليمامة، واليمن، وحضرموت، والشام، وأرمينية، ومصر، والبصرة والكوفة.

٣٥- اتخذ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أساليب متنوعة لمراقبة عماله والاطلاع علىٰ أخبارهم، منها: حضوره لموسم الحج، سؤال القادمين من الأمصار والولايات، إرسال المفتشين إلىٰ الولايات، استقدام الولاة وسؤالهم، وغير ذلك من الأساليب.

٣٦- من حقوق الولاة في العهد الراشدي: الطاعة في غير معصية الله، بذل النصيحة للولاة، إيصال الأخبار الصحيحة إليهم، احترامهم بعد عزلهم، وإعطاؤهم مرتباتهم.

٣٧- من واجبات الولاة في العهد الراشدي: إقامة أمور الدين، تأمين الناس في بلادهم، الجهاد في سبيل الله، بذل الجهد في تأمين الأرزاق للناس، تعيين العمال والموظفين، رعاية أهل الذمة، مشاورة أهل الرأي في ولايتهم، النظر في حاجة الولاية العمرانية، مراعاة الأحوال الاجتماعية لسكان الولاية.

٣٨- إن عثمان خليفة راشد يقتدىٰ به، وأفعاله تشكل سوابق دستورية في هذه الأمة، فكما أن عمر سن لمن بعده التحرج عن تقريب الأقربين، فكان عثمان سن لمن بعده تقريب الأقربين إذا كانوا في كفاءتهم الإدارية، وكل ما أنكر علىٰ عثمان لا يخرج من دائرة المباح.

٣٩- إن الولاة الذين ولاهم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أقاربه قد أثبتوا الكفاية والمقدرة في إدارة شئون ولاياتهم، وفتح الله علىٰ أيديهم الكثير من البلدان، وساروا في الرعية سيرة العدل والإحسان، ومنهم من تقلد مهام الولاية في عهد الصديق والفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٤٠- إن الذي يرجع إلىٰ الصحيح المحض من وقائع التاريخ، ويتتبع سيرة

الرجال الذين استعان بهم أمير المؤمنين عثمان، وما كان لجهادهم من جميل الأثر في تاريخ الدعوة الإسلامية، بل ما كان لحسن إدارتهم من عظيم النتائج في هناء الأمة وسعادتها، فإنه لا يستطيع أن يمنع نفسه من الجهر بالإعجاب والفخر كلما أمعن في دراسة ذلك الدور من أدوار التاريخ الإسلامي.

٤١- إن عثمان رضي الله عنه لم يسلم من كثير من الباحثين في كتاباتهم غير المنصفة وغير المحققة عن عهد عثمان، فقد تورط الكثير منهم في الروايات الضعيفة والرافضية، وبنوا أحكامًا باطلة وجائرة في حق عثمان، مثل طه حسين في كتابه (الفتنة الكبرىٰ)، وراضي عبد الرحيم في كتابه (النظم الإسلامية)، ومحمد الريس في كتابه (النظريات السياسية)، وعلي حسين الخربوطلي في كتابه (الإسلام والخلافة)، وأبي الأعلىٰ المودودي في كتابه (الملك والخلافة)، وسيد قطب في كتابه (العدالة الاجتماعية) وغيرهم، لقد كان عثمان رضي الله عنه بحق الخليفة المظلوم الذي افترىٰ عليه خصومه الأولون ولم ينصفه المتأخرون.

٤٢- إن الحقيقة التاريخية تقول: إن عثمان رضي الله عنه لم ينفِ أبا ذر رضي الله عنه، إنما استأذن فأذن له، ولكن أعداء عثمان رضي الله عنه كانوا يشيعون عليه بأنه نفاه.

٤٣- إن أبا ذر رضي الله عنه لم يتأثر لا من قريب ولا من بعيد بآراء عبد الله بن سبأ اليهودي، وقد أقام بالربذة حتىٰ توفي ولم يحضر شيئا مما وقع من الفتن.

٤٤- من أسباب فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه أمور عدة، منها: الرخاء وأثره في المجتمع، طبيعة التحول الاجتماعي في عهد عثمان رضي الله عنه، مجيء عثمان بعد عمر رضي الله عنهما، وخروج كبار الصحابة من المدينة، العصبية الجاهلية، توقف الفتوحات، الورع الجاهل، طموح الطامحين، تآمر الحاقدين، التدبير المحكم لإثارة المآخذ ضد عثمان، استخدام الأساليب والوسائل المهيجة للناس، دور عبد الله بن سبأ في الفتنة.

٤٥- كانت بداية اشتعال الفتنة بالكوفة، وقد تم نفي رجالها إلىٰ الشام، ثم

استقر أمرهم عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بالجزيرة، ثم رجعوا إلىٰ الكوفة بعد مكاتبة يزيد بن قيس لهم بالمجيء للكوفة.

٤٦- كانت سياسة عثمان رضي الله عنه في التعامل مع الفتنة قائمة علىٰ الحلم والتأني والعدل، وقد اتخذ عدة أساليب لمواجهتها، منها: إرسال لجان تفتيش وتحقيق، كتب إلىٰ أهل الأمصار كتابًا شاملًا بمثابة إعلان عام لكل المسلمين، مشورة عثمان لولاة الأمصار، إقامة الحجة علىٰ المتمردين، الاستجابة لبعض مطالبهم.

٤٧- إن المتأمل في هدي عثمان رضي الله عنه في تعامله مع الفتنة التي وقعت في عهده يمكنه أن يستنبط بعض الضوابط التي تعين المسلم علىٰ مواجهة الفتن، ومن هذه الضوابط: التثبت، لزوم العدل والإنصاف، الحلم والأناة، الحرص علىٰ ما ينفع ونبذ ما يفرق بين المسلمين، لزوم الصمت والحذر من كثرة الكلام، استشارة العلماء الربانيين، الاسترشاد بأحاديث رسول الله ﷺ في الفتن.

٤٨- يظهر للباحثين أن هناك أسبابا دعت عثمان إلىٰ منع الصحابة من القتال، وهي: العمل بوصية الرسول ﷺ التي سارَّه بها رضي الله عنه يوم الدار، وأنها عَهْدٌ عَهِد به إليه، وأنه صابر نفسه عليه، كره أن يكون أول من خلف رسول الله ﷺ في أمته بسفك دماء المسلمين، علما بأن البغاة لا يريدون غيره فكَرِه أن يتوقىٰ بالمؤمنين، وأحب أن يقيهم بنفسه، علمه بأن هذه الفتنة فيها قتله، وذلك فيما أخبره بها رسول الله ﷺ عند تبشيره إياه بالجنة علىٰ بلوىٰ تصيبه، وأنه سيقتل مصطبرا بالحق معطيه في فتنة، العمل بمشورة ابن سلام رضي الله عنه له إذ قال له: الكف الكف، فإنه أبلغ لك في الحجة.

٤٩- إن قاتل عثمان رضي الله عنه رجل مصري، لم تفصح الروايات عن اسمه، وأما ما يتعلق بتهمة محمد بن أبي بكر بقتل عثمان بمشاقصه فهذا باطل والروايات بذلك ضعيفة، كما أن متونها شاذة لمخالفتها للرواية الصحيحة التي تبين أن القاتل هو رجل مصري.

٥٠- إن الصحابة جميعًا رضي الله عنهم أبرياء من دم عثمان رضي الله عنه، وقد صحت الأخبار وأكدت حوادث التاريخ براءة الصحابة من التحريض علىٰ عثمان أو المشاركة في الفتنة ضده، كما أوردنا ذلك بالروايات الصحيحة.

٥١- إن عثمان كان متيقظا ولم تنطل عليه المؤامرة ولا أهدافها، بل استطاع أن يخترق صفوف المتمردين وكشف مخططهم كاملا، وواجه الأحداث بشجاعة فائقة، وكره أن يكون أول من يسل السيف في المسلمين، وآثر أن يفدي الأمة بنفسه، وهذه قمة التفدية والإيثار.

٥٢- كانت فتنة مقتل عثمان سببا في حدوث كثير من الفتن الأخرىٰ، وألقت بظلالها علىٰ أحداث الفتن التي تليها، فتغيرت قلوب الناس، وظهر الكذب وبدأ الخط البياني للانحراف عن الإسلام في عقيدته وشريعته.

٥٣- إن الظلم والاعتداء علىٰ الآخرين بغير حق من أسباب الهلاك في الدنيا والآخرة كما قال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف:٥٩]. وإن المتتبع لأحوال أولئك الخارجين علىٰ عثمان رضي الله عنه المعتدين عليه يجد أن الله تعالىٰ لم يمهلهم بل أذلهم وأخزاهم وانتقم منهم، فلم ينجُ منهم أحد.

٥٤- كان وقع المصيبة علىٰ نفوس المسلمين كبيرًا، فذهلت عقولهم وجللهم الحزن، وفاضت مآقيهم بالدموع، ولهجت ألسنتهم بالثناء علىٰ عثمان والترحم عليه، وقام حسان بن ثابت رضي الله عنه يرثي أمير المؤمنين ويكثر التفجع لمقتله، ويهجو قاتليه بقصائد مبكية حزينة، وحفظها لنا التاريخ ولم تهملها الليالي، ولم تفصلها عنا حواجز الزمن ولا أسوار القرون.